

فَتَحِ الْحَمْرَيْنِ

فِي

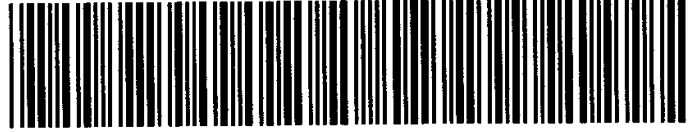
نَفْسِي الْقَهْرَيْنِ

جميع الحقوق محفوظة

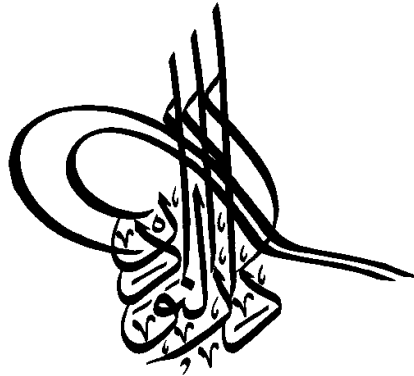
الطبعة الثانية
من إصدارات
دار النوادر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الأولى
من إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ردمك : ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ - ISBN :



9789933418168



سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية - ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص.ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص.ب : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص.ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسرّاسة : ٢٠٠٦م
نور الدين طالب
المدير العام والرئيس التنفيذي

فتح الحريتين

في

نفسه القهاري

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العلّيمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والتوفي سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

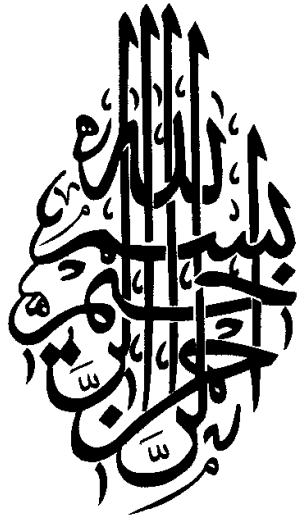
المجلد الثالث

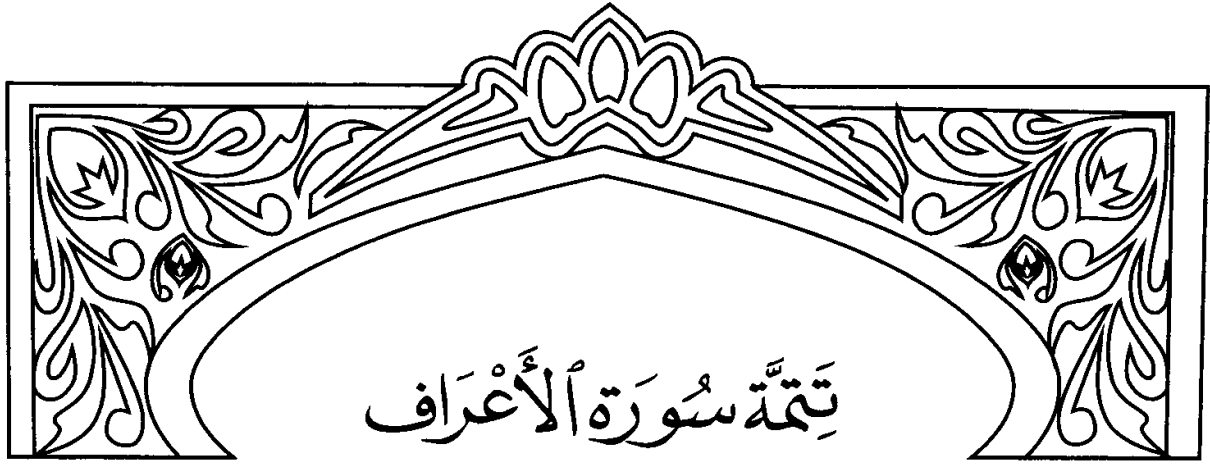
إعتق به

تحقيقاً وضبطاً وتحريراً

نور الدين ظالب

دار التوليد





﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (٩٤).

[٩٤] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ فيه إضمارٌ، يعني: فكذبوه.

﴿ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ ﴾ الفقر ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ المرض.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ ليتذللوا ويتوبوا.

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩٥).

[٩٥] ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ ﴾ الشدة ﴿ الْحَسَنَةَ ﴾ الرخاء.

﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ كَثُرُوا عُدْدًا وَأَمْوَالًا^(١)، فَطَغَوْا.

﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ أي: ليس ما أصابنا بالابتلاء،

وإنما هذا^(٢) دَابُّ الدَّهْرِ ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بنزول العذاب.

(١) في «ن»: «أموالاً وعدداً».

(٢) في «ش»: «هو».

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ﴾ المكذِّبين .

﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ المعاصي .

١ ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ قرأ أبو جعفر، وابنُ عامرٍ، ورؤيسٌ عن يعقوبَ :
(لَفَتَحْنَا) بتشديد التاء، والباقون : بالتخفيف^(١) .

﴿ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ لجاءهم المطرُ والخصبُ، وعمَّهم الخيرُ
من كلِّ جهة ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر
والمعاصي .

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَّتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ .

[٩٧] ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ ﴾ المكذِّبون، وهم أهلُ مكة وَمَنْ حَوْلَهَا،
الاستفهامُ للإنكار، والفاءُ للعطفِ نظيره: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة:
٥٠] .

﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابنا ﴿ بَيَّتًا ﴾ ليلاً ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)،
(١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٢) .

﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [٩٨].

[٩٨] ﴿ أَوْ أَمِنَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر: (أَوْ أَمِنَ) بسكون الواو، جعلوها (أو) العاطفة تكون لأحد الشيئين؛ كقولك: ضربت زيداً أو عمراً؛ وورش يحذف الهمزة، ويلقي فتحتها على الواو الساكنة، فتتصل فتحة الواو بكسرة الميم في اللفظ، والباقون: بفتح الواو، وجعلوها واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام^(١)، نظيره: ﴿ أَوْ كَلِمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ ﴾ [البقرة: ١٠٠].

﴿ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ﴾ أي: نهاراً، والضحى: صدرُ النهار وقت انبساط الشمس.

﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ لاهون من فرط الغفلة.

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [٩٩].

[٩٩] ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ استدراجُه إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم.

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ الذين خسروا بالكفر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٣).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ
أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أي : يُبَيِّنُ . قرأ العامة : (يَهْدِ) بالياء ، وقرأ زيدٌ عن
يعقوبَ : بالنون على التعظيم .

١ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ أي : يسكنونها .

﴿مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ الهالكين .

﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ﴾ أهلكناهم كما أصبنا مَنْ قبلهم ، واختلافُ القراء
في الهمزتين من (نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ) كاختلافهم فيها من (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورة
البقرة .

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كَمَنْ تَقَدَّمَ هُمْ ﴿وَنَطْبَعُ﴾ نختمُ .

﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تفهْمٍ واعتبار .

﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ .

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ﴾ المذكورة وأهلها ؛ يعني : قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ،
وقومَ لوطٍ وشعيبٍ .

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أخبارها ؛ لما فيها من الاعتبار .

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات .

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيء الرُّسلِ بالبينات .

﴿يَمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من قبل قيام المعجزات ، المعنى : لم تؤثر فيهم الموعظة ، واستمروا على الكفر .

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ختمنا على قلوب الكافرين قبلك .

﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ من قومك فلا يؤمنون .

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [١٠٢] .

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي : الناس .

﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أي : وفاء عهد .

﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ﴾ أي : علمناهم .

﴿لَفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن الطاعة ، و(إِنْ) للنفي ، و(اللام) بمعنى إلا ،
التقدير : وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١٠٣] .

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي : من بعد الأنبياء المتقدم ذكرهم ،
وأممهم .

﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ يعني : المعجزات .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا﴾ أي: كفروا ﴿بِهَا﴾ والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ وكيف فعلنا بهم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما دخل على فرعون:

﴿يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقال فرعون، كذبت.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٠٥﴾.

[١٠٥] فقال موسى ﴿حَقِيقٌ﴾ من الحق.

﴿عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ قرأ نافع: (عَلَيَّ) بتشديد الياء وفتحها على أنها ياء الإضافة، معناه: حقٌّ واجبٌ عليَّ، وقرأ الباقون: (عَلَى) على أنها جرٌّ^(١)، معناه: جديرٌ بالأقول إلا الحق.

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ اليد والعصا.

﴿فَأَرْسِلْ﴾ أطلق.

﴿مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وخلَّهم حتى يرجعوا إلى الأرض المقدسة التي هي

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٥).

وطنُ آبائهم، وكانَ فرعونُ قد استعبدَهُم بعدَ موتِ يوسفَ. قرأَ حفصٌ عن عاصمٍ: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ .

[١٠٦] ﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ ﴿ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَايَةٍ ﴾ على دُعَاكَ .

﴿ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ في الدعوى، وكان بين دخول يوسف مصرَ ودخول موسى أربعَ مئةِ سنةٍ .

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

[١٠٧] ﴿ فَأَلْقَى ﴾ موسى ﴿ عَصَاهُ ﴾ من يده .

﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ ﴾ هو ذَكَرُ الحياتِ، عَظِيمُ الجسمِ ﴿ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرٌ أمرُهُ .

قال ابنُ عباسٍ: «لما أَلْقَى العَصَا، صارتُ حَيَّةً عَظِيمَةً صفراءَ شعراءَ فَاغْرَةً فاها، ما بين لَحْيَيْهَا ثمانون ذراعاً، واضعةٌ لَحْيَهَا الأسفلَ في الأرضِ، والأعلى على سورِ القصرِ، ثم تنفَّستُ في البيوتِ والخزائنِ، فاشتعلتُ ناراً، وجعلتُ تهيجُ كالجملِ، ولها صوتٌ كالرَّعدِ، وحملتُ على الناسِ، فانهزموا وصاحوا، وماتَ منهم خمسةٌ وعشرون ألفاً، قتلَ بعضهم بعضاً، وتوجَّهتْ نحوَ فرعونَ لتأخذهُ، فوثبَ من^(٢) سريره هارباً، وأحدثَ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص:

١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٨٦).

(٢) في «ن»: «عن».

في ثيابه، وأخذت الحية أذياله^(١) حتى رمى نفسه خلف السرير وصاح:
يا موسى! أنشدك بالذي أرسلتك! خذها وأنا أو من بك، وأرسل معك بني
إسرائيل، فأخذها موسى، فعادت عصا كما كانت^(٢).

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ﴾^(١٠٨).

^١ [١٠٨] فلما نظر فرعون إلى ذلك، قال: يا موسى! لقد تعلمت سحراً
عظيماً، هل عندك غير هذا؟ قال: نعم ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أدخلها جيبه ثم نزعها.
﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ﴾ لها شعاع يغلب نور الشمس، ثم أدخلها جيبه
فصارت كما كانت.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السِّحْرُ عَلِيمٌ﴾^(١٠٩).

[١٠٩] فثم ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السِّحْرُ عَلِيمٌ﴾ بالسحر.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(١١٠).

[١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ يا معشر القبط.

﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ مصر.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون؟ هذا من قول فرعون، وما قبله من قول

الملا.

(١) في «ن»: «بأذياله».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٣٤).

﴿ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾^{١١١} .

[١١١] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني : الملاء .

﴿ أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ ﴾ المعنى : اترك التعرض له بالقتل . قرأ ابن كثير، وهشام عن ابن عامر : (أَرْجَاهُ) بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وابن ذكوان عن ابن عامر : بالهمز وبكسر الهاء، ولا يصلها بياء، وأبو عمرو، ويعقوب : بالهمز والضم من غير صلة، والباقون : بغير همز، ثم نافع برواية ورش، والكسائي، وخلف يشبعون الهاء كسراً، ويُسكنها عاصم، وحمزة، ويختلسها أبو جعفر، وقالون^(١)، وكذلك اختلافهم في حرف الشعراء .

﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ﴾ هي مدائن بالصعيد من نواحي مصر .

﴿ حَاشِرِينَ ﴾ جامعين .

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾^{١١٢} .

[١١٢] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (سَحَارٍ) على وزن فعّال مبالغة، وأمال فتحة الحاء الدوري عن الكسائي، والسحار : هو العالم المعلم السحر . وقرأ الباقر : (سَاحِرٍ) على وزن فاعل^(٢)، والساحر : من يعلم ولا يعلمه .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨٧-٢٨٨)، و«التيسير» للداني (ص :

١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص :

٢٢٦-٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٢٧-٢٢٨)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٦-٣٨٧) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص : ١١٢)، =

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
الْغَالِبِينَ ﴾ [١١٣].

[١١٣] ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ بعدما أرسل الشرط في طلبهم، قيل:
كانوا ثمانين ألفاً، متقدمهم شمعون، وقيل غير ذلك، فلما اجتمعوا.
﴿ قَالُوا ﴾ لفرعون ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ أي: جُعلاً.

﴿ إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ لموسى. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر
وحفص: (إِنَّ لَنَا) بهمزة واحدة على الخبر، أخبروا أنهم يستحقون على
غلبهم موسى جُعلاً، والباقون: بهمزتين على الاستفهام^(١)؛ أي: أتجعل
لنا جُعلاً؟ وهم على أصولهم تسهياً وتحقيقاً وفصلاً كما تقدّم في سورة
الأنعام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى ﴾
[الأنعام: ١٩].

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [١١٤].

[١١٤] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ نَعَمْ ﴾ لكم عليّ جعل.
﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ في المنزلة عندي.

= و«تفسير البغوي» (١٣٥/٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٢٧)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٨٧/٢).
(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦-٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢،
١١١-١١٢)، و«تفسير البغوي» (١٣٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣٨٨/٢).

﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾ .

[١١٥] فعند اجتماعهم بالإسكندرية ﴿ قَالُوا ﴾ تأدباً .

﴿ يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى ﴾ عصاك ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ آلاتنا .

﴿ قَالَ الْقَوَّا فَلَمَّا الْقَوَّا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١١٦﴾ .

[١١٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : بل ﴿ الْقَوَّا ﴾ أنتم .

﴿ فَلَمَّا الْقَوَّا ﴾ آلاتهم .

﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ صَرَفُوهَا عَنْ إدراكِ حَقِيقَةِ سِحْرِهم بما فعلوه من التَّمْوِيهِ والتَّخْيِيلِ .

﴿ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ ﴾ أَخَافُوهُمْ لما رَأَوْا مِنَ الْحَيَّاتِ أمثال الجبال يركب بعضها بعضاً ، وكانت الأرضُ الملقى فيها ميلاً في ميل .
﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ في فَنِّهِ .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ .

[١١٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ، فصارت حيةً سدَّتِ الأفقَ ، وفتحتُ فمها ثمانين ذراعاً .

﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ تبتلعُ .

﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ يَكْذِبُونَ، فابتلعت جميع ما ألقوا، وقصدت القوم، فهلك في الزحام منهم خمسة وعشرون ألفاً، فأخذها موسى، فعادت عصي. قرأ حفص عن عاصم: (تَلَقَّفُ) بإسكان اللام وتخفيف القاف، والباقون: بفتح اللام وتشديد القاف، والبرزي يشدد التاء وصلأ على إدغام في التاء من تتلقف^(١).

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١١٨).

[١١٨] ﴿ فَوَقَعَ ﴾ أي: ظهر ﴿ الْحَقُّ ﴾ أنه مع موسى.

﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من السحر، وقالوا: لو كان موسى ساحراً، لبقيت عصيتنا.

﴿ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾^(١١٩).

[١١٩] فعلموا أن ذلك من أمر الله ﴿ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ دليلين.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣، ١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٩-٣٩٠).

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْدَيْنِ﴾ ﴿١٢٠﴾ .

[١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْدَيْنِ﴾ خَرُّوا سُجَّدًا لِلَّهِ تَعَالَى مَطَارِحِينَ . قرأ أبو عمرو: (السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) بإدغام التاء في السين .

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ .

[١٢١] ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ .

[١٢٢] فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لُتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ .

[١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: بالله . قرأ حفص عن عاصم، ورؤيس عن يعقوب: (آمنتُم) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ قنبل عن ابن كثير: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَآمَنْتُمْ بِهِ) يُبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوًا مفتوحة، ويمد بعدها مدة في تقدير ألفين، والباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف، وروح عن يعقوب: يقرؤون بتحقيق الهمزتين على الأصل، والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية^(١)، ولم يُدْخِلْ أَحَدٌ أَلْفًا بَيْنَ الْهَمْزَةِ الْمَحْقَقَةِ وَالْمُسَهَّلَةِ فِي

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، =

هذا المحلّ كما أدخلها مَنْ أدخلها منهم في (أَأَنْذَرْتَهُمْ) وبابه؛ لكرهية اجتماع ثلاثِ أَلِفَاتٍ بعدَ الهمزة، ومعنى الكلِّ إنكارٌ؛ أي: أَصَدَّقْتُمْ بموسى، وآمنتُم بربّه.

﴿قَبْلَ أَنْ أَدْنِيَ لَكُمْ﴾ أي: من غيرِ أَمْرِي إياكم.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتُم أنتم وموسى.

﴿لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ﴾ لَحِيلَةٌ اِخْتَلْتُمُوهَا.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصرَ قبل أن تخرُجوا إلى هذا الموضع.

﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ القبط، وتخلصُ لكم ولبنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما فعلتم.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢٤).

[١٢٤] وهو تهديدٌ مجملٌ تفصيلُهُ: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ من كلِّ شِقِّ طَرَفًا، وهو أولُ مَنْ قَطَعَ من خِلافٍ وَصَلَبَ.

﴿ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على شاطئِ نهرِ مصر؛ تفضيحاً لكم، وتنكيلاً لأمثالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥).

[١٢٥] وكان موسى قد قالَ للسحرةِ لكبيرهم: أَتُؤْمِنُ بِي إِنْ غَلَبْتُكَ؟

= و«تفسير البغوي» (١٣٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٩٠-٣٩١).

فقال: لَأَتِيَنَّ بِسِحْرٍ لَا يَغْلِبُهُ سِحْرُكَ، وَإِنْ غَلَبْتَنِي لِأَوْمَنْنَ بِكَ، وَفِرْعَوْنُ يَسْمَعُ، فَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ.

﴿قَالُوا﴾ يعني: السحرة لفرعون:

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون إلى الآخرة، فيرحمنا ويثيبنا، فلا نُبَالِي بِعَذَابِكَ.

﴿وَمَا نَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴿١٢٦﴾.

[١٢٦] ثم قالوا توبيخاً: ﴿وَمَا نَنْقُمُ مِنَّا﴾ أي: تكرهه منا.

﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ وهو خيرُ الأعمالِ، ثم فزعوا إلى الله فقالوا:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: ارزقنا صبراً كثيراً يفيضُ علينا عندَ القطعِ والصَّلبِ.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام، فقطعَ أيديهم وأرجلهم، وصلبهم، وقيل: إنه لم يقدرْ عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿[القصص: ٣٥]، ورُوي أنه آمنَ بموسى عندَ إيمانِ السحرةِ سِتُّ مِئَةِ أَلْفٍ.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبِلُ آثَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ
قَاهِرُونَ ﴾ [١٢٧].

[١٢٧] ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ لَهُ : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ ﴾ بتغيير الناسِ عليك ، ودعوتهم إلى مخالفتك .
﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ ﴾ مَعْبُودَاتِكَ ، فلا يعبدُكَ ولا يعبدُها ؛ لأنه كان قد
أمرَ قومه بعبادة الأصنام ، فقال : هذه آلهتكم ، وأنا ربُّها وربُّكم ، ولذلك
قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات : ٢٤] ، وقيل : كان له بقرةٌ يعبدُها ، فلذلك
أخرجَ لهم السامريُّ عجلاً ، وقيل : كان يعبدُ الكواكبَ ، وقيل : الشمسَ .
المعنى : أَيْكونُ منك تركُ موسى ، ويكونُ تركُهُ إياكَ فلا يلتفتُ إليك ؟ !
﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ :

﴿ سَتَقْبِلُ آثَاءَهُمْ ﴾ قرأ نافعٌ ، وابنُ كثيرٍ ، وأبو جعفرٍ : (سَتَقْبِلُ) بفتح النونِ
وإسكانِ القافِ وضمِّ التاءِ من غيرِ تشديدٍ ، من القتلِ ، وقرأ الباكون : بضمِّ
النونِ وفتحِ القافِ وكسرِ التاءِ وتشديدِها ، من التقتيلِ ، على التكرير^(١) .
﴿ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ نتركُهم أحياءَ كفعَلنا بهم قبلُ ، وتقدَّمَ ذكرُ قصتهم
في القتلِ في سورةِ البقرةِ .

﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ غالبونَ ، وهم مقهورونَ تحتَ أيدينا .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٩٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٢) ،
و«تفسير البغوي» (٢ / ١٣٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢ / ٣٩٣) .

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٢٨]

[١٢٨] فأعاد فرعونُ عليهمُ القتلَ ، فشكَتْ بنو إسرائيل ذلكَ ، فثمَّ :
﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾ أرضَ مصرَ .

﴿ يُورِثُهَا ﴾ يُعطيها ﴿ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وعدُّ لهم
بالنصرِ .

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴾ [١٢٩]

[١٢٩] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني : قومَ موسى .

﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ﴾ بالرسالةِ بقتلِ الأبناءِ .

﴿ وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ بإعادةِ القتلِ علينا .

﴿ قَالَ ﴾ لهم موسى : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ فرعونَ .

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : يُسكنكم أرضَ مصرَ .

﴿ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ من طاعةٍ وعصيانٍ ، فيجازيكم ، فحقَّقَ اللهُ

ذلكَ ، وأغرقَ فرعونَ ، واستخلفهم فيها ، فعبدوا العجلَ .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ ﴾ (١٣٠) .

[١٣٠] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ أي: سني القحطِ لأهل
البوادي .

﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ لأهل الأمصار .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ يَتَعَذَّبُونَ فيؤمنون؛ لأن البلاء يرقق القلوب، ويرغب
في الآخرة، روي أن فرعون عاش أكثر من ستِّ مئة سنة، وملك أربع مئة
سنة لا يرى مكروهاً فيها، ولو رآه، لما ادعى الربوبية .

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣١) .

[١٣١] ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴾ الخصبُ والسَّعةُ .

﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ أي: نحنُ مستحقُّوها، ولم يشكروا الله .

﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ قحطٌ وغلاءٌ .

﴿ يَطَّيَّرُوا ﴾ يتشاءموا .

﴿ بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۚ ﴾ من المؤمنين .

﴿ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ ﴾ أي: ما يصيبهم من خيرٍ وشرٍّ .

﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي: من قِبَلِ اللَّهِ ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك .

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٢).

[١٣٢] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني: القبط لموسى ﴿ مَهْمَا ﴾ أصله: (ما) الشرطية أضيفت إليها (ما) المزيدة للتأكيد^(١)، فصارت ماما، ثم قلبت ألفها استثقلاً للتكثير.

﴿ تَأْتِنَا بِهِ ﴾ أي: أيُّما شيءٍ تُحْضِرُنَا تَأْتِنَا بِهِ.

﴿ مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ بيان لـ: «مهما»، وسموها آيةً استهزاءً لموسى.

﴿ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ لتنقلنا عمّا نحن عليه.

﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا نخدعُ لك بدليلٍ ما، ولا نصدِّقُك.

قرأ أبو عمرو: (نَحْنُ لَكَ) وشبهه حيث وقع بإدغام النون في اللام^(٢).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١٣٣).

[١٣٣] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ وهو السيلُ الشديدُ، ودخل بيوتهم حتى بلغ تراقيهم، فمن جلس منهم غرق، ودام سبعة أيامٍ من السبتِ إلى السبتِ، ولم يدخل بيتَ إسرائيليٍّ مع اشتباكها بيوتهم، فقالوا لموسى: ادعُ رَبَّكَ يكشفْ عَنَّا، ونحن نؤمنُ بك، ونرسلُ معك بني إسرائيل، فدعا، فرفع، فأخصبت بلادهم، فلم يؤمنوا.

(١) «للتأكيد» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي في النوع «الحادي والثلاثون».

﴿وَالْجَرَادَ﴾ المعروف، بُعِثَ عليهم بعد الطوفان، فأكل جميع نباتهم ونباتهم، وسقوف بيوتهم وأبوابها، ولم يضرَّ بإسرائيليٍّ، فقالوا له: اكشف عنا نؤمن، فأشار بعصاه شرقاً وغرباً، فذهب الجراد من حيث جاء، وفي الخبر: مكتوبٌ على صدر كلِّ جرادةٍ: جُنْدُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ، فلم يؤمنوا.

﴿وَالْقُمَّلَ﴾ بُعِثَ عليهم بعد الجراد، قيل: هو جرادٌ بلا أجنحةٍ، وقيل: هو القملُ المعروف، وقيل: هو السوسُ يخرجُ من الحنطة، فأكل ما ترك الجرادُ وأشعارهم وأبشارهم، وَالْمَهُمُ قرصاً، وخبثَ عليهم أطعمتهم لوقوعها فيها وفي أفواههم، ولم يضرَّ بإسرائيليٍّ، فاستغاثوا بموسى، فدعا، فَرَفَعَ عنهم، فلم يؤمنوا.

﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ بُعِثَتْ عليهم بعد القمل، فملأت بيوتهم وأطعمتهم، وخبثتها عليهم، ودخلت أفواههم، فاستغاثوا بموسى، فدعا، فَرَفَعَ عنهم، فلم يؤمنوا.

﴿وَالدَّمَ﴾ بُعِثَ عليهم بعد الضفادع، فصارت جميع مياههم دماً أحمر عبيطاً، فكان فرعونُ يجمعُ بين القبطيِّ والإسرائيليِّ على الإناء الواحد، فيكون ما يلي الإسرائيليَّ ماءً، وما يلي القبطيَّ دماً، وتأخذ المرأةُ الإسرائيليةُ الماءَ في فمها فتلقيه في القبطيِّ فيصيرُ دماً، وجعل^(١) فرعونُ يمزجُ الشجارَ فيصيرُ ماؤها في فيه دماً.

﴿ءَايَتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات، حالٌّ من هذه المذكورات، وتفصيلُها أن كان كلُّ عذابٍ أسبوعاً، وبين كلِّ عذابين شهرٌ، رُوي أن موسى بقي بعد ما

(١) في «ن»: «وصار».

غلب السحرة عشرين سنة يُريهم الآيات .

﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الآيات ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ۖ
لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴾ (١٣٤) .

[١٣٤] ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ العذابُ المفصلُ ، وبعده طاعونٌ
أنزله اللهُ بهم ، مات منهم في ليلة سبعون ألف قبطيٌّ .

﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ أي : بعهدِهِ ، وهو النبوةُ
﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ وهو الطاعونُ ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴾ .

قال ﷺ : « الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ، أَوْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ،
فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » (١) .

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمُ
يَنْكُثُونَ ﴾ (١٣٥) .

(١) رواه البخاري (٣٢٨٦) ، كتاب : الأنبياء ، باب : حديث الغار ، ومسلم
(٢٢١٨) ، كتاب : السلام ، باب : الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها ، عن
أسامة بن زيد - رضي الله عنه - .

[١٣٥] ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ ﴾ وهو وقتُ غرقِهِمْ .

﴿ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ينقضون العهد .

﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [١٣٦]

[١٣٦] ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ البحر ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي : بسبب تكذيبهم بها ﴿ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ أي : عن النِّقْمَةِ قبل حُلُولِهَا غافلين .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [١٣٧]

[١٣٧] ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بالاستعباد وذبح الأبناء ، وهم بنو إسرائيل ﴿ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا ﴾ والارض : الشام ومصر ، ومشارقها ومغاربها : جهات الشرق والغرب بها ، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة .

﴿ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ بالماء والأشجار والثمار .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ عِدَاتُهُ ^(١) الجميلة. و(كلمت) وقفَ عليها
بالهاء ابن كثير، أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي.

﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بنصره إياهم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على الشدائد.

﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ في أرض مصر
من العمارات.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من البساتين. قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن
عاصم: (يَعْرِشُونَ) بضمّ الراء، والباقون: بكسرهما ^(٢).

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾
قَالُوا يَنُمُوْنَ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾.

[١٣٨] ﴿وَجَوَزْنَا﴾ عَبَرْنَا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ وكان ذلك يوم
عاشوراء.

﴿فَأَتَوْا﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ من لحم.

﴿يَعْكُفُونَ﴾ يُقِيمُونَ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الكاف،
والباقون: بضمها ^(٣).

﴿عَلَىٰ﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ كانت على صورة البقر يعبدونها.

(١) في «ش»: «عدته».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٣) المصادر السابقة.

﴿ قَالُوا ﴾ يعني : بني إسرائيل لما رأوا ذلك .
﴿ يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾ صنماً نَعْظُمُهُ ﴿ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ يعبدونها .
﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ المعبود .

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٩) .

[١٣٩] ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ أي : عبدة الأصنام .
﴿ مُتَّبِعُونَ ﴾ مُهْلِكٌ ﴿ مَا لَهُمْ فِيهِ ﴾ من الشرك .
﴿ وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : شركهم يزول ، ويهلكون إن لم يؤمنوا .

﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغْيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴾ (١٤٠) .

[١٤٠] ثم ﴿ قَالَ ﴾ موبِّخاً : ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغْيَكُمْ إِلَهًا ﴾ أطلب لكم إلهاً
معبوداً .

﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ في زمانكم .

﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَظِيمٌ ﴾ (١٤١) .

[١٤١] ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ : (أَنْجَاكُمْ) ، وكذلك هو في
مُصحفِ أهلِ الشام ، والباقون : بياء ونون وألف بعدها ، وكذلك هو في

مصاحفهم^(١)، المعنى: واذكروا إنقاذنا لكم.

﴿مِنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدّه وأسوأه.

﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ قرأ نافع: (يَقْتُلُونَ) خفيفة من القتل، والباقون: بالتشديد على الكثير من التقتيل^(٢) ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ سبق تفسيره.

﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وفي الإنجاء والعذاب محنة عظيمة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّقَّتْ رَبِّهِ ۖ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤١).

[١٤٢] ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: (وَوَاعَدْنَا) بقصر الألف من الوعد، والباقون: (وَوَاعَدْنَا) بالمد من المواعدة^(٣).

﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فِتْمٍ

(١) في «ن»: «مصاحفهم». وانظر: «التيشير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩١)، و«التيشير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٩٨).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٢ و ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٩٨).

مِيقَتُ رَبِّهِ ﴿١﴾ أي : الوقت الذي وعده أن يخاطبه بعده .

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ تمييزٌ ، وأربعين حالٌ ؛ أي : بالغاً هذا العدد .

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة .

﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَقَنِي﴾ كُنْ خليفتي .

﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ أي : ومُرهم بالإصلاح .

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا تطع مَنْ عصى الله ، وصَدَّهُمْ عن المعصية ، وذلك أن موسى وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون ويذرون ، فلما هلك ، سأل ربه الكتاب ، فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً ، فلما تَمَّتْ ، أنكر خُلُوفَ فَمِهِ ، فاستاك بعودِ خَرْوَبٍ ، فقالت له الملائكة : كنا نشمُّ من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسَّوَاكِ ، وأوحى الله إليه : «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِي أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ؟» فَأَمَرَ بِصِيَامِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ ، ثم أنزل عليه التوراة في العشرِ ، وكلَّمه فيها ، فكانت فتنهم في العشر التي زادها^(١) .

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٢/١٤٦) .

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ الوقت الذي وعدناه أن نكلّمه فيه،
تَطَهَّرَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة كما يشاء، وجبريل عليه
السلام معه لم يسمع ما كلّمه به، فلما سمع موسى كلامَ رَبِّهِ اشتاق إلى
رؤيته، فَثَمَّ ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ﴾ قرأ ابن كثير، والسوسي عن
أبي عمرو، ويعقوب: (أَرْنِي) بإسكانِ الراء، والباقون: بالكسر^(١)؛ أي:
أَرْنِي نفسك لأتمكّن من رؤيتك.

﴿قَالَ﴾ الله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ وليس لبشر أن يطيقَ النظرَ إليّ في الدنيا،
وسؤالُ الرؤية دليلٌ على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة؛ لأن طلبَ
المستحيل من الأنبياء محالٌ، خصوصاً ما يقتضي الجهلَ بالله، ولذلك ردّه
بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ دونَ لَنْ أَرَى، وَلَنْ أُرِيكَ، ولن تنظرَ إليّ، وتعلقتُ نفاةً
الرؤية بظاهر هذه الآية وقالوا: قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، و(لن) تكونُ
للتأبيد، قال البغوي: ولا حجةَ لهم فيه، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا،
أو في الحال، و(لن) لا تكونُ للتأبيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾
[البقرة: ٩٥] إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموتَ في الآخرة،
ويقولون: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿يَلْتَمِتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾
[الحاقة: ٢٧]، وقد وردت السنة بالحديث المتواتر أن أهلَ الإيمان يرون الله
يومَ القيامة، وقيل: إن طلبَ الرؤية لأجل الذين كانوا معه، الذين قالوا:
أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً، وردّ البيضاوي هذا القولَ، وجعله خطأً، وتقدّم كلامُ الأئمةِ
الأربعة على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي
(ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٩).

﴿ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ وهو أعظم جبلٍ بمدينٍ يقالُ له : زبير ؛ أي : لكن سأتجلى على الجبل الذي هو أقوى منك وأشد.

﴿ فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ ﴾ لم يتزلزل .

﴿ فَسَوْفَ تَرَنِّي ﴾ أي : سوف تثبت رؤيتي وتطيقها ، وقد علم تعالى أن الجبل لا يثبت عند التجلي ، فلذلك علّق الرؤية على ثبوته .

^١ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ ﴾ أي : ظهر نورُ ربّه .

﴿ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أي : مستوياً بالأرض . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (دكّاء) بالمدّ والهمز مفتوحاً ؛ أي : كأرضٍ دكّاء ، وقرأ الباقر : بالتنوين من غير مدّ ولا همز ، مصدرٌ دكّه^(١) ، ومعناه التفسير الأول .

﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ مَغْشِيًا عليه لهول ما رأى ، رُوي أنه خرَّ صَعِقًا يومَ الخميس يومَ عرفة ، وأُعْطِيَ التوراة يومَ الجمعة يومَ النحر .

﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ من غشوته ﴿ قَالَ سُبْحَنَكَ ﴾ تنزيهاً لك عن الإدراك .

﴿ بُتُّ إِلَيْكَ ﴾ عن سؤال الرؤية ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من بني إسرائيل ، وقيل : أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا . قرأ نافع ، وأبو جعفر : (وَأَنَا أَوَّلُ) بالمدّ ، والباقر : بغير مد^(٢) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٩٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٣) ، و«تفسير البغوي» (١٤٨ / ٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠٠ / ٢) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٣٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠٠ / ٢) .

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤).

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).
﴿عَلَى النَّاسِ﴾ في زمانك.

﴿بِرِسَالَتِي﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وروح عن يعقوب: (بِرِسَالَتِي) على التوحيد، والباقون: على الجمع^(٢)، وإن كان هارون شريكه في الرسالة، فهو تابع له ﴿وَبِكَلِمِي﴾ وبتكليمي.
﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة.
﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله على نعمه.

رُوي أنَّ موسى عليه السلام مكث بعد أن كلمه الله عز وجل أربعين ليلة لا يراه أحدٌ إلا مات من نور الله عز وجل.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٥).

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٠١).
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٠١).

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ أي: لموسى .

﴿فِي الْأَلْوَا حِ﴾ جمعُ لَوْحٍ ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَلُوحُ فِيهِ مَا يُكْتَبُ ، وَالْمَرَادُ :
الْوَا حِ التَّوْرَةِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : «كَانَتْ مِنْ سِدْرِ الْجَنَّةِ ، طَوْلُ اللَّوْحِ اثْنَا عَشَرَ
ذِرَاعًا»^(١) ، وَقِيلَ : كَانَتْ مِنْ زُمُرُّدٍ ، وَقِيلَ : مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ ، وَقِيلَ : مِنْ
زَبَرْجَدٍ ، وَقِيلَ : مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ^(٢) لَيَّنَّهَا اللَّهُ لِمُوسَى ، فَقَطَعَهَا بِيَدِهِ ، ثُمَّ
شَقَّهَا بِأَصَابِعِهِ فَأَطَاعَتْهُ كَالْحَدِيدِ لِدَاوُدَ ، وَكَانَتْ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ : سَبْعَةَ ،
وَقِيلَ : وَقُرَّ سَبْعِينَ بَعِيرًا ، كُلُّ لَوْحٍ كَطَوْلِ مُوسَى ، وَإِضَافَةُ الْكِتَابَةِ إِلَى نَفْسِهِ
عَلَى جِهَةِ التَّشْرِيفِ ؛ إِذْ هِيَ مَكْتُوبَةٌ بِأَمْرِهِ ، كَتَبَهَا جَبْرِيْلُ بِالْقَلَمِ الَّذِي كَتَبَ بِهِ
الذِّكْرَ ، وَاسْتَمَدَّ مِنْ نَهْرِ النُّورِ ، وَسَمِعَ مُوسَى صَرِيرَ الْقَلَمِ بِالْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ .

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِمَّا أُمُّرُوا بِهِ ، وَنُهِوا عَنْهُ ، وَعَنْ مَقَاتِلِ : كَتَبَ فِي
الْأَلْوَا حِ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، لَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا ، وَلَا تَقْطَعُوا
السَّبِيلَ ، وَلَا تَخْلِفُوا بِاسْمِي كَاذِبًا ؛ فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِاسْمِي كَاذِبًا ، فَلَا أَزْكِيهِ ،
وَلَا تَقْتُلُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَعْقُوا الْوَالِدِينَ .

﴿مَوْعِظَةً﴾ تَذْكِيرًا وَتَحْذِيرًا بِمَا يُخَافُ عَاقِبَتُهُ .

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تَبْيِينًا لِّكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ فِي دِينِهِمْ إِلَيْهِ .

﴿فَخَذَهَا﴾ أَيِ : الْأَلْوَا حِ ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بِجَدٍّ وَاجْتِهَادٍ .

﴿وَأَمَرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ بِالْأَحْسَنِ مِنْهَا ، وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ فُضَائِلِهَا

وَفَرَائِضِهَا .

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٥٦٣/٥) .

(٢) «صَمَاءٌ» سَاقِطَةٌ مِنْ «ش» .

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ دَارَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ بِمِصْرَ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُورُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (١٤٦).

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ﴾ أي: عن تدبيرها^(١) وفهمها.

﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ على الناس.

﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم وأعمى بصائرهم. قرأ ابن عامر، وحمزة: (آيَاتِي الَّذِينَ) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، والباقون: بالفتح^(٢).

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ دَالَّةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم.

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرُّشْدِ) بفتح الراء والشين، والباقون: بضم الراء وسكون الشين، وهما لغتان^(٣)؛ كالبُخْل والبَخْل، ومعناه: الفلاح.

(١) في «ن»: «تدبيرها».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٢-١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٢).

﴿ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ لَأَنْفُسِهِمْ ؛ لَا سَبِيلًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَى ﴾ أي : طريق الضلال .

﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ فهم ضالون .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : الصرف .

﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ساهين .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٧) .

[١٤٧] ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ ﴾ الدار ﴿ الْآخِرَةِ ﴾ التي هي موعد الثواب والعقاب ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بَطَلَتْ ﴿ أَعْمَلُهُمْ ﴾ وصارت كأن لم تكن ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ ﴾ أي : لا يجزون في الآخرة ﴿ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمِيرُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١٤٨) .

[١٤٨] ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي : من بعد ذهابه إلى المناجاة .

﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ التي استعاروها من القبط بسبب عرس كان لهم ، ونسب الاتخاذ إليهم ، وإن اتخذهُ السامريُّ وحده ؛ لأنهم رَضُوا بفعله ، واتخذوا العجلَ معبوداً . قرأ حمزة ، والكسائي : (حُلِيِّهِمْ) بكسر الحاء ، ويعقوب : بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء على الأفراد ، والباقون : بضم

الحاء، جمع حَلْي، وكلُّهم كسر^(١) اللام وشَدَد^(٢) الياء مكسورةً سوى يعقوب^(٣)؛ أي: اتخذ السامريُّ منها.

﴿عَجَلًا﴾ مفعولٌ (اتخذ).

﴿جَسَدًا﴾ ذا لحمٍ ودم.

﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ صوتُ البقرِ، رُوي أنَّ السامريَّ لما صاغَ العجلَ ألقى في فيه من ترابِ أثرِ فرسٍ جبريلَ، فصار حيًّا، وقيل: الصوتُ من دخولِ الريح فيه، ثم عجبَ من عقولهم السخيفةِ فقال:

﴿الْمَرِئُونَ أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ تقريراً على فرطِ ضلالَتهم، ثم قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ تكررٌ للذمِّ؛ أي: اتخذوه إلهًا. ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ بذلك.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٤٩).

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادةِ العجل، يقال لكلٍّ من ندم: (سَقَطَ في يده)؛ فإنَّ النادمَ المتحسّرَ يَعْضُ يده غمًّا، فتصيرُ يده مسقوطاً فيها.

(١) في «ن»: «كسروا».

(٢) في «ن»: «وشددوا».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١٥٣/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠٣/٢).

﴿وَرَأَوْا﴾ عَلِمُوا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل .

﴿قَالُوا﴾ تَائِبِينَ : ﴿لَيْنَ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنْ﴾
الْخَسِرِينَ ﴿قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تَرْحَمْنَا) (وَتَغْفِرْ لَنَا) بالتاء
فيهما على الخطاب (رَبَّنَا) بنصب الباء على النداء، وقرأ الباقر: بالغيب
فيهما، ورفع الباء فاعلاً^(١) .

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾
أَعِجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ
الْقَوْمَ اسْتَزَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ .

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ شديد الغضب، وقيل:
حزيناً .

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي﴾ قُمتُم مقامي ؛ أي : بئسما عملتُم .

﴿مِنْ بَعْدِي﴾ أي : بعد ذهابي . قرأ الكوفيون، وابنُ عامر، ويعقوبُ:
(بَعْدِي) بإسكانِ الباء، والباقر: بفتحها^(٢) .

﴿أَعِجَلْتُمْ﴾ أَسَبَقْتُم بعبادة العجل .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٤) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص:
١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٥) .

﴿أَمَرَ رَبِّكَمُ﴾ وهو انتظارُ موسى لِيَأْتِيَهُم بالتوراة بعدَ أربعينَ ليلةً، وأصلُ العجلة: طلبُ الشيءِ قبلَ حينه.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاَحَ﴾ التي فيها التوراةُ غَضَباً لدينه، وكان حاملاً لها، فتكسَّرتُ، فرفعَ ستةَ أسباعِ التوراةِ، وبقي سُبْعُها، وهو ما فيه الموعظةُ والأحكامُ، ورفعَ ما كانَ من أخبارِ الغيبِ.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعرِ رأسِه ولحيته ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ غَضَباً عليه؛ كيفَ مَكَّنَهُم من عبادةِ العجلِ، وكانَ هارونُ أكبرَ من موسى بثلاثِ سنينَ، وأحبَّ إلى بني إسرائيلَ؛ لرفقتهِ لهم.

﴿قَالَ﴾ هارونُ عندَ ذلكَ: يا ﴿ابْنَ أُمِّ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (ابْنَ أُمِّ) بكسرِ الميمِ؛ أي: يا بنَ أُمي، فحذفتِ الياءَ بالإضافة، وبقيتِ الكسرةُ لتدلَّ على الإضافة؛ كقوله: (يا عبادِ)، وقرأ الباقونَ: بالفتح؛ أي: يا بنَ أُماء^(١)، وذكرَ الأُمَّ ليرقِّقهُ عليه، وكانا من أبٍ وأُمٍّ.

﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ يعني: عبدةَ العجلِ.

﴿أَسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا﴾ همُّوا أنْ.

﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشِمِتْ﴾ تفرِّحْ ﴿بِالْأَعْدَاءِ﴾ بإهانتِكَ إيايَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادةِ العجلِ؛ أي: قريناً لهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٤)، و«الأمالي» لابن الشجري (٢/ ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٦).

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٥١)

[١٥١] فلما اتَّضَحَ عذرُ أخيه ﴿ قَالَ ﴾ موسى :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ما صنعتُ بأخي .

﴿ وَلِإِخِي ﴾ إِنَّ كَانَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ ؛ ليرضيَ أخاه ، ويسيءَ الشامتين .

﴿ وَأَدْخِلْنَا ﴾ جميعاً .

﴿ فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أرحمُ بنا منا^(١) على أنفسنا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (١٥٢)

[١٥٢] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ مخاطبةٌ من الله سبحانه لموسى عليه

السلام ؛ لقوله تعالى :

﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ هو أمرهم بقتل أنفسهم توبةً .

﴿ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ هي خروجهم من ديارهم ؛ لأن في الغربة ذلةً .

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ على الله ، قال أبو قلابة : هو والله جزاء كلِّ

مُفْتَرٍ إلى يوم القيامة أَنْ يُذَلَّهُ الله .

(١) «منا» زيادة من «ت» .

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٥٣).

[١٥٣] ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ من معصية وكفر .

﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي : السيئات .

﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لجميع الذنوب .

﴿ رَحِيمٌ ﴾ لمن تاب .

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى
وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١٥٤) .

[١٥٤] ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ أي : سكنَ و زال .

﴿ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ باعتذارِ هارون .

﴿ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ﴾ بعدَ إلقائها .

﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ أي : ما نُسخَ فيها ؛ أي : كُتب .

﴿ هُدًى ﴾ من الضلال .

﴿ وَرَحْمَةً ﴾ من العذاب .

﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ يخافون من ربهم .

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ .

[١٥٥] ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه، فحُذِفَ الجارُّ، فتعدَّى الفعلُ فنصبَ (قَوْمَهُ).

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي واعدناه أن يأتينا فيه بسبعين رجلاً من خيار قومه يعتذرون إلينا من عبادة العجل، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء، فسمعوا أمر الله ونهيه، فقالوا: أرنا الله جهرةً، فزجرهم موسى فلم ينزجروا، فأخذتهم الرجفة؛ أي: الصاعقة، فماتوا يوماً وليلة، وتقدّم ذكرُ القصّة في سورة البقرة، وقال وهبٌ: لم تكن الرجفة موتاً، ولكن لما رأوا تلك الهيئة العظيمة، أخذتهم الرعدة، ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ رحمهم موسى .

و ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ عن عبادة العجل .

﴿وَإِنِّي﴾ بقتل القبطي .

﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ أتعننا بالهلاك .

﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف، ومعناه نفّي؛ أي: ما تعدّينا بذنب غيرنا .

﴿إِنَّ هِيَ﴾ أي: الفتنة .

﴿إِلَّا فَنَنْتُكَ﴾ محتتك واختبارك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية.

﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ أي: بالامتحان.

﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ ضلاله.

﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هُداؤه.

﴿أَنْتَ وَلَيْنَا﴾ القائمُ بأمرنا، وتقدّم التنبيه على اختلافِ القراءِ في حكم الهمزتين من كلمتين عند قوله تعالى: ﴿أَنْ لَوْ تَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، وكذلك اختلافُهم في (مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ).

﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ واغفر معناه: استر ما قارفناه.

﴿وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر السيئة، وتبديلها بالحسنة، وقيل: إن السبعين الذين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة، كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة.

﴿وَكَتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦].

[١٥٦] ﴿وَكَتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ عافية.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة.

﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تُبْنَا.

﴿إِلَيْكَ﴾ أي: حررنا نفوسنا إليك بالتوبة.

﴿ قَالَ ﴾ الله سبحانه :

﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ من خلقي . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفر :
(عَذَابِي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ ﴾ عَمَّتْ .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ ، فلما نزلت ، قال الخبيث إبليس : أنا شيءٌ ، فأُخرج منها
بقوله تعالى :

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ أي : أثبتُها في الآخرة .

﴿ لِلَّذِينَ يَنْفُونَ ﴾ الكفر .

﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ خصَّها بالذكر ؛ لأنها كانت أشقَّ عليهم .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ
لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

[١٥٧] فقال أهلُ الكتاب : نحن نتقي ونزكي ونؤمنُ ، فخرجوا منها

بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ ﴾ هو محمدٌ ﷺ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٠١-٣٠٢) ، و«التيسير» للداني (ص :

١١٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٩) .

﴿الْأُمِّيَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ، منسوبٌ إلى الأمِّ؛ أي: هو على ما ولدته أمُّه، وصفه به تنبيهاً على أن كمالَ علمه مع حاله أحدُ معجزاته.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ أي: وصفه.

﴿مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان.

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الشرك، والمعروف: ما عرفه العقل أو الشرع بالحُسن، والمنكر: ما أنكره أحدهما لقبحه.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ كالشحوم ونحوها مما كان حُرِّمَ^(١) عليهم.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ ما يُسْتَخْبَثُ حسّاً؛ كالدم والميتة ونحوهما.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وهو كلُّ ما يثقلُ على الإنسان من قولٍ أو فعلٍ. قرأ ابنُ عامرٍ: (آصَارَهُمْ) على الجمع، والباقون: على الإفراد^(٢).

﴿وَالْأَغْلَالِ﴾ الأثقال.

﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ من التكاليفِ الشاقّة؛ كتعيُّنِ القصاصِ في القتلِ العمدِ والخطأ، وتحريمِ أخذِ الدية، وقطعِ الأعضاء الخاطئة، وقَرْضِ موضعِ النجاسة من الجلدِ والثوبِ بالمقراضِ، وتركِ العملِ في السبتِ، وأنَّ صلاتهم لا تجوزُ إلا في الكنائسِ، وغير ذلك من الشدائد.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّوْهُ﴾ عَظَّمُوهُ.

(١) في «ن»: «حرام».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٠).

﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على الأعداء .

﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي : عليه ، يعني : القرآن .

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون .

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨) .

[١٥٨] ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ هذا أمرٌ من الله سبحانه لنبيه بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع ، والمعنى : إن كل رسول بُعث لأُمَّته ، والنبي ﷺ بُعث إلى كافة الثقليين .

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة لله ، وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله : ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لأنه كالمقدم عليه .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا معبود سواه .

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ مزيدٌ تقرير ؛ لاختصاصه بالألوهية .

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه .

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة أن تهتدوا .

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٩).

[١٥٩] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ يعني : المؤمنين الثابتين من بني إسرائيل .

﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة .

﴿يَهْدُونَ﴾ الناس .

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي : يرشدونهم بكلمة الحق .

﴿وَبِهِ﴾ أي : بالحق .

﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينهم في الحكم .

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٦٠).

[١٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ﴾ أي : صَيَّرْنَاهُمْ ؛ يعني : بني إسرائيل .

﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ والسَّبْطُ مذكَّرٌ ، فرجع التأنيثُ إلى قوله :

﴿أُمَمًا﴾ أي : قبيلة ، والأسباطُ : القبائلُ ، واحدُها سبطٌ ، وكانوا اثنتي عشرة قبيلةً من اثني عشرَ ولدًا من ولدِ يعقوبَ - عليه السلام - ، وكان كلُّ سبطٍ أمةً عظيمةً ، والسبطُ في ولدِ إسحاقَ كالقبيلةِ في ولدِ إسماعيلَ ، وتُنصبُ (أسباطاً) بدلاً من (اثنتي عشرة) وتُنصبُ (أُمَمًا) نعتاً لأسباطاً .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ﴾ في التيه .
 ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ ﴾ انفجرت .
 ﴿ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ لكل سبط عين .
 ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾ كل سبط .
 ﴿ مَشْرِبَهُمْ ﴾ وكل سبط بنو أب واحد .
 ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ﴾ ليقبهم حرّ الشمس .
 ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ سبق تفسيرهما في سورة البقرة .
 ﴿ كُلُوا ﴾ أي : وقلنا لهم : كلوا .
 ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وسبق
 تفسيره أيضاً فيها .

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
 وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦١) .

[١٦١] ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي : واذكر إذ قيل لهم :
 ﴿ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ هي بيت المقدس .
 ﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ
 لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وعدّ بالغفران والزيادة عليه
 بالإثابة ، وتقدّم تفسيره في سورة البقرة ، وتقديم (قُولُوا حِطَّةً) على
 (وَادْخُلُوا) هنا لا أثر له في المعنى ؛ لأنه لا يوجبُ الترتيب . قرأ نافعٌ ،

وأبو جعفر، ويعقوب، وابن عامر: (تُغْفَرُ) بالتاء مضمومةً وفتح الفاء، والباقون: بالنون مفتوحةً وكسر الفاء، وقرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (خَطِيئَاتُكُمْ) بجمع السلامة ورفع التاء، وابن عامر: (خَطِيئَتُكُمْ) بالافراد ورفع التاء، وأبو عمرو: (خَطَايَاكُمْ) على وزن عَطَايَاكُمْ بجمع التكسير، والباقون وهم الكوفيون، وابن كثير: بجمع السلامة وكسر التاء نصباً^(١)، واتفقوا على (خَطَايَاكُمْ) في البقرة من أجل الرسم.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾^(١٦١).

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ تقدم تفسيره في البقرة.

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١٦٣).

[١٦٣] ﴿وَسَأَلَهُمْ﴾ أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (وَسَأَلَهُمْ) بنقل

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥-٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (١٦١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤١٣-٤١٢/٢).

حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وهو السين^(١).

﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: سلّمهم عن خبر أهل القرية.

﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ أي: على شاطئها، وهي أيلة مدينة كانت على شاطئ البحر بين مصر ومكة، سُميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم - عليه السلام -، وهي أول حدّ الحجاز من جهة الشام، وكانت حدّ مملكة الروم في الزمن الماضي، وبينها وبين بيت المقدس نحو ثمانية أيام، والطور الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة منها.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يتعدّون ما أمروا به من ترك الصيد.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي: تعظيمهم أمر السبت.

﴿شُرْعًا﴾ ظاهرة على الماء، جمع شارع.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يقطعون الشغل.

﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبَلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم، وتقدّم ذكر القصة مستوفى؛ وحكم طلب القاضي لليهودي في يوم السبت في سورة البقرة.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٤).

[١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعةٌ من صلحائهم بعدَ يأسيهم من توبة

العادين :

﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة؛ لتماديهم في العصيان؛ أي: وجبَ عذابُهم، فلا ينفَعُهم الوعظُ.

﴿قَالُوا﴾ أي: الناهون ﴿مَعذَرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصم: (مَعذَرَةً) بالنصب؛ أي: نفعلُ ذلكَ معذرةً إلى ربكم، وقرأ الباقون: (مَعذَرَةً) بالرفع^(١)؛ أي: موعظتنا عذرٌ عنده لئلاَّ نُنسبَ إلى تقصيرٍ ما في النهي عن المنكر.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئسٍ بما كانوا يفسقون ﴿١٦٥﴾.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ أي: تركَ أهلُ القرية.

﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من الوعظِ من الصيد.

﴿أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهو أخذُ الحيتان.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بأخذها.

﴿بِعَذَابٍ بَّيْسٍ﴾ شديد. قرأ ابنُ عامرٍ (بئس) بكسرِ الباءِ وهمزة ساكنة

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٥).

بعدها، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بكسرِ الباءِ وياءٍ ساكنةٍ بعدها من غيرِ همزٍ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (بَيَّسٍ) بفتحِ الباءِ وسكونِ الياءِ وفتحِ الهمزةِ على وزن (فَعِيلٍ)، [وقرأ الباقون: بفتحِ الباءِ وكسرِ الهمزةِ وياءٍ بعدها على وزن (فَعِيلٍ)]^(١)، وكلُّها لغاتٌ^(٢)، وكانَ أهلُ القريةِ نحوَ سبعينَ ألفاً، ثلثُ نهوا، وثلثُ لم ينهوا وسكتوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وثلثُ هم أصحابُ الخطيئةِ، فنجتِ الساكنةُ والناهيَةُ، وعُذِّبَتِ الصائدةُ عذاباً شديداً.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسببِ فسقِهِم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآئِهِمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تجبَّروا.

﴿عَنْ مَآئِهِمْ﴾ من الصيدِ، فلم يمتثلوا النهيَ.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مُبْعَدِينَ، فمكثوا ثلاثةَ أيامٍ ينظرُ إليهم الناسُ، ثم هلكوا، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفاةً في سورةِ البقرة، وذكرُ الخلافِ في حكمِ الحيلِ.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤١٦-٤١٨).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٧).

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم.

﴿رَبُّكَ﴾. قرأ أبو عمرو: (تَأَذَّنَ رَبُّكَ) بإدغام النون في الراء^(١)، المعنى: وإذ أوجب وحكم ربُّكَ.

﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ليرسلنَّ على اليهود.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يُذيقُهُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فبعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بُخْتَ نَصْرَ، فخرَّب ديارهم، وقتلهم، وسبى نساءهم وذرائعهم، وضرب الجزية على مَنْ بقي منهم، وكانوا يؤدُّون الجزية إلى المجوس إلى بعث محمد ﷺ، فضربها عليهم إلى يوم القيامة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ عاقبهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب وآمن.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٦٨).

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقا، حال.

﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ المؤمنون بمحمد ﷺ.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: مُنْحَطُّون عن رتبة الصالحين، وهم الكفرة.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٢٠).

﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ النعم .

﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ النقم .

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ينتهون عن كفرهم .

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦٩) .

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي : فخلف بعد المذكورين جماعة، وهم مَنْ عاصر النبي ﷺ من اليهود، والخلفُ بفتح اللام : الصالح، وبالسكون : الطالح، والتلاوة بسكون اللام .

﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ أي : التوراة .

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ هذا الشيء الدنيء من حُطام الدنيا، وهو الرشوة لتغيير بعض ما في التوراة، وصفة محمد ﷺ .

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا نؤاخذ بذلك .

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أي : يرجون المغفرة وهم عائدون إلى مثل فعلهم، والمغفرة إنما تحصل للتائب . قرأ رويس عن يعقوب : (يَأْتِهِمْ) بضم الهاء^(١) .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص : ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٠) .

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ ﴾ أي : إنما أخذ عليهم العهد في التوراة .
﴿ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ والمرادُ توبيخهم على البتِّ بالمغفرة مع
عدم التوبة ، وليس في التوراة إيعاد المغفرة مع الإصرار .
﴿ وَدَرَسُوا ﴾ أي : قرؤوا .

﴿ مَا فِيهِ ﴾ وعلموه .

﴿ وَالَّذِينَ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُ ﴾ مما يأخذ هؤلاء .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فيعلمون ذلك . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، وابنُ عامرٍ ،
ويعقوبُ ، وحفصٌ عن عاصمٍ : (تَعْقِلُونَ) بالخطاب ، والباقون :
بالغيب^(١) .

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠) .

[١٧٠] ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (يُمَسِّكُونَ) مخففاً ،
والباقون : مشدداً^(٢) ؛ أي : يعتصمون ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب :
عبدُ الله بنُ سلام وأصحابه تمسكوا .

﴿ بِالْكِتَابِ ﴾ الذي جاء به موسى ، فلم يحرفوه ، ولم يكتموه .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٠٢ و ١١٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص : ٢٣٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٩٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٤) ،

و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢١) .

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ وَخُصَّتِ الصَّلَاةُ بِالذِّكْرِ تَفْضِيلًا
لَهَا.

﴿وَإِذْ نَنْقُنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١).

[١٧١] ﴿وَإِذْ نَنْقُنَا﴾ رَفَعْنَا.

﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ فَرَفَعْنَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ هُوَ كُلُّ مَا غَطَّى وَسْتَرَ مِنْ سَحَابٍ وَغَيْرِهِ.

﴿وَظَنُّوا﴾ عَلِمُوا وَأَيَقَنُوا.

﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ فَلَمَّا تَيَقَّنُوا الْهَلَكَ، قَبِلُوا التَّوْرَةَ، فَقُلْنَا لَهُمْ:

﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ عَزِمَ، وَإِنْ شَقَّ عَلَيْكُمْ.

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَاعْمَلُوا بِهَا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قَبَائِحَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ

التَّوْرَةِ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ جَبَلًا، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ، خَرَّ كُلُّ رَجُلٍ
سَاجِدًا لِلَّهِ عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ يَنْظُرُ بَعَيْنِهِ الْيَمْنَى إِلَى الْجَبَلِ فَرَقًا مِنْ أَنْ يَسْقُطَ
عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ يَهُودِيًّا إِلَّا وَيَكُونُ سَجُودُهُ عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، وَتَقَدَّمَ
ذِكْرُ الْقِصَّةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢).

[١٧٢] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم: إخراجهم من أصلابهم كالذّر، ولم يذكر ظهر آدم؛ للعلم به، والإخراج كان منه؛ لأنهم استلّوا من ظهر آدم، ثم استلّوا نسلًا من نسل كما يتوالد الأبناء من الآباء، المعنى: واذكر وقت أخذ الله تعالى الميثاق على بني آدم حين استلّوا من ظهره، واستلّ أولادهم من ظهورهم. قرأ الكوفيون، وابن كثير: (ذُرِّيَّتَهُمْ) على الأفراد مع نصب التاء؛ لأنها جنسٌ تعمُّ القليل والكثير، وقرأ الباقون: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) على الجمع مع كسر التاء^(١)، روي أن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى، فأخرج منه ذريةً بيضاء كهية الذرّ يتحرّكون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذريةً سوداء كهية الذرّ، فقال: يا آدم! هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألسنتُ ربّكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي، وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلّهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وروي أن أهل السعادة أقروا طوعاً، وقالوا:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٢).

﴿بَلَى﴾ ، وأهل الشقاوة قالوه تقيّة، وكُرّها، وذلك معنى قوله تعالى :
﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ﴾ ^(١) [آل عمران :
٨٣] ، وكان الميثاق بنعمان ، وهي عرفة وما يليها ، وقيل : بأرض الهند حيث
هبط آدم عليه السلام فيه ، وقيل : في سماء الدنيا حين هبط من الجنة إليها .

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي : أشهد بعضهم على بعض حين قال :
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ استفهام تقرير ؛ أي : ما تقرُّون وتعرفون بأني ربُّكم ؟

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ نحنُ نقرُّ ونعترف بهذا الاعتراف والإقرار ، وهذا شأنُ بني
آدمَ لا يُسألُ أحدٌ منهم : أليس الله ربُّك ؟ إلا قال : بلى ، فهم مفطورون على
ذلك ، فكلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة ، فالإقرارُ بالخالقِ فطريٌّ لهم ، كلُّهم يُقرُّ
به ، وقولهم : (بلى) ردٌّ للنفي ، فثبت إيمانهم ؛ لجوابهم ببلى ، ولو أجابوا
بنعم ، لكفروا ؛ لأن (نعم) تصديقٌ لما سبقها من نفي أو إثبات ، و(بلى)
إثباتٌ لما بعدَ النفي ، وليسَ نفيٌّ ، واستفهامُ التقريرِ أكَّدَ معنى النفي ، والباءُ
في خبر (ليس) زادته تأكيداً ، وتقديره : بلى أنت ربُّنا .

﴿شَهِدْنَا﴾ على أنفسنا ، وأقرُّنا بوحدانيتك .

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي : فعلنا ذلك بهم حتى اعترفوا لئلاً يقولوا .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ الإقرار .

﴿غَفْلِينَ﴾ لم نشعر ، فلم يبقَ لهم حجةٌ علينا .

قال القرطبي : فقد استدللَّ بهذه الآية أنَّ من مات صغيراً دخل الجنة ؛

لإقراره في الميثاق الأول ، ومن بلغ العهد ، لم يُغْنِه الميثاق ^(٢) .

(١) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨ / ٨٥) .

(٢) انظر : «تفسير القرطبي» (٧ / ٣١٧) .

﴿ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١٧٣).

[١٧٣] ﴿ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فاقْتَدَيْنَا بِهِمْ. قرأ أبو عمرو: (أَنْ يَقُولُوا) و(أَوْ يَقُولُوا) بالغيب، لأنَّ أولَ الكلامِ على الغيبة، وقرأ الباقون: بالخطاب فيهما^(١)، رداً على لفظِ الخطابِ المتقدمِ في قوله: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)؛ أي: أخاطبُكم بذلك لئلا تقولوا يومَ القيامة: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

﴿ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ فتعذَّبنا بجنايةِ آبائنا المبطلين، فلا يُمكنهم الاحتجاجُ بذلك مع الإقرار.

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٧٤).

[١٧٤] ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ أي: نبيِّنُها ليتدبَّرَها العبادُ. ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ من الكفرِ إلى التوحيد، قال البغوي: فإن قيل: كيف تلزمُ الحجةُ واحداً لا يذكرُ الميثاق؟! قيل: قد^(٢) أوضحَ اللهُ الدلائلَ على وحدانيته، وصدقَ رسله فيما أخبروا، فمن أنكره، كان معانداً ناقضاً للعهد، ولزمته الحجة، وبنسيانهم وعدمِ حفظهم لا يسقطُ الاحتجاجُ بعدَ إخبارِ المخبرِ الصادقِ صاحبِ المعجزة ﷺ^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)،

و«تفسير البغوي» (١٦٨/٢)،

(٢) في «ت»: «وقد».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤٢٣/٢).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ (١٧٥).

[١٧٥] ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اسرُدْ وقصَّ عليهم، والضميرُ في (عليهم) عائد على حاضري محمد ﷺ من الكفار وغيرهم.

﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ قيل: نزلت في أمية بن أبي الصلت، كان قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسلٌ رسولاً في ذلك الزمان، ورجا أن يكون هو، فلما بُعث محمد ﷺ، حسده، وكفر به، وقيل: نزلت في عالمٍ من علماء بني إسرائيل اسمه بلعم بن باعوراء، أُوتي علم بعض كتب الله، فطلب قومه منه أن يدعو على موسى ومن معه، فأبى، وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة، فألحوا عليه، فلم يزالوا به حتى فعل، فانقلب دعاؤه عليه، وخرج لسانه على صدره، ونزع الله منه المعرفة.

﴿فَأَنشَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج من الآيات بكفره كما تخرج الحية من جلدها، ولم ينتفع بعلمه^(١).

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لحقه وصار قريناً له.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ الضالين، وهذه أشدُّ آية على العلماء، وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ من أن يؤتى العالم علماً، فيكون وبالاً عليه؟! *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦٠٨/٣).

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦).

[١٧٦] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾ بعلمه .

﴿ بِهَا ﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء .

﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ ﴾ اطمأن .

﴿ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ يعني : الدنيا .

﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ في إيثار الدنيا واسترضاء قومه .

﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ صفته .

﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ في أحسن أوصافه ، وهي .

﴿ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ ﴾ يدلغ لسانه .

﴿ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثَ ﴾ أي : إن زجرته بالموعظة ، فلم ينزجر ، وإن

تركته ، لم يهتد ، فالحالتان عنده سواء .

﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ،

وأبو جعفر ، وابن عامر بخلاف عن قالون : (يَلْهَثُ ذَلِكَ) بإظهار الثاء عند

الذال ، والباقون : بالإدغام^(١) .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٣) ، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/ ٤٢٤) .

﴿ فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ ﴾ أي : اسرُدْ عليهم ما يعلمون أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا أهل الكتب الماضية .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ذلك ، فيؤمنون .

﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (١٧٧) .

^١ [١٧٧] ﴿ سَاءَ ﴾ أي : بئس .

﴿ مَثَلًا الْقَوْمُ ﴾ التقدير : ساء مثلاً مثلُ القوم .

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بعد علمهم بها .

﴿ وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ أي : جمعوا بين التكذيب وظلم أنفسهم .

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٧٨) .

[١٧٨] ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ ﴾ أجمع القراء على إثبات الياء هنا في (المهتدي) ^(١) .

﴿ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ تصريح بأن الهدى والضلال من الله تعالى ، وفيه ردُّ على القدرية ، وعلى من قال : إن الله تعالى هدى جميع المكلَّفين ، ولا يجوز أن يُضِلَّ أحداً .

(١) انظر : «المقنع في رسم مصاحف الأمصار» باب : ذكر ما رسم بإثبات الياء على الأصل ، (ص : ١٤) .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ .

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خَلَقْنَا. قرأ أبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) بإدغامِ الدالِ في الذالِ، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وهم الذين حَقَّتْ عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ إذ لا يُلقونها إلى معرفة الحقِّ.

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ سبيلَ الرشادِ.

﴿وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواظَ القرآنِ فيؤمنون، ثم ضربَ لهم مثلاً في الجهلِ فقال:

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ﴾ في عدمِ الفهمِ والاقتصارِ على نيلِ الشهواتِ.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنَّ الأنعامَ تطلبُ منافعها، وتهربُ من مضارِّها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٤).

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠).

[١٨٠] رُوي أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟! فأنزل الله عز وجل:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ﴾ (١) الصفات.

﴿الْحُسْنَى﴾ العليا الدالة على معاني حسنة.

﴿فَادْعُوهُ﴾ سَمُّوهُ ﴿بِهَا﴾.

قال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعاً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، إِنَّ اللَّهَ وَتَرٌّ يُحِبُّ الْوِتْرَ» (٢)، ومعنى أحصاها: حفظها وهي: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواحد»

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٧)، كتاب: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحدة، ومسلم (٢٦٧٧)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

الماجدُ الواحدُ الأحدُ الصمدُ القادرُ المقتدرُ المقدمُ المؤخرُ الأولُ الآخرُ
الظاهرُ الباطنُ الوالي المتعال البرُّ التوابُ المنتقمُ العفوُّ الرؤوفُ مالكُ
الملِكِ ذو الجلالِ والإكرامِ المقسطُ الجامعُ الغنيُّ المغني الضارُّ النافعُ النورُ
الهادي البديعُ الباقي الوارثُ الرشيدُ الصبورُ» حديثٌ حسنٌ رواه الترمذي
وغیره^(١).

^١ قال الياقعي رحمه الله في كتابه «الدرّ النظيم في فضائل القرآن العظيم»: وهي في القرآن على هذا الترتيب، في سورة الفاتحة خمسة: الله ربُّ الرحمن الرحيم مالك، وفي سورة البقرة ستة وعشرون: محيطٌ قديرٌ عليمٌ حكيمٌ توابٌ نصيرٌ واسعٌ بديعٌ سميعٌ كافي رؤوفٌ شاکرٌ إلهٌ واحدٌ غفورٌ حلیمٌ قابضٌ باسطٌ لا إلهَ إلا هو حيٌّ قيومٌ عليٌّ عظيمٌ وليٌّ غنيٌّ حميدٌ، وفي سورة آل عمران ثلاثة: قديمٌ وهابٌ سريعٌ، وفي سورة النساء سبعة: رقيبٌ حسيبٌ شهيدٌ غافرٌ غفورٌ مُقيتٌ وكيلٌ، وفي الأنعام خمسة: باطنٌ قاهرٌ قادرٌ لطيفٌ خبيرٌ، وفي سورة الأعراف اثنان: مُحييٌ مُميتٌ، وفي سورة الأنفال اثنان: نعم المولى ونعم النصير، وفي سورة هود سبعة: حفيظٌ قريبٌ مجيبٌ قويٌّ مجيدٌ ودودٌ فعّالٌ لما يريدُ، وفي سورة الرعد اثنان: كبيرٌ مُتعالٍ، وفي سورة إبراهيم: مَنَّانٌ، وفي سورة الحج: باعثٌ، وفي سورة المؤمنين: كريمٌ، وفي سورة النور ثلاثة: نورٌ حقٌّ مبينٌ، وفي سورة سبأ: فتاحٌ، وفي سورة المؤمن أربعة: قابلُ التوبِ شديدُ العقابِ ذو الطولِ غفارٌ، وفي سورة الذاريات اثنان: رزاقٌ ذو القوة المتينٌ، وفي سورة الطور: برٌّ، وفي سورة القمر: مقتدرٌ، وفي سورة الرحمن: ذو الجلالِ والإكرامِ، وفي

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٣) وقال: غريب.

سورة الحديد أربعة: أول آخر ظاهر باطن، وفي سورة الحشر عشرة: قُدُوسٌ سلامٌ مؤمنٌ مهيمٌ عزيزٌ جبارٌ متكبرٌ خالقٌ بارئٌ مصورٌ، وفي سورة البروج: مبدئٌ معيدٌ، وفي سورة الإخلاص أحدٌ صمدٌ. انتهى.

﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا.

﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ويسمون به بما لا توقف فيه، والإلحاد: الميل عن الحق. قرأ حمزة: (يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء^(١)، وهما لغتان، والملحدون: هم المشركون، عدلوا بأسماء الله عمّا هي عليه، فسمّوا بها أوثانهم، فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٨١﴾

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ هم المسلمون.

﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يأخذون به.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الأمر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٨٢].

[١٨٢] ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ سنأخذهم قليلاً قليلاً كما

يترقى الدرجة درجةً درجةً .

﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما نريدُ بهم .

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [١٨٣].

[١٨٣] ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أطيلُ المدَّةَ .

﴿ إِنَّ كَيْدِي ﴾ أَخْذِي .

﴿ مَتِينٌ ﴾ شديدٌ، وسمي كيداً؛ لأنَّ ظاهره إحسانٌ، وباطنه خذلانٌ .

﴿ أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [١٨٤].

[١٨٤] رُوي أنه ﷺ قامَ على الصفا ليلاً يدعو قريشاً فخذاً فخذاً

يحدِّرُهم وقائعَ الله تعالى، فقالَ قائلُهم: إنه مجنونٌ باتَ يصوِّتُ على الصِّفا إلى الصباح، فنزل:

﴿ أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا ﴾ ^(١) أَبْصَاحِهِمْ جنونٌ أم لا؟ ثم نفى عنه الجنونَ بقوله:

﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ ﴾ أي: جنون .

﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ أي: ما هو .

﴿ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ واضحٌ إنذاره .

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/١٦٢٤)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلي

(١/٤٧٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٦١٨).

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٥).

[١٨٥] ثم وَبَّخَهُمْ على تركِ النظرِ المؤدِّي إلى العلمِ فقال:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ أي: مُلْكِ.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما فيهما من الصُّنْعِ.

﴿وَمَا﴾ أي: وفي ما.

﴿خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ فيعلموا صدقَه.

﴿وَأَنْ﴾ أي: وأنه.

﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ فيموتوا قبلَ الإيمانِ.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي: بعدَ القرآنِ.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إن لم يؤمنوا به؟! فإنه ليسَ بعده كتابٌ، ولا بعدَ محمدٍ ﷺ

نبيٌّ.

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦).

[١٨٦] ثم ذكرَ علةَ إعراضهم عن الإيمانِ فقال:

﴿مَنْ يُضِلِلِ﴾ أي: يُضِلِّلُهُ.

﴿اللَّهُ فَكَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصمٌ، ويعقوبُ

(وَيَذَرُهُمْ) بالياء، ورفعَ الراءَ على الاستثناف؛ أي: واللهُ يذرُهُم، وقرأ

نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: بالنون والرفع؛ أي: ونحنُ

نذرهم، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالياء وجزم الراء عطفاً على موضع الفاء وما بعدها من قوله: (فَلَا هَادِيَ لَهُ)؛ لأنه موضع جزم^(١).

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

[١٨٧] ولما قالت قريش للنبي ﷺ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ قَرَابَةٌ، فأسرَّ إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾^(٢) أي: متى.

﴿مُرْسَاهَا﴾ أي: الوقت الذي تقوم فيه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى يكون.

﴿عِنْدَ رَبِّي﴾ استأثر بعلمها.

﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها.

﴿لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ﴾ لا اختصاص به.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨-٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص:

١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٢٦).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (٢/٢٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي

(ص: ١٢٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٦٢٢).

﴿ثَقُلْتُ﴾ خَفِيتُ .

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : خفيت معرفتها على أهلها ، وإذا خفي الشيء ، ثَقُلَ .

﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْثَةٌ﴾ فجأة على غفلة كما قال - عليه السلام - : «إِنَّ السَّاعَةَ تَهِيْجُ بِالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ ، وَالرَّجُلُ يَسْقِي مَاشِيَّتَهُ ، وَالرَّجُلُ يَقُومُ بِسِلْعَتِهِ فِي سُوقِهِ ، وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ»^(١) .

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي : كأنك ألححت في طلب علمها فعلمتها .

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ كرّره تأكيداً ؛ أي : لا يعلم وقت مجيئها ، ولا يأتي بها فيه بغثة إلا الله تعالى .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عند الله ، بل يظن أكثرهم أنه مما يعلمه البشر .

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٨٨) .

[١٨٨] قال ابن عباس : «إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ! أَلَا يُخْبِرُكَ رَبُّكَ بِالسَّعْرِ الرَّخِيسِ قَبْلَ أَنْ يَغْلُو ، فَتَشْتَرِيهِ وَتَبِيعَ فِيهِ عِنْدَ الْغَلَاءِ ، وَبِالْأَرْضِ

(١) انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (٣١٩٧/١٠ - ٣١٩٨) ، و«تخریج أحادیث الکشاف» للزليعي (٤٧٥/١) .

التي تريد أن تُجذبَ فترتحلَ منها إلى ما قد خُصِّبَتْ؟ فأمر ﷺ بالاعترافِ
بأنه عبدٌ محكومٌ عليه بما نزلَ جواباً عن قول المشركين ، وهو :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ ﴾^(١) أي : لا أقدرُ .

﴿ لِنَفْسِي نَفْعًا ﴾ أي : جلبَ نفعٍ .

﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ أي : دفعَ ضررٍ .

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن يوصله إليَّ من الضرِّ والنفع ؛ فإني أملكه ؛
لا اختصاصه بي .

﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ ﴾ أي : لو كنتُ أعلمُ الخصبَ والجذبَ .

﴿ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ أي : المالِ لسنة القحطِ .

﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ أي : الضرُّ والفقْرُ .

﴿ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ للكافرينَ بالنارِ .

﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ بالجنةِ .

﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدّقون . واختلافُ القراء في الهمزتين من (السُّوءُ إِنَّ)

كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلَى) في سورة البقرة ، وقرأ أبو جعفرٍ ، وقالونُ
عن نافعٍ بخلافٍ عنه : (أَنَا إِلَّا) بالمدِّ حيثُ وقع^(٢) .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٢٧ - ١٢٨) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣١ ، ٢٧٣) ، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٧) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [١٨٩]

[١٨٩] ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم .

﴿ وَجَعَلَ ﴾ أي : خلق .

﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواء ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ليأنس بها .

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ علاها بالنكاح ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ لم يثقل عليها ، وهي النطفة ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ استمرت إلى وقت ميلاده .

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي : كبر الولد وأثقلها حملها وقاربت الوضع .

﴿ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ آدم وحواء .

﴿ لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلًا ﴾ بشراً سوياً قد صلح بدنه .

﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ لك على هذه النعمة ، ودلت الآية على أن الحمل مرض من الأمراض ؛ لقوله : ﴿ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ ولأجل عظم الأمر وشدة الخطب جعل موتها شهادة كما ورد في الحديث .

واختلف الأئمة في حكم الحامل ، فقال مالك : إذا مضت لها ستة أشهر من يوم حملت ، صارت في حكم المريض في أفعاله ، لم ينفذ لها تصرف في مالها بأكثر من الثلث ، وقال الثلاثة : إنما يكون ذلك عند المخاض ، واختار الخرقى من أصحاب أحمد : ما قاله مالك .

﴿ فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠) .

[١٩٠] وروي أن الخبيث إبليس جاءهما، فقال: إن ولدته سويًا، فسميه عبد الحارث، وكان اسمه في الملائكة الحارث^(١).
﴿ فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَاحِبًا ﴾ كما طلبا .

﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَهُمَا ﴾ بتسميته عبد الحارث من غير اعتقادٍ لذلك، وإنما كان شركاً في التسمية والصفة، لا في العبادة والربوبية، وجاء في الحديث: «خَدَعَهُمَا إِبْلِيسُ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً فِي الْأَرْضِ»^(٢). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو بكر عن عاصم (شُرَكَاءَ) بكسر الشين وإسكان الراء مع التنوين؛ أي: ذوي شرك، وهم الشركاء، والباقون: بضمّ الشين وفتح الراء والمدّ والهمز من غير تنوين، على جمع شريك، يعني: إبليس^(٣)، وفي الآية قولٌ آخر، وهو أن الضمير في (آتَيْنَا) و(لنكونن) لهما ولأولادهما، وفي (آتاهما) و(جعلا) لأولادهما، وفيه حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، تقديره: فلما آتى أولادهما

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأعراف، وقال حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (١١/٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٨٩٥)، والحاكم في المستدرک (٤٠٠٣)، عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - . وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٧٥) من ثلاثة أوجه .

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/١٦٣٥) .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٢٩) .

صالحاً، جعلَ أولادَهُما لله شركاء؛ بأن سمّوا عبد^(١) شمس، وعبد العزى، وعبد يغوث، وغير ذلك، كما أضافَ فعلَ الآباءِ إلى الأبناءِ في تعييرِهم بفعلِ الآباءِ فقال: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢] خاطبَ به اليهودَ الذين كانوا في عهدِ النبي ﷺ، وكانَ ذلكَ الفعلُ من آبائِهِم، حكى المفسرونَ كُلاً من التأويلين، وقدم البيضاوي في «تفسيره» هذا التأويلَ الثاني^(٢)، قال القرطبي: وهو الذي يُعوّلُ عليه^(٣)، وقال البغوي: وهذا قولٌ حسنٌ لولا قولُ السلفِ وجماعةِ المفسرين إنه في آدم وحواء^(٤)، وقال الكواشي: وهو أوجهٌ يعضده قوله تعالى:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بأن آدم وحواء لم يكونا مشركين بإجماع، ولجميعه الضمير في (يشركون).

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ [١٩١]

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ يعني: إبليس والأصنام.

﴿وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ أي: مخلوقون.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [١٩٢]

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: الأصنام لعبدتهم.

(١) في «ش»: «بعبد».

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٨٢/٣).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٣٣٨/٧).

(٤) انظر «تفسير البغوي» (١٨٢/٢).

﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ من كسرٍ وغيره، بل عِبَدَتُهُمْ يدفعون عنهم، فالمعبود أذلُّ من العابد.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (١٩٣).

[١٩٣] ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ يعني: المشركين.

﴿إِلَى الْهُدَى﴾ الإسلام.

﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ قرأ نافع: (يَتَّبِعُوكُمْ) بإسكان التاء وفتح الباء، وقرأ الباقون: بفتح التاء مشددة^(١) وكسر الباء، وهما لغتان، يقال: تبعه تبعاً واتبعه اتباعاً^(٢).

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إلى الدين.

﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ عن دعائهم؛ كما قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤).

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام

(١) «مشددة» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

﴿عِبَادُ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ متصرف فيها .
 ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي : يجيبوكم .
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن لكم عندها منفعة .

﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ
 يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا
 تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ .

[١٩٥] ثم وَبَّخَهُمْ على عبادة مَنْ هو في غاية العجز فقال : ﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ
 يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ أي : يأخذون بشدة . رُوي عن قنبل راوي
 ابن كثير ، ويعقوب : الوقفُ بالياء على (أَيْدِي)، وقرأ أبو جعفر : (يَبْطِشُونَ)
 بضم الطاء ، والباقون : بكسرها^(١) .

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ وَمَنْ أَنْتُمْ أَقْدَرُ مِنْهُ
 كَيْفَ تَعْبُدُونَهُ؟ ! احتقاراً بهم وبمعبودهم .

﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ يا معشرَ المشركين . قرأ عاصمٌ ، وحمزةٌ ،
 ويعقوبُ : (قُلْ ادْعُوا) بكسر اللام ، والباقون : بالضم^(٢) .

﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾ احتالوا أنتم وشركاؤكم في أمري وإهلاكِي سريعاً .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١٨٣/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٢٧٤/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٣٠/٢) .

(٢) انظر : «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١٦٧/١) ، و«إتحاف فضلاء البشر»
 للدمياطي (ص : ٢٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٣٠/٢) .

﴿فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ أي: تُؤَخَّرُونَ. أثبت أبو عمرو، وأبو جعفر الياء في: (كيدوني) وصلاً، وأثبتها في الحالين يعقوب، وهشام بخلاف عن الثاني^(١)، وأثبت يعقوب الياء في (تُنْظَرُوني) في الحالين^(٢).

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩٦﴾

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ﴾ أي: ناصري. واختلف عن أبي عمرو في (إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ) فروي عن السوسي حذف الياء وإثبات ياء واحدة مشددة مفتوحة، وهو الأصح عنه، وروى عن السوسي أيضاً بكسر الياء المشددة بعد الحذف، وقرأ الباقر: بياءين، الأولى مشددة مكسورة، والثانية مخففة مفتوحة، وقد أجمعت المصاحف^(٣) على رسمها بياء واحدة.

﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ﴾ القرآن.

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الذين لا يعدلون بالله شيئاً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٣١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٣١-٤٣٢).

(٣) في «ت»: «الصحابة».

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿١٩٧﴾ .

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ كرهه لتبيين أن ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٩٨﴾ .

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي : الأصنام .

﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ مبالغة في التوبيخ .

﴿وَتَرْنَهُمْ﴾ يا محمد ﴿يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾ يُشبهون الناظرين إليك ؛ لأنهم صُوروا بصورة مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهه .

﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأن أعين الأصنام مصنوعة .

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ .

[١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أي : المساهلة ، وهو ضدُّ الصَّعب ، رُوي أنه لما

نزلت هذه الآية ، قال رسول الله ﷺ لجبريل : «مَا هَذَا؟ قَالَ : لَا أَذْرِي حَتَّى أَسْأَلَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^(١) .

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/٢٤٦) ، والطبري في «تفسيره» (١٣/٣٠٣) ، =

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف، وهي كلُّ خَصْلَةٍ حميدةٍ يقتضيها العقل والشرع. قرأ أبو عمرو: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ) بِإِدْغَامِ الْوَاوِ بِالْوَاوِ.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أبي جهل وأصحابه، ونُسخت بآية السيف.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١

[٢٠٠] ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: يُحَرِّكَنَّكَ للشرِّ، المعنى: فإنَّ يوسوس^(١) لك الشيطانُ بوسوسته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: استجِرْ به ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمعُ استعاذتك، ويعلمُ ما فيه صلاحُ أمرِكَ فيحملُك عليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢)

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: المؤمنين.

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (طَافٌ) بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزٍ ولا ألفٍ؛ أي: لمسةٌ

= وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٣٨/٥)، عن أبي المرادي. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦٢٨/٣).

(١) في جميع النسخ «يوسوسك»، والصواب ما أثبت.

ووسوسةً، وقرأ الباقون: (طَائِفٌ) بِأَلْفٍ بَعْدَ الطَّاءِ وَهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَهُ ^(١)، وهو ما يطوفُ حَوْلَ الشَّيْءِ.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ المعنى: إن المتقين إذا وسوسَ لهم ^(٢) الشيطانُ.

﴿تَذَكَّرُوا﴾ ذكروا الله، واستعاذوا به.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ مواقعَ خطيئهم، فيستغفرون.


﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ .

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: إخوانُ الشياطينِ من المشركين.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ المعنى: وإخوانُ المشركين من الشياطينِ يزيدونهم.

﴿فِي الْغَيِّ﴾ وهو الضلالُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر: (يُمِدُّونَهُمْ) بضمِّ الياء وكسرِ الميم، من الإمدادِ، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضمِّ الميم، وهو من المد ^(٣)، ومعناها واحد، وهو الزيادةُ.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ لا يُمسكون عن إغوائهم.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) في جميع النسخ: «وسوسهم»، والصواب ما أثبت.

(٣) المصادر السابقة.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ يعني : إذا لم تأتِ المشركين .

﴿بَيَّاتَةٍ﴾ من القرآن .

﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلاً افتعلتها من نفسك ؛ أي : يطلبون أن تكذب لهم .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمخترق للآيات .

﴿هَذَا﴾ أي : القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ حجج ودلائل .

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تقودكم إلى الحق .

﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والهدى : الرشد ، والرحمة : النعمة .

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾ .

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ قرأ أبو جعفر : (قُرِي) بفتح الياء بغير همز ، وقرأ ابن كثير : (القرآن) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها وهو الراء .

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ للقرآن .

﴿وَأَنْصِتُوا﴾ أصغوا .

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال ابن عباس ، وأبو هريرة ، وجماعة من المفسرين : «نزلت في الصلاة خاصة حين كانوا يقرؤون خلفه عليه السلام»^(١) ، وقيل

(١) انظر : «تفسير الطبري» (٣٤٥ / ١٣) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٢٨) ،

و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٦٤٥ / ٥) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦٣٤ / ٣) .

غير ذلك، وعامة العلماء على استحباب الإنصات للقراءة خارج الصلاة. واختلف الأئمة في القراءة خلف الإمام، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: لا تجب القراءة على المأموم بحال في صلاة جهر ولا سر، ويستحب له عند مالك أن يقرأ في صلاة السر الفاتحة، وقال أحمد: يسن، وخالفهما أبو حنيفة، واستدلوا بالآية على عدم الوجوب، وقال الشافعي: تجب على المأموم قراءة الفاتحة فيما أسر به الإمام وما جهر، واستدل بقوله عليه السلام: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»^(١).

﴿وَأَذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢٠٥).

[٢٠٥] ﴿وَأَذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ مستكيناً إلي متخوفاً مني.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ دون رفع الصوت والصياح فيه.

﴿بِالْغُدُوِّ﴾ البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشيات، جمع أصل، وهو ما بين العصر والمغرب.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله تعالى.

(١) تقدم تخريجه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ .

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ويُتَزَهْوَنَهُ .

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يَخْصُونَهُ بِالْعِبَادَةِ، وهو تعريضُ بمن عداهم من
المكلفين، ولذلك شُرِعَ السجودُ لقراءته، وعن النبي ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ
السُّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ! أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ
فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»^(١).

واتفق الأئمة على أن هذا موضعُ سجودٍ للقارئ.

وأما عددُ سجدياتِ القرآن، فهي خمس عشرة سجدة، أولها خاتمةُ
الأعراف، وآخرها خاتمةُ العلق، منها خمسُ سجدياتٍ مختلفٌ فيها، وهي
ثانيةُ الحجِّ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ هي من عزائمِ السجود، خلافاً لأبي حنيفةَ
ومالكٍ، وسجدةُ ﴿صَّ﴾ عندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ خلافاً للشافعيِّ وأحمدَ؛
فإنها عندهما سجدةُ شكرٍ تُستحبُّ في غيرِ الصلاة، فلو سجد بها فيها عالماً
عمداً، بطلتْ صلاته عندهما، وسجدياتُ المفصل، وهي: النجم،
والانشقاق، والعلقُ عندَ الثلاثة، خلافاً لمالكٍ، والعشرُ الباقيةُ متفقٌ عليها،
وهي آخرُ الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والأولى في
الحج، والفرقان، والنمل، والم تنزيل، وحم السجدة، ومحلُّها في حم

(١) رواه مسلم (٨١)، كتاب: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك
الصلاة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

عند مالك عند^(١) قوله : ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ، وعند الثلاثة عند قوله : ﴿لَا يَسْتَمُونَ﴾ .

وسجود التلاوة كالصلاة يُشترط له^(٢) الطهارة ، واستقبال القبلة بالاتفاق ، ولا يُسجد له في وقتٍ نهى عند الثلاثة ، خلافاً للشافعي .

واختلفوا في حكم سجود التلاوة ، فقال أبو حنيفة : هو واجبٌ على التالي والسامع ، سواء قصد السماع أو لم يقصد ، فإذا أراد السجود ، كَبَّرَ وسجدَ بلا رفعٍ يَدٍ ، ثم كبر ورفع ، ولا تشهد عليه ولا سلام ، ومن تلاها في الصلاة فلم يسجدَها ، سقطت عنه ، ولو تلاها فيها ، إن شاء ركع ، وإن شاء سجدَها ، ثم قام فقرأ ، وهو الأفضل .

وقال مالك : هو فضيلةٌ للقارئ وقاصد الاستماع إن كان القارئ يصلح للإمامة ، ويكبرُ لخفضه ورفعهِ ، وليس له تسليمٌ ، وتكره قراءتها في صلاة الفرض جهراً أو سراً ، ويسجدُ في صلاة النفل مطلقاً .

وقال الشافعي : هو سنةٌ للقارئ والمستمع والسامع ، فإن قرأ في الصلاة ، سجدَ الإمام والمنفرد لقراءته فقط ، والمأموم لسجدة إمامه ، فإن سجدَ إمامه ، فتخلف أو انعكس ، بطلت صلاته ، ولا تُكره قراءتها في جهريّة ولا سريّة ، وإذا سجدَ خارج الصلاة ، نوى ، وكبر للإحرام رافعاً يديه ، ثم للهويّ بلا رفع ، وسجدَ كسجدة الصلاة ، ورفع مكبراً ، وسلّم من غير تشهد ، والاختيار ترك القيام له ، وإن سجدَ في الصلاة ، كبر للهويّ والرفع ، ولا يرفع يديه ، ولا يجلس للاستراحة .

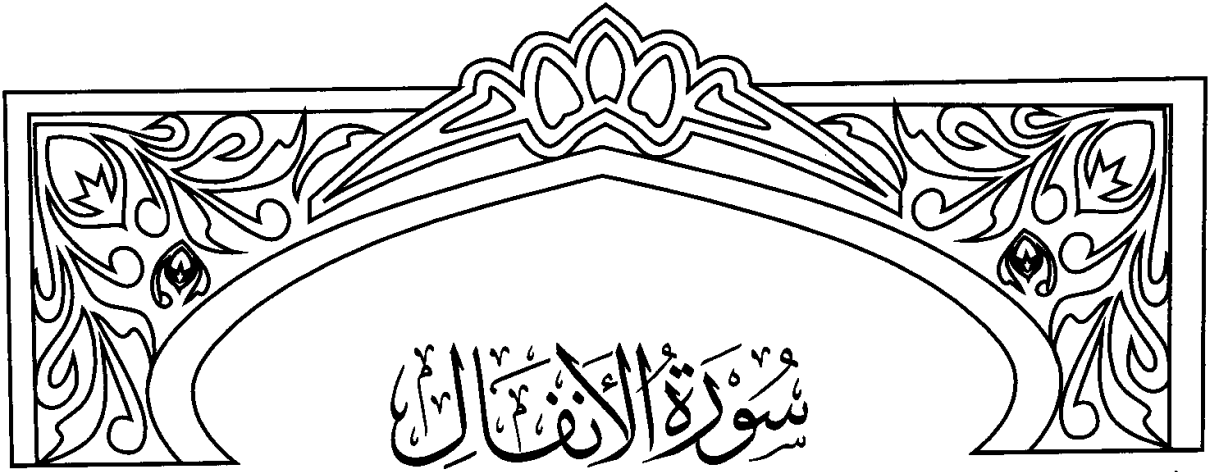
(١) في «ت» : «بعد» .

(٢) في «ن» : «لها» .

وقال أحمدُ: هو سنةٌ للقارئ والمستمع دون السامع، ويعتبر أن يكون القارئ يصلحُ إماماً، فلا يسجدُ قدامَ إمامه، ولا عن يساره مع خلوَ يمينه، ولا رجلٌ بتلاوةِ امرأةٍ وخنثى، وسجودُه عن قيامٍ أفضل، ويكبر إذا سجدَ وإذا رفع، والسلامُ ركنٌ وتجزىءُ واحدةٌ بلا تشهدٍ، وإن سجدَ إمامٌ في صلاةٍ جهر أو خارجها، سُنَّ رفعُ يديه كالمنفردِ مطلقاً، ويلزمُ المأمومُ متابعتَه في صلاة الجهر، فلو تركه عمداً، بطلتْ صلاته، وإذا قامَ المصلي من سجودِ التلاوة، فهو مُخَيَّرٌ بينَ القراءةِ والركوعِ بدونها، ويُكره للإمام قراءةُ سجدةٍ في صلاةٍ سرٍّ، والسجودُ لها، فإن فعلَ، فالمأمومُ مخيرٌ بين اتِّباعه وتركه.

واختلفوا في سجودِ الشكرِ عندَ تجددِ النعمِ واندفاعِ النقمِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يُكره، فيقتصر على الحمدِ والشكرِ باللسانِ، وخالف أبو يوسفَ ومحمدٌ أبا حنيفةَ، فقالا: هي قُرْبَةٌ يثاب عليها، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُسنُّ، وحكمه عندهما كسجودِ التلاوة، لكنه لا يُفعل في الصلاة، واللهُ أعلم.

* * *



مدنيّة بدرية، وآيها خمسٌ وسبعون آيةً، وحروفها خمسة آلاف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً، وكلّمها ألفٌ ومئتان وإحدى وثلاثون كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ .

[١] لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، ولقوا العدو، افترق أصحاب رسول الله ﷺ ثلاث فرق: فرقة أقامت مع رسول الله ﷺ في العريش الذي صنّع له وحمته وأنسته، وفرقة أحاطت بعسكر العدو لما انكشفوا، وفرقة اتبعوا العدو، فقتلوا وأسروا، وكانت الواقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة الشريفة، وتقدم ملخص القصة في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ [الآية: ١٢٣]، وكان رسول الله ﷺ قد حرّض الناس قبل ذلك وقال: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا أَوْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا»، فسارع الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات، فلما انجلت الحروب، واجتمع الناس، رأّت كل فرقة الفضل

لنفسِها، وقالت: نحن أولى بالمغانم، وساءت أخلاقهم في ذلك،
فأنزل الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(١) الغنائم، واحداً نفلٌ بتحريك الفاء، وهو
الزيادة؛ لأنها عطيةٌ من الله عز وجل لهذه الأمة.

﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أمرها له، فيقسمها الرسول على ما يأمره الله
به، فقسمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء.

واختلفوا فيما إذا قال الإمام: من فعل كذا، فله كذا، ومن جاء بكذا،
فله كذا، فقال أبو حنيفة: يجوز ذلك قبل إحراز الغنيمه، وقبل أن تضع
الحرب أوزارها؛ لما فيه من التحريض على القتال، واستدل بما قال عليه
السلام يوم بدر، وأما بعد الإحراز، يُنفل من الخمس.

وقال مالك: يُكره؛ لثلاث يشوب قصد المجاهدين إرادة الدنيا؛ فإن
شرطه، كان من الخمس، لا من أصل الغنيمه.

وقال الشافعي: يجوز، ويكون من المصالح المرصدة بيت المال.

وقال أحمد: يجوز ما لم يجاوز ثلث الغنيمه بعد الخمس.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تختلفوا بسبب حطام الدنيا ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾
الحال التي بينكم بترك الاختلاف.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيه^(٢) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٦٧/١٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٣١٥/٦)،

و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٨ - ١٢٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف»

للزليعي (٧/٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/٤).

(٢) قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيه «سقط من «ت».

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الكاملو الإيمان، و(إنما) لفظ لا تفارقه المبالغة
والتأكيد حيث وقع .

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ استعظاماً له .

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ يقيناً وتصديقاً .

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يفوضون أمرهم إليه .

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ يَتَمَوَّنَهَا سُجُوداً وَرُكُوعاً وَقِيَاماً .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ يتصدقون .

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ يقيناً، لا شك في إيمانهم .

﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ منازل وشرف في الجنة .

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ حَسَنٌ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ .

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُون ﴾ .

[٥] ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ أي : كما أمرَكَ بالخروج .

﴿ مِنْ بَيْتِكَ ﴾ أي : من المدينة إلى بدرٍ إخراجاً .

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالوحي خبرٌ مبتدؤه محذوفٌ، تقديره : هذه الحال في كراحتهم إياها كحال إخراجك للحرب على كراحتهم له .

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُون ﴾ أي : أخرجَكَ في حال كراحتهم ، وذلك أن عيرَ قريشٍ أقبلت من الشام مع أبي سفيان ، ومعها أربعون راكباً ، فأعلمَ جبريلُ النبي ﷺ بها ، فأعلمَ أصحابه ، فسُرُّوا وأحبوا الخروجَ إليها لكثرة المال وقلة الرجال ، فأعلمت قريشٌ بذلك ، فخرج أبو جهلٍ ومعه مقاتلةٌ مكة ذاباً عنها ، وهم النفيرُ ، فعلم أبو سفيان ذلك ، فأخذ بها طريق الساحل فنجت ، فقليل لأبي جهلٍ : ارجع بالناس ، فقد نجت العيرُ ، فأبى ، وسارَ بمن معه إلى بدرٍ ، فشاوَرَ ﷺ أصحابه في لقاء العيرِ أو النفيرِ ، فقال أبو بكرٍ فأحسنَ ، وقال عمرُ فأحسنَ ، وقال المقدادُ بن عمرو : « امضِ بنا يا رسولَ الله ، فنحن معك ، والله ما نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إِنَّا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق ! لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغِمَادِ ؛ يعني : مدينة الحبشة ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلُغَه » ، فدعا له ﷺ ، ثم قال : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » يريدُ : الأنصار ، فقال سعدُ بنُ معاذٍ : « لَكَأَنَّكَ تريدُنا يا رسولَ الله ؟ فقال : « أَجَلْ » ، فقال : امضِ يا رسولَ الله لما أردتَ ، والذي بعثك بالحق ! لو استعرضت بنا هذا البحرَ فخضتُه لَخُضْنَاهُ

معك، ما تخلف منا واحدٌ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء»، فسّرَ ﷺ بذلك، ثم قال: «سيرُوا على اسمِ الله؛ فإنَّ اللهَ قد وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، واللهُ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»^(١).

﴿يُجِدُّونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا نَبِّئَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٦).

[٦] ﴿يُجِدُّونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما خرجنا إلا للعر، هلاً قلت لنا فنستعد للقتال.

﴿بَعْدَمَا نَبِّئَ﴾ لهم أنهم يُنصرون بإعلامِ الله ورسوله.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ أي: حين يُدعون إلى القتال.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يشاهدون أسبابه، وقيل: هؤلاء المشركون جادلوه في الحقِّ كأنما يُساقون إلى الموت حين يُدعون إلى الإسلام؛ لكرهتهم إياه.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(٧).

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/١٤)، و«تفسير الطبري» (١٣/٣٩٩)، و«المستدرک» للحاكم (٣/٢٨٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/٢٨٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/١٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٢٦).

[٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: واذكر إذ يعدكم الله .

﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ أي: إحداهما .

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ يعني: العير التي ليس فيها قتال،
والشوكة: شدة البأس .

﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ وكان أبو سفيان مع العير، وأبو جهل مع النفير . قرأ
أبو عمرو: (الشوكة تكون) بإدغام التاء في التاء^(١) .

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ بأمره إياكم بالقتال .

﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: إنما تودُّون لقاء العير، والله يودُّ لقاء
النفير؛ ليعزَّ الإسلام، ويستأصل الكفار بالهلاك .

﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨﴾

[٨] ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ ليثبت الإسلام ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ يمحَق الكفر .
﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون .

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ﴾
مُرْدِفَةٍ ﴿٩﴾

[٩] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ أي: اذكر إذ تستغيثون ﴿رَبَّكُمْ﴾ واستغاثتهم

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/٤٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢/٤٣٨) .

أنهم لما علموا أن لا محيصَ من القتال، أخذوا يقولون: أي رب! انصرنا على عدوك، أغثنا يا غياث المستغيثين.

وعن عمر رضي الله عنه: لما نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وبضعة عشر، دخل العريش هو وأبو بكر، واستقبل القبلة، ومدَّ يديه يدعو: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ» وما زال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: «يا نبي الله! كفاك مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك»^(١).

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُيَدِّكُمْ﴾ مُعِينُكُمْ.

﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال؛ أي: أردف الله المسلمين، وجاء بهم مدداً، وقرأ الباقون: بكسر الدال؛ أي: متتابعين بعضهم في إثر بعض^(٢).

وروي أنه نزل جبريل في خمس مئة، وميكائيل في خمس مئة في صورة الرجال على خيلٍ بُلِقَ عليهم ثيابٌ بيض، وعلى رؤوسهم عمامٌ بيضٌ قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم^(٣).

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٣٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/٨٣)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٠٢) - (١٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٣١٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»^(١).

وقال ابن عباس: «كانت سيما الملائكة يوم بدر عمام بيض، ويوم حنين عمام حمراء، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً»^(٢).

وتقدم في سورة آل عمران أن جبريل كان يوم بدر بعمامة صفراء على مثال عمامة الزبير بن العوام.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٠).

[١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد بالملائكة.

﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ أي: بشارة لكم بالنصر.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ فيزول ما بها من الوجَل.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وإمدد الملائكة وكثرة العدد لا تأثير لها، فلا تحسبوا النصر منها.

(١) رواه البخاري (٣٧٧٣)، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدرأ.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥).

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: (يُغَشَّاكُم) بفتح الياء فعلاً.

﴿ النُّعَاسَ ﴾ فاعله، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُغَشِّيكُم) بضم الياء وكسر الشين خفيفةً (النعاس) نصبٌ، وقرأ الباقر: بضم الياء وكسر الشين مشدداً و(النعاس) نصبٌ، وهو مفعول، والفاعل مضمَرٌ يرجع إلى الله تعالى^(١).

﴿ أَمْنَةً ﴾ أمناً ﴿ مِنْهُ ﴾ أي: من الله، قال عبدُ الله بنُ مسعود: «النعاسُ في الحرب أمانةٌ من الله، وفي الصلاةِ وسوسةٌ من الشيطان»^(٢).

﴿ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ من الأحداث والجنابة، وذلك أن المسلمين نزلوا يومَ بدرٍ على كثيبٍ أعفرٍ تسوخُ فيه الأقدام، وسبقهم المشركون إلى ماءٍ^(٣) بدرٍ، وأصبح المسلمون وقد أجنبَ بعضهم، وأحدثَ بعضهم، وعطشوا، فوسوس إليهم الشيطانُ وقال: لو كنتم على الحقِّ، ما كنتم كذا، والمشركون على ماء بدرٍ، فجاء المطرُ فارتووا هم وركابُهم، وتطهروا من الأحداث.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٢١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف»

(١٩٣٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٥١).

(٣) «ماء» زيادة من «ظ».

﴿ وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رَجَزُ الشَّيْطَانِ ﴾ أي : وسوسته ، وسَمَّى الوسواسَ رجزاً ؛
لأنه سببُ الرجز ، وهو العذابُ .

﴿ وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ أي : يشدُّ عليها بالصبرِ واليقين .

﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ﴾ أي : بالماء ﴿ الْأَقْدَامَ ﴾ لئلا تسوخَ في الرمل ؛ فإنه لَبَدٌ
الأرض .

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ ﴾ (١٢) .

[١٢] ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ الذين أمدَّ بهم المؤمنين .

﴿ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ بالعونِ والنصرِ .

﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بقتالكم معهم ، وبشارتكم لهم بالنصر ، فكان
الملكُ يمشي بين الصفين في صورةِ الرجلِ يقول للمؤمنين : أبشروا بالنصر ؛
فإن الله ناصرُكم .

﴿ سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ أي : الخوفَ من أوليائي . قرأ
أبو جعفر ، وابنُ عامر ، والكسائي ، ويعقوبُ : (الرُّعْبَ) بضم العين ،
والباقون : بالإسكان^(١) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٩١ ، ١١٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/٢١٩) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٣٦) ، و«معجم
القراءات القرآنية» (٢/٤٤٢) .

﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ أي: الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق.

﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ هي المفاصل والأطراف، قال ابن الأنباري: ما كانت الملائكة تعلم^(١) كيف تقتل الآدميين، فعلمهم الله تعالى.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١٣).

[١٣] فلما التقى الصفان، انهزم المشركون، وقتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، منهم العباس رضي الله عنه.

﴿ ذَلِكَ ﴾ مبتدأ، وخبره:

﴿ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: جادلوه وجانبوا دينه، والكاف لخطاب النبي ﷺ؛ أي: ذلك العذاب الواقع بهم بسبب مشاققتهم الله ورسوله.

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ والمشاقة: المخالفة.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا.

﴿ ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿ ذَلِكَ ﴾ خطاب للكفار على سبيل الالتفات؛ أي: ذلكم العقاب.


(١) في «ت»: «تعرف».

﴿فَذَوْقُوهُ﴾ عاجلاً .

﴿وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي : واعلموا أن للكافرين آجلاً في المعاد .


﴿عَذَابُ النَّارِ﴾ .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال : قيل لرسول ﷺ حين فرغ من بدر : عليك بالغير ليس دونها شيء ، فناداهم العباس وهو أسير^(١) في وثاقه : لا يصلح ، فقال رسول الله : «لمه؟» قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أعطاك ما وعدك^(٢) ، فكره بعضهم قوله .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَذْبَارَ﴾  .

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ والتزاحف : تقاربُ القوم إلى القوم في القتال ببطء ، والمعنى : إذا لقيتم الكافرين وهم في غاية الكثرة .

﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾ أي : لا تولوهم ظهوركم مُنهزمين .

﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذُبُرِهِ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ
بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾  .

(١) «أسير» ساقطة من «ت» .

(٢) رواه الترمذي (٣٠٨٠) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأنفال ، وقال : حسن صحيح ، والإمام أحمد في «المسند» (٣١٤ / ١) .

[١٦] ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذُبُرِهِ ﴾ ظهره .

﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ﴾ بأن يريهم الفرّة وهو يريد الكرّة .

﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾ منضمّاً إلى جماعة يريدون العود إلى القتال ؛

أي : من انهزم إلا على هذه النية .

﴿ فَقَدْ بَاءَ ﴾ رجع ﴿ يَغْضِبُ مَنْ أَلَّهِ وَمَاؤُنْهُ ﴾ أي : مقامه .

﴿ جَهَنَّمَ وَيُتَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ هذا إذا لم يزد العدو على الضّعف ؛ لقوله :

﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾ الآية [٦٦] .

واختلفوا في حكم الآية ، فقال قومٌ : هو خاصٌّ بأهل بدر ، واحتجوا

بقوله : (يَوْمَئِذٍ) ، قالوا : وهو إشارة إلى يوم بدر ، وأنه نسخ حكم الآية بآية

الضعيف ، وبقي الفرار من الزحف ليس كبيرة ، وقد فرّ الناس يوم أحد ،

فعفا الله عنهم ، وقال يوم حنين : ﴿ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْرِيكَ ﴾ [التوبة : ٢٥] ، ولم

يعنّف على ذلك ، وإليه ذهب أبو حنيفة ، وقال آخرون : حكم الآية باقٍ إلى

يوم القيامة ، فلا يجوز الفرار إلا إذا زاد الكفار على ضعف المسلمين ،

وليس في الآية نسخ ، والدليل عليه أنها نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب ،

وذهاب اليوم بما فيه ، وأما يوم أحد ، فإنما فر الناس من أكثر من ضعفهم ،

ومع ذلك عُنّفوا ، وأما يوم حنين ، فكذلك ، وإلى هذا ذهب مالك والشافعي

وأحمد .

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

رَمَىٰ وَلِيبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٧] .

[١٧] ولما التقى الجمعان ببدر ، أخذ ﷺ كفاً من حصباء الوادي معه

ترابٌ، وألقاه في وجوه القوم وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فلم يبقَ منهم أحدٌ إلا دخل عينيه وَمَنْخَرِيهِ منه شيءٌ، فانهزموا^(١)، وتمكَّن المسلمون منهم قتلاً وأَسْرًا، فلما رجعوا، قال بعضهم: قتلْتُ فعلتُ، فنزلَ تأديباً:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾^(٢) بقوَّتكم؛ لضعفكم عنهم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم.

﴿وَمَارَمَيْتَ﴾ يا محمدُ رمياً توصلهُ إلى أعينهم، ولم تقدرْ عليه.

﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أتيت بصورة الرمي.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أي: بلغ التراب أعينهم، إذ ليس في وَسْعٍ أحدٍ من البشر أن يرميَ كفاً من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عينٌ إلا ويصيبها منه شيء. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنْ) في الحرفين خفيفة النون (الله) رفعٌ، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشددة النون (الله) نصبٌ^(٣)، ومعنى (لكن) نفى الخبر الماضي وإثبات المستقبل، وقرأ ورشٌ عن نافع، وحمزة، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصم، وخلفٌ: (رَمَى) بالإمالة^(٤).

﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ اللهُ ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ أي: لينعمَ عليهم نعمةً

(١) رواه مسلم (١٧٧٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٩).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤، ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٤٣).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٤٣).

حسنة، وهي الغنمة في الدنيا، والجنة في الأخرى، والإبلاء هنا: الإعطاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

﴿ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾.

[١٨] ﴿ذَلِكَمُ﴾ أي: القتل والإبلاء الحسن.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ مُضْعَفٌ.

﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: المقصود إبلاء المؤمنين، وإبطال حيل الكافرين. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (مُوهِنٌ) بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب (كَيْدَ)، وروى حفص عن عاصم: بالتخفيف من غير تنوين وخفض (كَيْدَ) على الإضافة، والباقون: بالتخفيف والتنوين ونصب (كَيْدَ) ^(١).

﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا﴾ تستنصروا، الخطاب للكفار على سبيل التهكم

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٤٣-٤٤٤).

بهم، وذلك أنهم حين أرادوا الخروج من مكة، أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجُندين، وأهدى الفئتين، وأكرمَ الحزبين، وأفضلَ الدينين، فنزلت الآية.

﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾^(١) النصرُ.

﴿ وَإِنْ تَنْهَوْا ﴾ عن الكفرِ وحربِ الرسول ﷺ.

﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من ذلك، فلم يتهوا، فقتل أبو جهل وغيره من المشركين.

﴿ وَإِنْ تَعُودُوا ﴾ لحربه ﴿ نَعُدْ ﴾ لنصره.

﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ جماعتكم ﴿ شَيْئًا ﴾ من الإغناء.
﴿ وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ فئتكم.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصر والمعونة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامر، وحفص عن عاصم: (وَأَنَّ اللَّهَ) بفتح الهمزة؛ أي: ولأن الله، وقرأ الباكون: بالكسر على الابتداء^(٢).

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

[٢٠] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ أي:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٠٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)،

و«تفسير البغوي» (٢/٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٤٥).

لا تُعْرِضُوا عَنِ الرِّسُولِ . قَرَأَ الْبَزْزِيُّ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ : (وَلَا تَوَلُّوا) بِالْمَدِّ وَتَشْدِيدِ
التَّاءِ^(١) .

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ مواضع القرآن .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢١) .

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ بِإِذْنِنَا .

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ بِقُلُوبِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ ، نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢٢) .

[٢٢] ثُمَّ قَبَّحَ حَالَ الْمَكْذِبِينَ فَقَالَ : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي :

جَمِيعَ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ .

﴿الصُّمُّ﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَمَرَ اللَّهُ ، سُئِمُوا بِالدَّوَابِّ ؛

لِقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِعَقُولِهِمْ كَمَا قَالَ : ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف :

. [١٧٩]

قال ابنُ عباسٍ : «هُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، كَانُوا يَقُولُونَ :

نَحْنُ صُمٌّ بِكُمْ عَمِيٍّ عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَقَتَلُوا جَمِيعاً بِأَحَدٍ ، وَكَانُوا أَصْحَابَ

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٧٦) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ٢٣٦) ، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/٤٤٦) .

اللواء، ولم يُسلم منهم إلا رجلان: مصعبُ بنُ عمير، وسويطُ بنُ حرملة.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ^ط وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ^ط ﴾ سماع التفهيم والقبول.

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ^ط ﴾ بعد أن علم أن لا خيرَ فيهم، ما انتفعوا بذلك، و﴿ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ عن الإيمان عناداً.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ^ط وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ^ط وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ^ط ﴾ الرسول.

﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ^ط ﴾ من العلم والدين، كان ﷺ دعا أبيعاً وهو في صلاته، فلم يُجبه، ثم أتاه فقال: «ما منعك أن تُجيبني؟!»، فقال: كنتُ في الصلاة، فقال: «ألم تسمعُ ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ﴾ الآية؟»، فقال أبي: لا جرمَ لا تدعوني إلا أجبتُ^(١)، وهذا من خصائصه ﷺ أنه إذا دعا إنساناً في الصلاة يجبُ عليه قطعها وإجابته.

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، وقال: حسن صحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي: يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ عذاباً.

﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ يعني: لا تختصُّ الظالمين، بل تعم، قيل: نزلت في عليٍّ وعمارٍ وطلحة والزبير، والفتنة يومَ الجمل، روي أن الزبير بن العوام قال يومَ الجمل: «ما علمتُ أنا أُرَدُّنا بهذه الآية إلا اليوم، وما كنتُ أظنُّها إلا فيمن خوطبَ بها ذلك الوقت»، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِفِعْلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُونَهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ».

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وعيدٌ.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيْدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا﴾ يا معشر المهاجرين.

﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرضِ مكة قبل الهجرة.

﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ﴾ يَسْتَلْبِكُمُ النَّاسُ بِسُرْعَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
جَمِيعاً عَدُوًّا لَكُمْ.

﴿فَتَاوَبَكُمْ﴾ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قَوَّاهُمْ.
﴿يَنْصُرُهُ﴾ إِيَّاكُمْ بِالْأَنْصَارِ وَبِمَلَائِكَتِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.
﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الْغَنَائِمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلَكُمْ.
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هَذِهِ النِّعَمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ
هَارُونَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، رُوي: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاصِرَ يَهُودَ بَنِي قَرِيطَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَسَأَلُوا: الصَّلَاحَ
كَمَا صَالَحَ إِخْوَانَهُمْ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى أَنْ يَسِيرُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِأَذْرَعَاتٍ
وَأَرِيحَا مِنَ الشَّامِ، فَأَبَى وَقَالَ لَهُمْ: تَنْزِلُونَ عَلَى حَكَمِي، فَأَبَوْا، فَقَالَ: عَلَى
حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَرَضُوا بِهِ، وَقَالُوا: أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ، وَكَانَ مُنَاصِحًا
لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ عِيَالُهُ وَمَالُهُ كَانَتْ عِنْدَهُمْ، فَبِعْثَهُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مَا تَرَى هَلْ نَنْزِلُ
عَلَى حَكْمِ مُحَمَّدٍ؟ فَأَشَارَ أَبُو لُبَابَةَ إِلَى حَلْقِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: فَمَا
زَالَتْ قَدَمَايَ حَتَّى عَلِمْتُ أَنِّي خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَنَزَلْتُ، فَشَدَّ نَفْسَهُ عَلَى
سَارِيَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ، أَوْ
يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ، فَمَكَثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ،
فَقِيلَ لَهُ: قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ، فَحُلَّ نَفْسَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحُلُّهَا حَتَّى يَكُونَ

رسولُ الله ﷺ هو الذي يحلُّني ، فجاءه فحلَّه بيده ، فقال : إنَّ من تمامِ توبتي أن أهجرَ دارَ قومي التي أصبْتُ فيها الذنبَ ، وأن أنخلعَ من مالي ، فقال ﷺ : «يُجْزِيكَ الثُّلُثُ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ» ، وسيأتي ذكرُ القصةِ في سورة الأحزابِ إن شاء الله تعالى ، وأصلُ الخون : النقصُ ، كما أن أصلَ الوفاء : التمامُ ، واستعماله في ضدِّ الأمانة ؛ لتضمُّينه إياه .

﴿ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ ﴾ أي : ولا تخونوا أماناتكم فيما بينكم .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قبح الخيانة .

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأنهم سبُّ الوقوع في الإثم والعقاب ، قيل : هذا في أبي لبابة أيضاً ؛ لأن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة ، فقال ما قال خوفاً عليهم .

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر رضا الله عليهم .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

[٢٩] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بطاعته .

﴿ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ فتحاً ونصراً وتفرقاً بين الحقِّ والباطل .

﴿ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يمحو ما سلفَ من ذنوبكم .

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالتجاوز والعفو عنكم .

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى
تفضل منه وإحساناً ، وأنه ليس مما يوجب تقويهم عليه ؛ كالسيد إذا وعد
عبده إنعاماً على عمل .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تذكراً لما مكر قريش به حين كان
بمكة ؛ ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم ، واستيلائه عليهم ،
والمعنى : وإذكر إذ يمكرون بك ، وكان ذلك المكر أن أكابر قريش اجتمعوا
في دار الندوة بمكة مشاورين في الفتك برسول الله ﷺ بعد إسلام الأنصار ،
فاعترضهم إبليس في صورة شيخ ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ
من نجد ، سمعتُ باجتماعكم ، فأردت أن أحضر معكم ، ولن تعدموا مني
رأياً ونصحاً ، فقالوا : ادخل ، فدخل ، فقال أبو البختري : أرى أن توثقوه
وتحبسوه في بيتٍ وتسدوا عليه غير كوة تكون منها طعامه وشرابه حتى
يهلك ، فقال عدو الله إبليس : بئس الرأي ذلكم ، يأتيكم من يخليه من
أيديكم ، وقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي : أرى أن تخرجوه من
بين أظهركم ، فقال عدو الله إبليس : بئس الرأي ذلكم ، يذهب إلى قوم
فيستميل قلوبهم ، ويسير بهم إليكم ، ويخرجكم من بلادكم ، وقال
أبو جهل : أرى أن تأخذوا من كل بطنٍ من قريش شاباً ، فيعطى سيفاً
صارماً ، فيضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ حتى يُقتل ، فإذا تفرق دمه في القبائل ،

لم يقوَ بنو هاشم على حربهم، فيرضون بالعقل، فقال عدوُّ الله إبليسُ: صدقَ هذا الفتى، وهو أجودُكم رأياً، القولُ ما قال، لا أرى غيره، فتفرقوا على رأي أبي جهل، وأنهم يأتونه ليلاً، فأتى جبريلُ النبي ﷺ وأخبره بذلك، وأمره ألاَّ يبيتَ في مضجعه، فأمر ﷺ علياً أن يبيتَ مكانه، وقال له: «تَسَبَّحْ بِرُذِي؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ»، وباتوا مترصدين في خروجه، ثم خرج ﷺ فأخذ قبضةً من ترابٍ، فأخذ اللهُ أبصارَهم عنه، وجعل ينثرُ الترابَ على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ [يس: ٩٨]، ومضى إلى الغارِ من ثورٍ، وهو جبلٌ بمكة هو وأبو بكر، وخلفَ علياً بمكة حتى يؤديَّ عنه الودائع التي قبلها، وكانت توضعُ عنده لصدقه وأمانته، فلما أصبح المشركون لم يروه، ورأوا علياً في مكانه، فقالوا: أينَ صاحبُك؟ قال: لا أدري، فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الغارَ، رأوا على بابه نسجَ العنكبوتِ، فقالوا: لو دخله لم يكن نسجُ العنكبوتِ على بابه، فمكث فيه ثلاثاً، ثم قدمَ المدينةَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (١).

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك في بيت ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يجازيهم جزاء مكرهم. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ لأن مكره حق.

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن إسحاق (٣٨٠/١)، و«تفسير البغوي» (٢/٢١٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/٢٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥١/٤).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا﴾ يعني: النضر بن الحارث.

﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ لأنه كان يختلف تاجراً إلى الحيرة وفارس والروم، ويسمع أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديث العجم، ويتحدث بها، ويمر باليهود والنصارى، فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكة فوجد محمداً ﷺ يصلي ويقرأ القرآن، ويذكر في قراءته أخبار القرون الماضية، فقال النضر: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (١) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أخبار الأمم الماضية وما سطوروا في كتبهم، والأساطير جمع أسطورة، وهي المكتوبة.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ أي: ما جاء به محمد.

﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ نزلت في النضر حين قال: لو شئت، لقلت مثل هذا، إن هذا إلا ما سطر الأولون في كتبهم، فقال له النبي ﷺ: «وَيْلَكَ! إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ»، فقال استهزاء: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك.

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ عقوبة على إنكاره، يقال في

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/١٦٨٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٢١٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٥٤).

العذاب : أَمْطَرْتُ ، وللرحمة : مَطَرْتُ .

﴿ أَوْ أَثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سِوَاهُ ، فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَبْرًا . واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله : (مِنْ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنَيْنَا) كاختلافهم فيها (مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ) في سورة البقرة .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ أي : المشركين عذاب استئصال ، جواب سؤالهم نزول الحجارة أو العذاب الأليم .

﴿ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ لأنَّ العذاب إذا نزل ، عَمَّ ، ولهذا كان العذاب إذا نزل بقوم يؤمر نبيهم بالخروج بالمؤمنين منهم من بينهم ، واللام في (لِيُعَذِّبَهُمْ) لتأكيد النفي ؛ أي : لولا وجودك بين ظهرائهم ، لُعَذِّبُوا .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي : وفيهم من سبق له من الله أنه يصير من أتباع محمد ﷺ مثل أبي سفيان ، وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ، وغيرهم ، وقيل غير ذلك ، قال ﷺ : « أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَمَانِينَ لَأُمَّتِي : ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ فَإِذَا مَضَيْتُ ، تَرَكْتُ فِيهِمْ الْإِسْتِغْفَارَ ﴾ (١) .

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٢) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأنفال ، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - . وقال حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث .

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُۥٓ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُۥٓ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤).

[٣٤] ثم تَوَعَّدَهُم بِعَذَابِ الدُّنْيَا فَقَالَ: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: وكيف لا يُعَذَّبُونَ.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الطواف؛ لأنهم كانوا يقولون: نحنُ أولياءُ البيتِ، فنصدُّ من نشاء، ونترك من نشاء، فنزل: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُۥٓ﴾ أي: أولياءُ البيتِ ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُۥٓ﴾ أي: ليس أولياءُ البيتِ. ﴿إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين يتقونَ الشركَ. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولايةَ لهم عليه.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ أي: دعائهم، أو ما يسمونه صلاةً.

﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ إلا صغيراً بالأفواه، وهو أن يشبك الأصابع وينفخ فيها. ﴿وَتَصَدِيَةً﴾ تصفيقاً بإحدى اليدين على الأخرى، وكان ﷺ إذا صَلَّى، صَفَّرُوا وَصَفَّقُوا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ؛ لِيُخْلِطُوا عَلَيْهِ قِرَاءَتَهُ، وَيُرُونَ أَنَّهُمْ يَصَلُّونَ أَيْضاً.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ يعني: القتل والأسر يومَ بدرٍ.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ اعتقاداً وعملاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

أي : ليصرفوا عن دين الله ، نزلت في المطعمين يوم بدر ، وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش ، وهم أبو جهل بن هشام ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، ونبية ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البختري بن هشام ، والنضر بن الحارث ، وحكيم بن حزام ، وأبي بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والعباس بن عبد المطلب ، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر^(١) .

﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ عاقبة النفقة على حرب رسول الله ﷺ ببدر يوم القيامة .

﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ أي : يتحسرون على ذلك .

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ ولا يظفرون .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم .

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ لأن منهم من أسلم .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٣٢) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٠) .

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ لِيَبَيِّنَ ﴿ اللَّهُ الْخَبِيثَ ﴾ الكافر ﴿ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ المؤمن .
قرأ يعقوبُ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لِيُمَيِّزَ) بضم الياء الأولى وفتح
الميم وتشديد الياء الثانية، والباقون: بفتح الأولى وكسر الميم وإسكان
الثانية^(١).

﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: فوق بعضٍ .
﴿ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا ﴾ فيجمعه متراكبًا، ومنه السحابُ المركومُ، وهو
المجتمعُ الكثيفُ .

﴿ فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ كله .

﴿ أُولَئِكَ ﴾ الذين أنفقوا أموالهم .

﴿ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا ﴾ عن الكفر .

﴿ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ من ذنوبهم قبل الإسلام .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢،

١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٨).

﴿وَأِنْ يَعُودُوا﴾ إليه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ بأن يَهْلِكُوا إذا لم يُؤْمِنُوا، و(سُنَّتُ) رُسُمت بالتاء في خمسة مواضع، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوبُ، والكسائي^(١).

﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ شِرْكُ ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ﴾ أي: جميعُ الأديان ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً لا شريك له.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن الكفر.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازي كلاً بعمله. قرأ رُويسٌ عن يعقوبَ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(٢).

﴿وَأِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾.

[٤٠] ﴿وَأِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان، وعادوا إلى قتالِ أهله.

﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾ حافظكم وناصرُكم عليهم.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/٤٤٩).

﴿ نِعَمَ الْمَوْلَى ﴾ لا يضيعُ من تولاه .

﴿ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴾ ولا يُغلب من ينصره .

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَنَا عَلَى
عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾ (٤١) .

[٤١] ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ﴾ أخذتم من مالِ حربي قهراً بقتال .

﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ممّا يقعُ عليه اسمُ الشيء ، حتى الخيط .

﴿ فَإِنَّ ﴾ فتحاً خبرٌ مبتدأ ؛ أي : فالحكم أن ﴿ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾
وأضيفَ المالُ إلى اسمِ الله تشریفاً ، ليس المرادُ منه أن سهماً من الغنيمة لله
مفرداً ، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل .

﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ قسمٌ ، والمراد : أقاربه ﷺ بنو هاشم ، وبنو المطلب ،
دون بني عبد شمس وبني نوفل ، قال ﷺ : « أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ
فَشَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، مَا فَارَقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ » (١) .

﴿ وَالْيَتَامَى ﴾ جمعُ يتيم ، وهو صغيرٌ فقيرٌ مسلمٌ لا أبَ له .

(١) رواه أبو داود (٢٩٨٠) ، كتاب : الخراج والإمارة والفِيء ، باب : في بيان مواضع
قسم الخمس وسهم ذي القربى ، والنسائي (٤١٣٧) ، كتاب : قسم الفِيء ، عن
جبير بن مطعم - رضي الله عنه - . ورواه البخاري (٣٣١١) ، كتاب : المناقب ،
باب : مناقب قريش ، عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - مختصراً .

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وهم أهلُ الفاقة من المسلمين .

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافرُ البعيدُ عن ماله ، فكأنه قال : فإن الله خمسَهُ يُصرفُ إلى هؤلاء الأخصيين به .

﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه (واعلموا) ؛ أي : إن كنتم آمنتم بالله ، فاعلموا أنه جعلُ الخمسُ لهؤلاء ، فسلموه إليهم ، واقنعوا بالأخماسِ الأربعةِ الباقية ، فإن العلمَ العمليَّ إذا أمر به ، فالمراد به العملُ ، وليس المراد منه العلمُ المجردَ .

﴿وَمَا أُنْزِلْنَا﴾ أي : وبما أنزلنا ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمدٍ ﷺ من الآياتِ والملائكةِ والنصرِ .

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يومَ بدرٍ ، فإنه فرقَ فيه بين الحقِّ والباطل .

﴿يَوْمَ أَتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفارُ .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من نصرٍ القليل على الكثير .

واتفق الأئمة على أن الغنيمة تقسمُ خمسةَ أخماس ، أربعةَ أخماسٍ منها لمن قاتلَ عليها على ما يأتي بيانه ، واختلفوا في الخمس الباقي فيمن يقسم ؟ فقال أبو حنيفة : يقسمُ على ثلاثة أسهمٍ : سهمٌ لليتامى ، وسهمٌ للمساكين ، وسهمٌ لأبناء السبيل ، يدخلُ فقراءُ ذوي القربى فيهم دونَ أغنيائهم ، فأما سهمُ النبي ﷺ ، فهو خمسُ الله ورسوله ، وقد سقطَ بموتِ النبي ﷺ ، كما سقطَ الصَّفِيُّ المختصُّ به ، وهو ما كان يختارُ قبلَ القسمة ؛ كجارية وعبدٍ وثوبٍ وسيفٍ ونحوه ، وسهمُ ذوي القربى كانوا يستحقونه في زمنه عليه السلام بالنصرة ، وبعده فلا سهمَ لهم ، وإنما يستحقونه بالفقر خاصةً ، ويستوي فيه ذكرُهم وأنثاهم ، وقال مالك : هذا الخمسُ لا يستحقُّ بالتعيين

بشخصٍ دونَ شخصٍ، ولكنِ النظرُ فيه للإمامِ يصرفُه فيما^(١) يرى، وعلى من يرى من المسلمين، ويعطي القِربةَ من الخمسِ ومن الفيءِ والخراجِ والجزيةِ بالاجتهاد، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُقسمُ الخمسُ على خمسةِ أسهمٍ: سهمٌ كان لرسول الله ﷺ، وحكمُه باقٍ، فيصرفُ بعده لمصالح المسلمين؛ كالثغورِ وأرزاقِ القضاةِ والعلماءِ، يقدِّمُ الأهمُّ فالأهمُّ، والثاني لبني هاشمٍ والمطلبِ، يشتركُ فيه الغنيُّ والفقيرُ، ويفضَّلُ الذكرُ على الأنثى كالإرثِ، والثالثُ لليتامى، والرابعُ للمساكين، والخامسُ لأبناء السبيل، ويقسمُ أربعةَ أخماسِ الغنِمةِ بينَ الغانمين الذين شهدوا الوقعةَ بنيةِ القتالِ.

واختلفوا في قسمه، فقال أبو حنيفةٌ: للفارسِ سهمان، وللراجلِ سهمٌ، وقال الثلاثةُ وأبو يوسفَ ومحمدُ: للفارسِ ثلاثةُ أسهمٍ، وللراجلِ سهمٌ، وقال أبو حنيفةٌ ومالكٌ والشافعيُّ: لا يُسهمُ لأكثرَ من فرسٍ واحدٍ، وقال أحمدُ وأبو يوسفَ: يُسهمُ لفرسين، ولا يُسهمُ لغيرِ الخيلِ بالاتفاق، واختار الخرقِيُّ من أصحابِ أحمدَ: أنَّ من غزا على بعيرٍ لا يقدرُ على غيره، قُسمَ له ولبعيره سهمان.

واختلفوا في السِّلْبِ، فقال أبو حنيفةٌ: هو غنِمةٌ للكلِّ إلا أن يجعله الإمامُ للقاتلِ، فينقطعُ حقُّ الباقيين عنه بالتنفيل، وقال مالكٌ: إذا نفعه ذلك الإمامُ بضربٍ من الاجتهاد، فيكونُ له من الخمسِ دونَ جملةِ الغنِمةِ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: السِّلْبُ حقُّ القاتلِ يستحقُّه من رأسِ الغنِمةِ، سواءً قاله الإمامُ أو لم يقله، فتخرجُ الأسلابُ من الغنِمةِ، ومنها الدابةُ وآلتها^(٢)،

(١) في «ن»: «كيفما».

(٢) في «ن»: «وآلاتها».

وقال الشافعي: والنفقة، خلافاً لأحمد، ويُعطى السلب للقاتل إذا قتله حالة الحربٍ منهمكاً عليه، ثم يُخَمَّسُ بعد ذلك.

واختلفوا في النفل، وهو الزيادةُ على السهم للمصلحة، من أين يعطى؟ فقال أبو حنيفة ومالك: النفل مواهبُ الإمام من الخمس على ما يرى من الاجتهاد، وليس في الأربعة أخماس نفل، وقال الشافعي: النفل من خمس الخمس المرصّد للمصالح، وقال أحمد: يخرج الخمس، ثم ينفلُ الإمام من الأربعة أخماس، ثم يقسمُ الباقي بين الناس.

واختلفوا في حكم الأرضين المغنومة، فقال أبو حنيفة: الإمام بالخيار، إن شاء قسمها بين الغانمين، وإن شاء أقرَّ أهلها عليها، ووضعَ عليهم وعلى أراضيهم الخراج، وإن شاء صرفَ أهلها عنها، وأقرَّ غيرهم فيها، وضربَ عليه الخراج، وقال مالك: حكمها كالفيء تصيرُ وقفاً لمصالح المسلمين بنفس الظهور عليها، وقال الشافعي: حكمها حكمُ المنقول على ما تقدّم من التخميس والقسمة بين الغانمين، وقال أحمد: يُخير الإمام بين قسمها كالمنقول، وبين وقفها للمسلمين، ويضربُ عليها خراجاً يؤخذُ ممن هي في يده من مسلم وذميٍّ، ويلزّمه فعلُ الأصلح.

واختلفوا في مصرفِ الفيء، وهو ما أخذ من مالٍ كافرٍ بحقِّ بلا قتالٍ، كالجزية والخراج، وما تركوه فزعاً، ومالٌ من مات منهم ولا وارث له، ولو مرتدّاً، فقال الشافعي: يخمّسُ كالغنيمة، والأربعة أخماس للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم في ديوانِ الجهاد، ويصرفُ بعضُه في إصلاح الثغور والسلاح، وقال الثلاثة: لا يخمّسُ، وجميعُه لمصالح المسلمين.

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤٢]

[٤٢] ﴿ إِذْ أَنْتُمْ ﴾ بدلٌ من (يوم الفرقان) ؛ أي : إذ أنتم نزلٌ يا معشر المسلمين .

﴿ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ أي : بشاطئ الوادي الأدنى ؛ أي : الأقرب إلى جهة المدينة ، و (الدنيا) تأنيثُ الأدنى .
﴿ وَهُمْ ﴾ يعني : المشركين .

﴿ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾ البُعْدَى عن المدينة مما يلي مكة ، تأنيثُ الأقصى .
قرأ ابنُ كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوبُ : بالمدِّ في الحرفين بكسر العين ، والباقون : بضمِّها ، وهما لغتان كالْكُسُوةِ والكِسُوةِ^(١) .

﴿ وَالرَّكْبُ ﴾ هم الذين كانوا مع العير : أبو سفيان وأصحابه .
﴿ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ بالساحل على ثلاثة أميالٍ من بدر .
﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ ﴾ أنتم وأهلُ مكة على موعدٍ تلتقون فيه للقتال .
﴿ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ لأنهم خرجوا في طلبِ العير ، فصادفوا النفيرَ من غيرِ ميعادٍ ؛ لأن الكفارَ خرجوا لِيَذُبُّوا عنها .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٠٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٦) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥١) .

﴿وَلَكِنْ جَمَعُكُمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من نصر أوليائه،
وقهر أعدائه.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ﴾ أي: ليموت مَنْ مات.

﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ عن حُجَّةٍ قامت عليه.

﴿وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ﴾ ويعيش من عاش.

﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ عن حُجَّةٍ واضحةٍ شاهدها؛ فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة، وقيل: المراد بالهلاك والحياة: الكفر والإيمان. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف، والبخاري عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم (مَنْ حَيَّ) بياءين الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، واختلف عن قبل راوي ابن كثير، والباقون: بواحدة مفتوحة مشددة^(١).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لدعائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٤٣] ﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ في نومك؛ لأنه ﷺ رآهم في نومه ﴿قَلِيلًا﴾ ليقدموا عليهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٥٢).

﴿وَلَوْ أَرَادْتَهُمْ كَثِيرًا﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (أَرَاكَهُمْ) بالإمالة، واختلف عن ورش^(١).

﴿لَفَشِلْتُمْ﴾ جَبْتُمْ ﴿وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: اختلفتم في أمر حربهم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ من الفشل والتنازع.
﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم ما سيكون فيها، وما تغير من أحوالها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أي: يبصركم إياهم.

﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ﴾ أي: وقت اللقاء.

﴿فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ حال؛ لتقدموا عليهم.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا عليكم.

﴿لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كائناً من إعزاز الإسلام وأهله^(٢)، وإذلال الشرك وحزبه.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف،

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٥٣).

(٢) في «ش»: «وأهل مكة».

ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة محاربين. قرأ أبو جعفر: (فِيَّة) بفتح الياء من غير همز^(٢) ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ وادعوه بالنصر.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بمرادكم.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤٦).

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ باختلاف الآراء. قرأ البزطي عن ابن كثير: (وَلَا تَنَازَعُوا) بالمد وتشديد التاء^(٣).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢، ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٥٣).

(٢) في «ت»: «همزة». وانظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٥٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿فَنَفْسُلُوا﴾ تَجَبُّنُوا وَتَضَعُفُوا.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ دولتكم، والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر، تقول العرب: هَبَّتْ رِيحُ فلانٍ: إذا أَقْبَلَ أمرُه على ما يريد.

﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قال ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(١).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٤٧).

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هم النفير، خرجوا لنصر العير، وكانت قد نجت مع أبي سفيان عن طريق الساحل، فلم يرجعوا.

﴿بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ﴾ لِيُنْتَوَى عَلَيْهِم بِالشَّجَاعَةِ وَالسَّمَاةِ؛ لَأَنَّهُمْ قَالُوا: لَا نَرْجِعْ حَتَّى نَشْرَبَ الْخُمُورَ، وَنَنْحَرَ الْجَزُورَ، وَتَعَزَّفَ عَلَيْنَا الْقَيْنَاتُ، وَتَسْمَعَ بَنَاءُ الْعَرَبِ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا، فَوَافُوا بَدْرًا، فَسُقُوا كُؤُوسَ الْمَنَايَا مَكَانَ الْخَمْرِ، وَنَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ مَكَانَ الْقَيْنَاتِ، فَهَيَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي الْخِيَلَاءِ، وَأَمَرَ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ.

= (٢/٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٥٣).

(١) رواه البخاري (٢٨٦١)، كتاب: الجهاد والسير، باب: لا تمنوا لقاء العدو، ومسلم (١٧٤٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهة تمنى لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه -.

قرأ أبو جعفر: (وَرِيَاءِ النَّاسِ) بفتح الياءِ بغيرِ همزٍ^(١).

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ لمن بقي من الكفار، ونفوذِ القدرِ فيمن مضى بالقتل.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤٨).

[٤٨] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ بأن شَجَّعَهُم على لقاء المسلمين؛ لأن إبليس جاءهم في صورة سُراقَة بن مالك الكِنَاني، وهو سيّد من ساداتهم. قرأ أبو عمرو، وهشام، والكسائي، وخلاّد: (وَإِذْ زَيْنَ) وشبهه بإدغام الذال في الزاي، والباقون: بالإنفراد^(٢).

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي: مُجِيرٌ. ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئْتَانِ﴾ التقى الجمعان، ورأى الملائكة. ﴿نَكَصَ﴾ رجع القهقري.

﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ على قفاه هارباً، فلزّمهُ الحارثُ بنُ هشام وقال: أتخذلنا؟ ف ضرب صدره وانهزم.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤).

﴿ وَقَالَ إِنِّي بِرِئِّكُمْ مِنْكُمْ ﴾ أي: من جواركم.

﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ رأى الملائكة وجبريل يقود فرس النبي ﷺ به.

﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ﴾ أن يهلكني ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ قيل: انقطع الكلام عند قوله: ﴿ أَخَافُ اللَّهَ ﴾، ثم يقول الله^(١): ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي أَرَى) (إِنِّي أَخَافُ) بإسكان الياء، وفيهما، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٤٩]

[٤٩] ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ الذين في المدينة ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ هم المشركون: ﴿ غَرَّ هَؤُلَاءِ ﴾ يعنون^(٣): المؤمنين.

﴿ دِينُهُمْ ﴾ أي: توهّموا أن يُنصروا بسبب دينهم، فخرجوا وهم ثلاث مئة وبضعة عشر إلى زهاء ألف.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ جوابُ لهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب لا يذل من استجاره ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يفعل بحكمته ما يستبعده العقل.

(١) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ش».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٥٤-٤٥٥).

(٣) في «ت»: «يعني».

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٥٠).

[٥٠] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ يا محمد ﴿ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ بيدري.
قرأ ابنُ عامرٍ: (تَتَوَفَّى) بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على
التذكير^(١).

﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ﴾ ظهورهم بالسَّيَاطِ عند الموت.
﴿ وَذُوقُوا ﴾ أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا ﴿ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾،
وهذا مقدمة لعذاب النار؛ أي: لو رأيت ذلك، لرأيت أمراً عظيماً.

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٥١).
[٥١] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الضرب والعذاب.

﴿ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ ﴾ أي بسبب ما كَسَبْتُمْ من الكفر.
﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ظَلَمٌ للتكثير لأجل العبيد.

﴿ كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥٢).

[٥٢] ﴿ كَذَّابِ ﴾ أي: دأب هؤلاء ﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾
كفروا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿ تفسيراً لدأبهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٥).

﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ كما أخذ هؤلاء ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
لا يغلبه في دفعه شيء.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٣).

[٥٣] ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما حلَّ بهم ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ أي : بسبب أن الله .
﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ ﴾ مُبدلاً إياها بالنقمة .

﴿ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ يبدلوا ما بهم من الحال إلى حالٍ أسوأ ؛ كالتلبُّسِ
بالمعاصي أو الكفر الذي يوجب عقابهم ، فإذا فعلوا ذلك ، غَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ
عليهم بنقمتِهِ منهم ، كما أنعمَ على قريشٍ بمحمدٍ ﷺ ، فكفروا ، فغيرَ اللهُ
تلك النعمة بأن نقلها إلى غيرهم من الأنصار ، وأحلَّ بهم عقوبته .
﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يفعلون .

﴿ كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَآهَلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَاهُ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٥٤) .

[٥٤] ﴿ كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي : كصُنْعِهِمْ .

﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من كفارِ الأمم .

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَآهَلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أهلكنا بعضهم بالرجفة ،
وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالمسخ ، وبعضهم بالريح ، وبعضهم
بالغرق ، فكذلك أهلكنا كفارَ بدرٍ بالسيفِ لما كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ .

﴿وَأَغْرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ كُلُّهُمْ كَانَ ظَالِمِينَ﴾ يعني : الأولين والآخرين .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

[٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أصرُّوا على الكفر .

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يُتَوَقَّعُ منهم إيمان .

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ .

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من الذين كفروا ، وهم بنو قريظة : كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابه ؛ أي : أخذت منهم العهد .

﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ؛ لأنهم عاهدوه ﷺ ألاَّ يُعينوا عليه ، فأعانوا المشركين بالسلاح على قتاله ، وقالوا : نسينا وأخطأنا ، ثم عاهدوا ثانية ، فأعانوا الكفار يومَ الخندق ، وسارَ ابنُ الأشرفِ إلى مكة ، فعاهدَ الكفار .

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله .

﴿فَإِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ .

[٥٧] ﴿فَإِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ﴾ تظفرن بهم .

﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ المعنى : افعلْ بهم فعلاً من القتل

ونحوه يفرِّقُ به مَنْ وراءهم من أعدائك؛ لأنك إذا نكلت بهؤلاء، تفرِّق الأعداء، ولم يقدموا عليك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يَتَعْظُونَ فلا يحاربونك.

﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ بنقض عهد.

﴿فَأَنْذِرْ﴾ اطرخ عهدهم.

﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: بحيث تستوون أنت وهم في العلم بنقضه؛ لئلا تُتهم بخيانة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ قال ﷺ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْدَهَا، أَوْ يُنْبَذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»^(١).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي: فاتوا، الخطابُ للنبي ﷺ في الذين انهزموا من المشركين ببدر. قرأ أبو جعفر، وابنُ عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: (يَحْسَبَنَّ) بالغيبِ وفتح السين؛ أي لا يحسبنَّ الذين

(١) رواه أبو داود (٢٧٥٩)، كتاب: الجهاد، باب: في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، والترمذي (١٥٨٠)، كتاب: السير، باب: ما جاء في الغدر، وقال: حسن صحيح، عن سليم بن عامر - رضي الله عنه -.

كفروا أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا، وقرأ الباقون: بالخطاب^(١) على المعنى الأول.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم. قرأ ابن عامر: (أنهم) بفتح الألف؛ بمعنى: لأنهم، أي: لا يحسن عليهم النجاة؛ لأنهم لا ينجون، والباقون: بكسر الألف على الابتداء^(٢).

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ أي: اتخذوا أيها المؤمنون لناقضي العهد.

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ كل ما يُتَقَوَّى به من آلة الحرب.

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ أي: اقتناؤها وربطها في الثغور للغزو^(٣).

﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخيفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ كفار مكة. قرأ رؤيس

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٨).

(٣) «للغزو» ساقطة من «ت».

عن يعقوبَ: (تَرْهَبُونَ) بفتح الراء وتشديد الهاء، من رَهَبَ، والباقون: بإسكان الراء وتخفيف الهاء، من أَرْهَبَ^(١).

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من الكفرة، قيل: هم المنافقون، وقيل: هم اليهود، وقيل: الفرس ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾ لا تعرفون أعيانهم و﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ بنقص أجوركم.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٦١] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ مألوا للصالح. قرأ أبو بكر عن عاصم: بكسر (السُّلم)، والباقون: بالفتح، وهما لغتان بمعنى واحد^(٢).

﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي: إن صالحوا، فصالحهم، وتأنيث الضمير؛ لأنَّ السلمَ بمعنى المسالمة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثِقْ بِهِ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالك.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦، ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٠-٤٦١).

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ يكيدوك بالمصالحة .

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ كافيك من خدعهم .

﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾ قوأك .

﴿بِنَصْرِهِ﴾ إياك بالملائكة .

﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنصار .

﴿وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿وَأَلْفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي : بين الأوس والخزرج ، مع
ما كان بين الفريقين من العداوة ، فألف الله تعالى قلوبهم على الإسلام ،
وردهم متحابين في الله ، وهذا من معجزاته ﷺ .

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ
بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته البالغة ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ تام القدرة ﴿حَكِيمٌ﴾ فعال لما يريد .

﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ كافيك .

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ أي : وحسب من اتبعك .

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في البداء في غزوة بدر .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : حُثُّهُمْ .

﴿عَلَى الْقِتَالِ﴾ أبلغَ حَثًّا .

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ﴾ رجلاً ﴿صَدِيرُونَ﴾ محتسبون .

﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من عدوِّهم ويَقْهَرُوهم .

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾ صابرة محتسبة . قرأ الكوفيون ، والبصريان : (يَكُنْ) بالياء على التذكير ، والباقون : بالتاء على التأنيث^(١) .

﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ دين الله ، ولا ثباتكم ، لفظه شرط ، ومعناه أمر ؛ أي : ليقاتل العشرون منكم مئتين ، والمئة ألفاً .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَ أَبْنَاءَ نَحْنُ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] وكان هذا يوم بدر ، فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة : من الكافرين ، فثقلت على المؤمنين ، فخفف الله عنهم ، فنزل :

(١) انظر : المصادر السابقة .

﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ ضعفَ البدن. قرأ أبو جعفر: (ضُعْفَاءً) بفتح العين والمد وباللهمة مفتوحة نصباً، وعاصمٌ، وحمزةٌ، وخلفٌ: (ضُعْفًا) بفتح الضاد وإسكان العين، والباقون: بضم الضاد وإسكان العين، وكلُّهم بالتنوين من غير مدٍّ ولا همزٍ سوى أبي جعفر^(١).
﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من الكفار. وقرأ الكوفيون: (يَكُنْ) بالياء، والباقون: بالتاء على التأنيث^(٢).

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة فردٌّ من العشرة إلى الاثنين، فلا يجوزُ للواحدِ الفرارُ من اثنين إلا متحرِّفاً لقتال، أو متحرِّراً إلى فئة، كما تقدّم ذكرُ الحكم فيه عقب تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٦٧].

[٦٧] ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوبُ: (تَكُونُ) بالتاء مؤنثاً؛ لتأنيث الجماعة، وأبو جعفرٍ وحده قرأ: (أُسَارَى) بضم الهمزة وبألف بعد السين، والباقون: بالياء مذكراً لتذكير

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨-٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦١-٤٦٢).

(٢) المصادر السابقة.

الجمع، و(أَسْرَى) كأبي عمرو، ويعقوب: بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها^(١)، وأمال أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف (أَسْرَى)، واختلف عن ورش^(٢).

﴿حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل المشركين وأسرهم حتى يُذل الكفر ويُعزَّز الإسلام ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حُطَامَهَا بأخذكم الفداء.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يريد لكم ثوابها.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يُغْلِبُ أوليائه على أعدائه.

﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم ما يليق بكلِّ حالٍ ويخصُّه بها، كما أمر بالإثخان،

ومنع عن الفداء حين كانت الشوكة للمشركين، وخيَّرَ بينه وبين المنِّ لما تحولت الحال، وصارت الغلبة للمؤمنين.

روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى يوم بدرٍ بسبعين أسيراً، فيهم العباس، وعقيل بن أبي طالب، فاستشارهم فيهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «قومك وأهلك، استبقهم لعلَّ الله يتوب عليهم، وخذ منهم فديةً تقوِّي بها أصحابك»، فقال عمر رضي الله عنه: «اضرب أعناقهم؛ فإنهم أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن الفداء، فمكني من فلان، نسيب له، ومكِّن علياً وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم»، فلم يهو ذلك النبي ﷺ، وقال:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٦٢-٤٦٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٦٣).

«إِنَّ اللَّهَ لَيُلَيِّنُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَمَثَلَكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فَخَيَّرَ أَصْحَابَهُ، فَأَخَذُوا الْفِدَاءَ، وَكَانَ الْفِدَاءُ لِكُلِّ أُسِيرٍ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدٌ مِمَّنْ حَضَرَ إِلَّا أَحَبَّ الْغَنَائِمَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنَّهُ أَشَارَ بِقَتْلِ الْأَسْرَى، وَسَعَدُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَانَ الْإِثْحَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِبْقَاءِ الرِّجَالِ»، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ (١).

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٨﴾.

[٦٨] فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكر رضي الله عنه يبكيان، فقال: يا رسول الله! أخبرني، فإن أجد بكاءً بكيْتُ، وإلاً تباكيتُ، فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة؛ شجرة قريبة منه (٢).

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكم سبق في اللوح المحفوظ أنه لا يؤخذ على خطأ.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٨٣/١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٢١/٦)، وغيرهم عن ابن مسعود - رضي الله عنه -.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

﴿لَمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] رُوي أنه ﷺ قال : «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ ، مَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(١) فلما نزلت هذه الآية ، أمسكوا عما أخذوه من الفدية ، فنزل : ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية ؛ فإنها من جملة الغنائم .
﴿حَلَالًا﴾ أي : أكلاً حلالاً ، وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة ، ولذلك وصفه بقوله : ﴿طَيِّبًا﴾ قال ﷺ : «أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي»^(٢) .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفته .

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما صدر منكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بتوبته عليكم .

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر : (الأسارى) بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ألف على وزن فُعَالَى ، وقرأ الباقر : (الأسرى) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها على وزن فَعْلَى^(٣) ، وهم على أصولهم في الإمالة كما تقدّم

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤٨/١٠) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) وقد تقدم هذا عنهم قريباً .

قريباً^(١)؛ أي: قل للأسارى الذين ملكتهم وأخذت منهم الفداء:

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ خلوص إيمان.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا،

ويشيبكم عليه في الأخرى.

﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ روي أنها نزلت في العباس رضي الله عنه،

كلفه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال: يا محمد! تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت، فقال: فأين الذهب الذي دفعته إلي أم الفضل وقت خروجك، وقلت لها: إنني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث لي حدث، فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال: وما يدريك؟ فقال: «أخبرني به ربي تعالى»، فقال: فأشهد أنك صادق، وأن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، والله! لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل، قال العباس: فأبدلني الله منها عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير، وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي^(٢).

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نقض ما عاهدوك.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٤١)،

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٤١).

﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : من قبلك بكفرهم .

﴿ فَأَمَكَنَ مِنْهُمْ ﴾ ببدر قتلاً وأسراً .

﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴾ أي : فإن عادوا ، فسيمكنك منهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٧٢] .

[٧٢] ونزل في المهاجرين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ أي : هَجَرُوا قومهم وديارهم ﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ونزل في الأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ ءَاوُوا ﴾ رسول الله ﷺ والمهاجرين معه ؛ أي : أسكنوهم منازلهم .

﴿ وَنَصَرُوا ﴾ أي : ونصروهم على أعدائهم .

﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ دون قراباتهم من الكفار في الدين والحلف والنصرة والميراث ، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة حتى كان فتح مكة ، وانقطعت الهجرة ، نُسخَ بقوله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٥] .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ أي : لا توارث بينهم حتى يُهاجروا إليكم . قرأ حمزة : (وَلَايَتِهِمْ) بكسر

الواو، والباقون: بالفتح^(١)، ومعناها واحد؛ كالدلالة والدلالة، وقيل:
بالفتح معناه: النصر، وبالكسر: الإمارة.

﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: المؤمنون الذين لم يُهاجروا.
﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ أي: فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين.
﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: عهد، فلا تنصروهم عليهم ﴿وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ
وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الموارثة والنصرة، فلا
توالوهم أنتم.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أمرتم به من النصرة على الكفار
والتواصل.

﴿تَكُنْ﴾ تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ بقوة الكفر.
﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعف الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأْ وَنَصَرُوا
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)،
و«تفسير البغوي» (٢/٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٦٥).

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الكاملون في الإيمان حَقَّقُوا إيمانهم بتعجيل مقتضاه؛ من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تبعة ولا منة فيه، وهو طعام الجنة، وكُرِّرَتْ هذه الآية؛ لأن بعضهم هاجر قبل الحُدُيبية، وبعضهم بعدها، وبعضهم ذو هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، فالآية الأولى لأصحاب الهجرة الأولى، والثانية للثانية.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ أي: بعد السابقين إلى الهجرة الأولى.

﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: من جملتكم، لطف تعالى باللاحقين، فجعلهم من السابقين.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ، فنسخ التوارث بالهجرة، وردَّ الميراث إلى أولي الأرحام.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ صفة مناسبة لنفوذ هذه الأحكام.

واختلف الأئمة في توريث ذوي الأرحام ممن لا سهم له في القرآن، وهم كلُّ ذي قرابة ليس بذِي فرض ولا عَصَبَةٍ، وهم أحد عشر صنفاً: أولادُ البناتِ الذكورُ منهم والإناثُ، وولدُ الأخواتِ، وبناتُ الإخوة، وبناتُ الأعمام، وبنو الإخوة من الأم، والعماتُ، والأخوالُ، والخالاتُ، والجَدُّ

أبو الأم، والجدة أم أبي الأم، ومن أدلى بهم، فذهب مالك والشافعي أنهم لا يؤرثون، وبيت المال أولى منهم.

وذهب أبو حنيفة وأحمد: إلى أنهم يؤرثون، استدلالاً بالآية الشريفة، وبقوله ﷺ: «الْخَالُ وَارِثٌ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ»^(١)، ويقدم الرد عليهم، فإن كان للميت^(٢) ذو فرض لم يستغرق المال، وفضلت منه فضلة، ولم يكن عصبه، فالفاضل مردود عليهم على قدر سهامهم؛ للآية الشريفة، ولقوله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِلْوَارِثِ»^(٣)، ولا يرث على الزوج والزوجة؛ لأنهما ليسا من أولي الأرحام، وإذا لم يكن للميت عصبه، ولا ذو فرض من أهل الرد، فالميراث لذوي الأرحام ممن ذكر من الأصناف. واختلف مورثاهم في كيفية توريثهم، فقال أبو حنيفة: يؤرثون على ترتيب العصبات، الأقرب فالأقرب؛ كمن له بنت بنت بنت^(٤) وأب أم، فهو أولى؛ لأنه أقرب، وإن كان أب أب أم، وعمه أو خاله، فهي أولى؛ لأنها أقرب، ونحو ذلك، فإن استووا في القرب والإدلاء، فإن اتفقت الآباء والأمهات، فالمال بينهما على السواء إن كانوا ذكوراً أو إناثاً، وإن كانوا

(١) رواه أبو داود (٢٨٩٩)، كتاب: الفرائض، باب: في ميراث ذوي الأرحام، وابن ماجه (٢٦٣٤)، كتاب: الديات، باب: الدية على العاقلة، فإن لم يكن عاقلة، ففي بيت المال، عن المقدم - رضي الله عنه - . وفي الباب: عن عائشة وأبي أمامة - رضي الله عنهما - .

(٢) في «ت»: «الميت» .

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٦٤/٢)، والطيالسي في «مسنده» (٢٣٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦٣)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٤) في «ت»: «بنت بنت بنت بدل «بنت بنت بنت» .

مختلطين، فللذكر مثل حظ الأنثيين، مثاله: بنت بنت ابن، وبنت بنت ابن، المال بينهما على السواء، وكذلك ابن بنت بنت، وابن بنت بنت، وإن كان بنت بنت بنت وابن بنت بنت، المال بينهما أثلاثاً، وإن اختلف الأمهات والآباء، فعند أبي يوسف، وهو رواية عن أبي حنيفة رحمهما الله: العبرة لأبدانهم لا لأصولهم؛ لأن ذوي الأرحام إنما يورثون بالقرابة كالعصبات، وكل واحد مستبذ بنفسه في أصل الاستحقاق، فتعتبر الأبدان كالعصبات، وعند محمد، وهو أشهر روايتين عن أبي حنيفة: العبرة لأصولهم، فيقسم المال على أصولهم، ويعتبر الأصل الواحد متعدياً بتعدد أولاده، ثم يُعطى لكل فرع ميراث أصله، ويجعل كل أنثى تدلي إلى الميت بذكر ذكراً، وكل ذكر يدلي إلى الميت بأنثى أنثى، سواء كان إدلاؤهما بأب واحد أو بأكثر، أو بأم واحدة أو بأكثر، ثم يقسم سهام كل فريق بينهم بالسوية إن اتفقت صفاتهم، وإذا اختلفت، فللذكر مثل حظ الأنثيين؛ لأن الفروع إنما تستحق الميراث بواسطة الأصول، فيجب أن تكون العبرة للأصول.

وقال أحمد: يُورثون بالتنزيل، وهو أن يجعل كل شخص بمنزلة من أدلى به، فتجعل ولد البنات والأخوات كأمهاتهم، وبنات الإخوة والأعمام وأولاد الإخوة من الأم كآبائهم، والأخوال والخالات وآباء الأم كالأم، والعمات والعم من الأم كالأب، ثم تجعل نصيب كل وارث لمن أدلى به، فإن أدلى جماعةً بواحد، واستوت منازلهم منه، فإن كان أبوهم واحداً، وأمهم واحدة، فنصيبه بينهم بالسوية، ذكرهم وأنثاهم سواء، لأنهم يورثون بالرحم المجرد، فاستوى ذكورهم وإنثاهم؛ كولد الأم، وإذا كان ابن وبنت أخت وبنت أخت أخرى، فلبنت الأخت وحدها النصف، وللأخرى وأخيها النصف بينهما، وإن اختلفت منازلهم من المدلي به، جعلته كالميت،

وقسمت نصيبه بينهم على ذلك، ويسقط البعيد بالقريب إن كانا من جهة واحدة؛ كخالة وأم أبي أم، أو ابن خال، فالميراث للخالة؛ لأنها تلقى الأم بأول درجة، وإن كانا من جهتين، نزلت البعيد حتى يلحق بوارثه، سواء سقط به القريب، أو لم يسقط؛ كبنت بنت بنت، و بنت أخ لأخ، المال لبنت بنت البنت بالفرض والرد.

واتفق الأربعة على أن من مات ولا وارث له من ذوي فرض ولا تعصيب ولا رحم، فإن ماله لبيت مال المسلمين.

ثم اختلفوا في صرف التركة إلى بيت المال، فقال الشافعي ومالك: تصرف إرثاً، وقال أبو حنيفة وأحمد: ليس بيت المال وارثاً، وإنما يحفظ المال الضائع وغيره، فهو جهة ومصلحة، والله أعلم.

* * *



مدنية وآيها مئة وتسع وعشرون آية، وحروفها عشرة آلاف وثمان مئة وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمها ألفان وأربع مئة وسبع وتسعون كلمة.

قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس رضي الله عنها: «سورة التوبة؟» فقال: تلك الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى خشناً ألا تدع أحداً»^(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إنكم تسمون هذه السورة سورة التوبة، وإنها سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه»^(٢).

أهل المدينة يسمونها: التوبة، وأهل مكة يسمونها: الفاضحة، وسميت التوبة؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين، والفاضحة؛ لأنها تفضح المنافقين، ومن أسمائها: المخزية؛ لأنها تخزيهم، والمقشقة؛ لأنها تقشقش من النفاق؛ أي: تبرئ منه، والمبعثرة، لأنها تبعثر أسرار المنافقين،

(١) رواه البخاري (٤٦٠٠)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الحشر، ومسلم

(٣٠٣١)، كتاب: التفسير، باب: في سورة براءة والأنفال والحشر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٦٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط»

(١٣٣٠)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٧٤).

والمشرّدة، لأنها تشرّدُ بهم، والمثيرة؛ لأنها تبحثُ عن حالِ المنافقين وتُثيرها، والحافرة؛ لأنها حفرتُ على قلوبهم، والمنكّلة؛ لأنها تنكّلُ بهم^(١)، والمُدمّمة؛ لأنها تدمدّمُ عليهم، وسورة العذاب؛ لتضمّنُها معناه.

واختلفَ في سقوطِ البسملةِ من أولها، فقيل: كان من شأن العرب في زمنِ الجاهلية إذا كانَ بينهم وبين قوم عهدٌ، فإذا أرادوا نقضه، كتبوا إليهم كتاباً لم يكتبوا فيه البسملة، فلما نزلت براءة بنقضِ العهدِ الذي كانَ بينَ النبي ﷺ والمشرّكين، بعثَ بها النبي ﷺ عليّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فقرأها عليهم في الموسم، ولم يتسهّل في ذلك على ما جرت عادتهم في نقضِ العهدِ من تركِ البسملة.

وقال ابنُ عباسٍ لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم على أنْ عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطرَ: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال: عثمان رضي الله عنه: إن رسولَ الله ﷺ كان إذا نزلَ عليه شيءٌ، يدعو بعضَ من يكتبُ عنده، فيقول: «ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَاً وَكَذَا»، وكانت الأنفال مما نزلَ بالمدينة، وبراءة من آخرِ ما نزلَ، وكانت قصّتها شبيهةً بقصتها، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فظننتُ أنها منها، فمن ثمّ قرنتُ بينهما، ولم أكتبَ بينهما سطرَ: بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

(١) في جميع النسخ «تنكلهم»، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه أبو داود (٧٨٦)، كتاب: الصلاة، باب: من جهر بها، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٠٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة =

وكانتا تدعيان: القرينين، قال ابنُ العربي: هذا دليلٌ على أن القياسَ أصلٌ في الدين، ألا ترى إلى عثمان وأعيان الصحابة رضي الله عنهم كيف نَحَوُوا إلى قياسِ الشبهِ عندَ عدمِ النصِّ ورأوا أن قصةَ براءةَ شبيهةٌ بقصةِ الأنفالِ، فألحقوها بها؟ فإذا كانَ الله قد بيَّنَ القياسَ في تأليفِ القرآن، فما ظنُّكَ بسائرِ الأحكام^(١)؟

وقيل: سورةُ الأنفالِ وبراءةُ سورةٌ واحدةٌ، كلتاها نزلت في القتال، تعدان السابعةَ من الطوال، وهي سبعٌ، وما بعدها المئون؛ لأنهما معاً مئتان وأربعُ آيات، فهما بمنزلةِ إحدى الطُّوال. وقد اختلف أصحابُ رسولِ الله ﷺ لما كتبوا المصحفَ في خلافةِ عثمان، فقال بعضهم: الأنفالُ وبراءةُ سورةٌ واحدةٌ، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركتُ بينهما فُرْجَةً لقولِ مَنْ قال: هما سورتان، وتركتُ بسمِ الله لقولِ مَنْ قال هما سورةٌ واحدةٌ، فرضيَ الفريقانِ معاً.

وسُئِلَ عليٌّ رضي الله عنه عن تركهِ البسملةَ في براءة، فقال: «بسمِ الله الرحمن الرحيم أمانٌ، وبراءةٌ نزلتُ بالسيفِ ليسَ فيها أمانٌ»^(٢).

قال القرطبي: والصحيحُ أن التسميةَ لم تكتبْ لأنَّ جبريلَ عليه السلام ما نزلَ بها في هذهِ السورةِ^(٣). وتقدَّم ذكرُ اختلافِ العلماءِ والقراءِ مستوفى

= التوبة، وقال: حسن صحيح.

(١) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤٤٦/٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٢٧٣). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١٢٢/٤).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٦٣/٨).

في حكم البسملة بين كلِّ سورتين سوى براءة عند الكلام في البسملة أول التفسير، ومُلَخَّصُه: أنَّ مذهب الشافعي رضي الله عنه أن البسملة آية من الفاتحة ومن كلِّ سورة سوى براءة، ومذهب أحمد وأبي حنيفة أنها آية مستقلة بين كلِّ سورتين سوى براءة، فيكره ابتداؤها بها، ومذهب مالك أنها ليست بآية من الفاتحة، ولا من غيرها، وإنما كُتبت للتميُّن والتبرُّك بها مع إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل، وأنَّ بعضها آية من الفاتحة.

وأما مذاهب^(١) القراء فيها، فقد أجمعوا على حذفها بين الأنفال وبراءة، وكذلك في الابتداء ببراءة، وأما الابتداء بالآي وسط براءة، ففيه خلاف، ويجوز بين الأنفال وبراءة كلُّ من الوصل والسكت والوقف لجميع القراء إذا لم يقطع على آخر الأنفال، فالقطع: هو قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، والوقف: هو قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، والسكت: هو قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف عادة من غير تنفُّس، والله أعلم.

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١﴾ .

[١] قوله تعالى: ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ خروج من الشيء، ومفارقة له بشدة، والتقدير: هذه براءة ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم ﴾ أيها المؤمنون.

﴿ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ والمعنى: أن الله ورسوله قد برءا من العهد الذي عاهدتم به المشركين، رُوي أنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك، كان المنافقون يُرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت

(١) في «ت»: «مذهب».

بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله بنقض عهودهم، وكان رسول الله ﷺ هو الذي عاهدهم عاماً على ألا يُصدَّ أحدٌ عن البيت الحرام، ونحو هذا من الموادعات، وأصحابه كلُّهم راضون بذلك، فكانهم عاهدوا، فنُسبَ العهدُ إليهم، وكذلك ما عقده أئمة الكفر على قومهم منسوبٌ إليهم يؤخذون به؛ إذ لا يمكن غير ذلك؛ لأنَّ تحصيل الرضا من الجميع متعذّر، فإذا عقد الإمام لما يرى من المصلحة أمراً، لزم جميع الرعايا.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾.

[٢] ﴿فَسِيحُوا﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب؛ أي: قل لهم: سِيحُوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سيروا فيها آمين.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ تأجيلٌ من الله للمشرّكين، فمن كانت مدة عهده أقلَّ من أربعة أشهر، رُفِعَ إليها، ومن كانت مدّته أكثرَ منها، حُطَّ إليها، ومن كانت مدة عهده بغير أجلٍ محدودٍ، حدّه بأربعة أشهرٍ، ثم هو حربٌ بعد ذلك لله ورسوله يُقتل حيث أُدْرِكَ، ويؤسّر، إلا أن يتوب، وابتداءً هذا الأجل يومَ الحجِّ الأكبر، وانقضاؤه إلى عشرٍ من ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهدٌ، فإنما أجله انسلاخُ المحرّم، وذلك خمسون يوماً، وقيل: الأشهرُ الأربعة: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، والأولُ أصوب، وعليه الأكثر.

﴿وَاعْلَمُوا﴾ أيها الناكثون ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي﴾ أي: فائتي ﴿اللَّهِ﴾ بعد الأربعة أشهر.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِيٌ﴾ مُذِلُّ ﴿الْكَافِرِينَ﴾ بالقتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

[٣] ونزلت براءة سنة ثمانٍ من الهجرة، وفيها فتحت مكة، فلما كان سنة تسع تجهّز النبي ﷺ، ف قيل له: إن المشركين يطوفون بالبيتِ عِراءَ فقال: «لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى ذَلِكَ»، فبعث أبا بكرٍ أميراً على الموسم ليقم للناس الحجَّ، وبعث معه بأربعين آيةً من صدرِ براءة ليقراها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً على ناقته العُضباء ليقراً على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة: أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله من كلِّ مشركٍ، ولا يطوف بالبيتِ عُريان، فرجع أبو بكر وقال: يا رسول الله! أنزل في شأني شيء؟ قال: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُبْلَغَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي، أَمَا تَرْضَى أَنَّكَ كُنْتَ مَعِيَ فِي الْغَارِ، وَأَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ؟»، قال: بلى. فسار أبو بكرٍ أميراً على الحجِّ، وعليّ ليؤذن ببراءة، وكان من عادة العرب في عقدِ العهود ونقضها ألا يتولّى ذلك إلا سيدهم، أو رجلٌ من قومه، أقربهم إليه نسباً، فلما كان قبل التروية بيوم، خطب أبو بكرٍ الناس، وحدثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحجَّ، والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحجِّ، حتى إذا كان يومُ النحر، قام عليٌّ عند جمرَةِ العقبة، وأذن في الناس بما أمر به من الآيات، وألاً

يطوف بالبيت عُريان، وأن يتم إلى كلِّ عهدٍ عهده، وإن لم يكن عهدٌ، فعهدُه أربعة أشهرٍ، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ، وألاً يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا، فقال المشركون الناكثون: أخبر ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظُهورنا، وأن ليس بيننا وبينه إلا طعنٌ بالرمح وضربٌ بالسيف.

﴿وَأَذِّنْ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ أي: وإعلامٌ.

﴿مَنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ مبتدأ، خبرُهُ ﴿إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ هو يومُ عرفة، والحجُّ الأصغرُ العمرة؛ لنقصِ عملِها.

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من عهودِهِم.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ قراءةُ العامة برفع (رَسُولُهُ) مبتدأ خبرٍ؛ أي: ورسولُهُ بريءٌ أيضاً من المشركين. وقرأ يعقوبُ: (وَرَسُولُهُ) بنصبِ اللام عطفاً على اسم (أَنَّ) ^(١)، ولا يجوزُ عطفُهُ على (المشركين)؛ لأنه كفرٌ، وتقدّم في أول التفسير عند شكل القرآن ونقطه أن سببَ وضع الإعراب في المصاحف أن أبا الأسود الدؤليّ التابعي البصريّ حكى أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بكسر اللام، فأعظمه ذلك، وقال: «عَزَّ وَجْهُ اللَّهِ أَنْ يَبْرَأَ مِنْ رَسُولِهِ»، ثم جعل الإعراب في المصاحف ^(٢)، تلخيصُهُ: براءة وإعلامٌ من الله ورسوله بأن لا عهدَ لناكثٍ.

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٣).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩٢/٢٥).

﴿ فَإِنْ تَبَيَّنَ ﴾ من الكفرِ ونقضِ العهدِ .
 ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أَعْرَضْتُمْ عن الإيمان .
 ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ لا تعجزونه ، ولا تفوتونه في الدنيا .
 ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في الآخرة .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

[٤] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ استثناء من المشركين ، وهم بنو ضَمْرَةَ : حَيٌّ مِنْ كِنَانَةَ ، أَمَرَ ﷺ بِاتِّمَامِ عَهْدِهِمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ، وكان قد بقي منها تسعة أشهر ، والسبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد ، وثبتوا عليه ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾ من عهديكم .
 ﴿ وَلَمْ يُظَاهِرُوا ﴾ يعينوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ من أعدائكم .
 ﴿ فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ﴾ أدؤوه إليهم ﴿ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ كمالاً ، ولا تجروهم مُجْرَى الناكثين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ تنبيه على أن تمام عهدهم من باب التقوى .

﴿ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

[٥] ﴿ فَإِذَا أُنْسِلَخَ ﴾ انقضى ﴿ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ التي أبيح للناكثين أن يسيحوا

فيها، وقيل لها: حُرْمٌ؛ لأن الله تعالى حَرَّمَ فيها على المؤمنين دماءَ المشركين والتعرُّضَ لهم، المعنى: إذا مضتِ المدةُ المضروبةُ التي يكونُ معها انسلاخُ الأشهرِ الحَرَمِ، وأصلُ الانسلاخِ: خروجُ الشيءِ مما لا بَسَه؛ من سَلَخِ الشاةِ.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ من حِلٍّ وحَرَمٍ.
﴿وَاخْذُوهُمْ﴾ وأسِرُّوهم، والأخِذُ: الأسيرُ ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ﴾ احْبِسُوهم.
﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ على كُلِّ طريقٍ، والمرصدُ: كُلُّ مكانٍ يُرصدُ منه العدوُّ؛ أي: يرقُبُ فيه؛ لتأخذوهم من أيِّ جهةٍ توجَّهوا.
﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الشركِ.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ تصديقاً لتوبتهم وإيمانهم.
﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ اتركوهم يدخلون مكة، ويتصرَّفون في البلاد، وفيه دليلٌ على أن تاركَ الصلاةِ ومانعَ الزكاةِ لا يخلَى سبيلُهُ، فالكفارُ مخاطَّبون بالإيمان بالاتفاق، وبالفروعِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وقال أكثرُ الحنفيةِ: ليسوا مخاطَّبين بالفروعِ، وهو قولُ مالكٍ، ويأتي ذكرُ حكمِ تاركِ الصلاةِ ومانعِ الزكاةِ في سورةِ الماعونِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تابَ ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾ أي: وإن جاءكَ أحدٌ.

﴿ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ المأمور بقتلهم ﴿ أَسْتَجَارَكَ ﴾ استأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم.

﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ فأمّنه ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ أي: قراءتك كلام الله؛ ليعلم شرائع الإسلام.

﴿ ثُمَّ أبلغه مأمْنَهُ ﴾ الموضع الذي يأمن فيه، وهو دار قومه إن لم يُسلم، فإن قاتلك بعد، فاقتله.

﴿ ذَلِكَ ﴾ المأمور به من الإجارة ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ ﴾ جهلة.

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ دين الله، فهم محتاجون إلى سماع كلامه.

ولا خلاف بين الأئمة في جواز أمان السلطان؛ لأنه مقدّم للنظر والمصلحة، وكذا أمان الحرّ جائز بالاتفاق، وأما العبد المسلم إذا أمّن شخصاً أو مدينة، فقال الثلاثة: يمضي أمانه مطلقاً، وقال أبو حنيفة: لا يمضي إلا أن يكون سيده أذن له في القتال.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَهِدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

[٧] ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴾ استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد، المعنى: ممتنع ثبوت عهد للمشركين.

﴿ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهم قبائل بني بكر، وبني خزيمه، وبني مدلج، وبني ضمرة، وبني الدليل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية، ولم يكن نقض إلا قريش وبني الدليل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض، وهم بنو ضمرة.

﴿فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ﴾ أي: فما قاموا على الوفاء بعهدكم.

﴿فَاسْتَقِمْوْا لَهُمْ﴾ أي: فأقيموا لهم على مثل ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ تقدّم تفسيره.

﴿كَيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٨] ﴿كَيفَ﴾ أعاد الإنكار والاستبعاد؛ أي: كيف يكون لهم عهد.

﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم.

﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ يحفضوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً، والذمة في اللغة: عبارة عن العهد، وفي الشرع: عبارة عن وصف يصير فيه أهلاً للإيجاب والاستحباب.

﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يُظْهِرُونَ الْجَمِيلَ، وَيُضْمِرُونَ الْقَبِيحَ، ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الإيْمَانُ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ناقضو العهد؛ لأنّ منهم من وفى.

﴿ أَشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِۦ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ أَشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ﴾ استبدلوا بالقرآن ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من حُطَامِ الدنيا ونيلِ الشهوات ، وذلك أنهم نقضوا العهدَ بأكلةٍ أطعمهم أبو سفيان .
﴿ فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِۦ ﴾ أي : فمنعوا الناسَ من الدخولِ إلى دينه .
﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عملُهم هذا .

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .
[١٠] ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ لا تُبْقُوا عليهم أيها المؤمنون ؛ فإنهم لا يُبْقُونَ عليكم إن ظفروا بكم .
﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ بنقضِ العهد .

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .
[١١] ﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ من الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ فَإِخْوَانُكُمْ أي : فهم إخوانكم ﴿ فِي الدِّينِ ﴾ لهم مالُكم ، وعليهم ما عليكم .
﴿ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ نُبَيِّنُهَا ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ قال ابنُ عباسٍ : « حُرِّمَتْ بهذه الآية دماءُ أهلِ القبلة »^(١) .

(١) رواه أبو الشيخ في «تفسيره» ، عن الحسن البصري ، كما ذكر السيوطي في «الدر=

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا
أَيِّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ نقضوا عهودهم ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ يعني :
مشركي قريش ، ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوا الإسلام .

﴿فَقَتَلُوا أَيِّمَةَ الْكُفْرِ﴾ رؤوس المشركين وقادتهم ، نزلت في
أبي سفيان وأصحابه رؤساء قريش الذين نقضوا العهد . قرأ ابن عامر ،
وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وروح عن يعقوب : (أَيِّمَةَ)
بهمزتين محقتين على الأصل ، والباقون : بتحقيق الأولى ، وتسهيل
الثانية بينَ بينَ ، وروي عنهم وجهٌ أنها تجعل ياءً خالصةً مكسورة
تخفيفاً ؛ لاستثقالهم تحقيق همزتين في كلمة واحدة ، وأبو جعفر
يدخل بينهما ألفاً مع تسهيل الثانية ، وهشامٌ راوي ابن عامرٍ روي عنه
المدُّ مع تحقيق الهمزة الثانية^(١) .

﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ حقيقة ؛ لنقضهم العهد قراءة العامة :
(أَيِّمَان) بفتح الهمزة ، جمعُ يمين ، وقرأ ابن عامرٍ : بكسر الهمزة بمعنى

= المنثور (١٣٢/٤) . وعزاه البغوي في «تفسيره» (٢٥٣/٢) إلى ابن عباس -
رضي الله عنه - .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣١٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٧) ،
و«تفسير البغوي» (٢٥٤/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٣٧٨-٣٧٩) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٤٠) ، و«معجم
القراءات القرآنية» (٩/٣) .

التصديق^(١)؛ أي: إن لم يف لكم المشركون، وعابوا دينكم، فقاتلوهم.
﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

واختلفوا في يمين الكافر هل تنعقد؟ فقال أبو حنيفة ومالك: لا تنعقد،
وسواء حنث حال كفره أو بعد إسلامه، ولا يصح منه كفارة؛ استشهاده
بظاهر ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾.

^١ وقال الشافعي وأحمد: تنعقد يمينه؛ بدليل وصفها بالنكث، وتلزمه
الكفارة بالحنث فيها في الموضعين، ويكفر بغير الصوم.

وأما الذمي إذا طعن في الدين؛ بأن ذكر الله سبحانه بما لا يليق
بجلاله، أو ذكر كتابه المجيد، أو رسوله الكريم ودينه القويم بما
لا ينبغي، فإنه ينتقض عهده عند مالك وأحمد، سواء شرط ترك ذلك
عليهم، أو لم يُشترط، وقال الشافعي: إن شرط انتقاض العهد بها،
انتقض، وإلا فلا، فإذا انتقض عهده، فقال مالك: يُقتل، وقال الشافعي
وأحمد: يخير الإمام فيه قتلاً وريقاً ومناً وفداءً، ولا يردُّ إلى مأمنه، وقال
أبو حنيفة: لا ينتقض عهده إلا باللحاق بدار الحرب، أو أن يغلبوا على
موضع فيحاربوا، فيصير أحكامهم كالمرتدين، إلا أنه إذا ظفروا بهم،
نسترقُّهم، ولا نجبرهم على الإسلام، ولا على قبول الذمة، فإن أسلم،
لم يقتل بالاتفاق.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٢)، و«اليسير» للداني (ص: ١١٧)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَرَّتْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣].

[١٣] ثم حَرَّضَ المسلمين على قتالهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ نقضوا عهودهم، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة.

﴿ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة.
 ﴿ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ ﴾ بالقتال ﴿ أُولَٰئِكَ مَرَّةً ﴾ يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه، ثم وَبَّخَهُمْ على خوفهم منهم فقال:

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ فتركوا قتالهم ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ ﴾ من غيره.
 ﴿ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ فقاتلوا أعداءه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٤].

[١٤] ثم شَجَّعَهُم عليهم فقال: ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ يقتلهم الله.
 ﴿ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾ يُذِلُّهُمْ بالأسْرِ والقتل. قرأ رُؤَيْسٌ عن يعقوب:
 (وَيُخْزِهِمْ) بضم الهاء، والباقون: بالكسر^(١).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠/٣).

﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَكُمْ﴾ وَيُبْرِئِ دَاءَ قُلُوبِ .
﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما كانوا ينالونه من الأذى منهم .

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ (١٥) .

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرَبَهَا وَوَجَدَهَا .

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهديه للإسلام؛ كأبي سفيان، وعكرمة بن
أبي جهل، وسهيل بن عمرو. وقراءة العامة: (وَيَتُوبُ) برفع الباء استئنافاً
إخباراً عن توبته على من أسلم، وقرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه:
بنصب الباء على تقدير وأن (يَتُوبُ) أو حَتَّى (١).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما كان وسيكون ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعل شيئاً عبثاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) .

[١٦] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظننتم، خطابٌ للمؤمنين حين كره بعضهم القتال
﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾ فلا تؤمروا بالجهاد ولا تُمْتَحِنُوا ليظهر الصادق من الكاذب .
﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولما يرى الله .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٨)، و«المحتسب» لابن
جني (١/ ٢٨٤-٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠) .

﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً﴾
 ولياً خاصاً من المشركين، وخاصّة الرجل وَلِجَتُهُ؛ أي: لا تتركون حتى
 يتبين المخلصون والمجاهدون منكم. قرأ الكسائي: (وَلِجَةً) بإمالة الجيم
 حيث وقف على هاء التأنيث^(١).

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعلم غرضكم منه.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(١٧).

[١٧] ولما أسر العباس يوم بدر، وعيّره المسلمون بالكفر وقطيعة
 الرحم، وأغلظ عليّ له القول، قال العباس: وما لكم تذكرون مساوئنا،
 ولا تذكرون محاسننا، فقال له عليّ: ألكم محاسن؟ فقال: نعم، إنا نعمر
 المسجد الحرام، ونحجّب الكعبة، ونسقي الحاج، فنزل ردّاً عليه: ﴿مَا
 كَانَ﴾^(٢) ما جاز ولا ينبغي.

﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ويعقوب:
 (مَسْجِدَ اللَّهِ) على التوحيد، والمراد: الكعبة، والباقون: (مَسَاجِدَ) على
 الجمع^(٣)، والمراد: جنس المساجد، والكعبة داخلة فيه، المعنى: ليس

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)،
 و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١).

لهم الجمعُ بين أمرين متنافيين : عمارة متعبداتِ الله مع الكفرِ .

﴿ شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ بإظهارِ الشُّركِ ، وتكذيبِ الرسولِ ،
وعبادَةِ الأصنام ، وقولِ النصراني : أنا نصرانيٌّ ، وقولِ اليهوديِّ : أنا
يهوديٌّ ، ونصبُ (شاهدين) على الحالِ .

﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ ﴾ لأنها لغيرِ الله .

﴿ وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ ﴾ لكفرهم .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) .

[١٨] ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ اتفقَ جميعُ القراء على الجمعِ
في هذا الحرف ؛ لأن المراد به : جميعُ المساجد .

﴿ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا
اللَّهَ ﴾ لم يترك أمر الله خشيةً من غيره ، وعمارة المسجد : بناؤه ، ورمُّ
متشعته ، وكنسه ، والصلاة والذكرُ ودرسُ العلم الشرعيِّ فيه ، وصيانته مما
لم يُبْنَ له ؛ كحديثِ الدنيا ونحوه^(١) ، وفي الحديثِ : «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ
نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقًا ، ذَكَرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ
الدُّنْيَا ، فَلَا تَجَالِسُوهُمْ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ»^(٢) ، ويحرمُ البصاقُ في

(١) في «ت» : «وغيره» .

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٥٢) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»
(١٠٩/٤) ، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٩٨/٢) ، =

المسجد بالاتفاق؛ لأن رسول الله ﷺ سماها خطيئة وسيئة، وكفارتها أن تواريتها، ومن يبصق في المسجد استهزاءً به، كفر بغير خلاف، وكذا لو بصق على القرآن بقصد الاستهزاء، وأما حكم القاضي في المسجد، فسيأتي ذكر الحكم فيه في سورة الجن إن شاء الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الآية: ١٨].

﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (عسى) من الله واجب؛ أي: أولئك هم المهتدون.

قال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»^(١).
وروي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد بناء المسجد، فكرة الناس ذلك وأحبوا أن يدعه، قال عثمان رضي الله عنه: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «مَنْ بَنَىٰ لِلَّهِ مَسْجِدًا، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ كَهَيْئَتِهِ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾^(١٩).

= عن ابن مسعود - رضي الله عنه - . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤): فيه
بزيع أبو الخليل، ونسب إلى الوضع.

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة، وقال: حسن
غريب، وابن ماجه (٨٠٢)، كتاب: الصلاة، باب: لزوم المساجد وانتظار
الصلاة، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

(٢) رواه البخاري (٤٣٩)، كتاب: المساجد، باب: من بنى مسجداً، ومسلم (٥٣٢)،
كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها.

[١٩] رُوِيَ عن النعمان بن بشير قال: «كنتُ عندَ منبرِ النبي ﷺ، فقال رجلٌ: ما أبالي أن لا أعملَ عملاً بعدَ أن أسقيَ الحاجَّ، وقال آخرٌ: ما أبالي أن لا أعملَ عملاً بعدَ أن أعمَرَ المسجدَ الحرامَ، فقال آخرٌ: الجهادُ في سبيلِ الله أفضلُ مما قُلتُم، فزجرَهم عمرُ وقالَ: لا ترفعوا أصواتكم عندَ منبرِ النبي ﷺ، وهو يومُ الجمعةِ، ولكنْ إذا صَلَّيْتُ فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعلَ، فأنزلَ الله عز وجل:

﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(١) والسقايةُ والعمارةُ: مَصْدَرَا سَقَى وَعَمَرَ. ورُوِيَ عن أبي جعفرٍ أنه قرأ: (سُقَاةً) بضم السين وحذف الياء بعد الألف (وَعَمَرَةً) بفتح العين وحذف الألف على جمع ساقِي والعامر^(٢)، تقديره: أجعلتم أصحابَ سقايةِ الحاجِّ، وأصحابَ عِمارةِ المسجدِ.

﴿ كَمَنْ ءَامَنَ ﴾ كإيمان مَنْ آمَنَ ﴿ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ المعنى: إنكارُ أن يشبه المشركين وأعمالُهم المحبَّطَةُ بالمؤمنينَ وأعمالِهم المثبَّتة، ثم قرَّرَ ذلك بقوله:

﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ تنبيهٌ على أن التسويةَ بينهم ظلمٌ.

(١) رواه مسلم (١٨٧٩)، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١١-١٢)، وقد ذكرها البغوي من

قراءة ابن الزبير وأبي.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً
عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾
أعلى رتبة .

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ممن افتخروا بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون^(١) بأمنياتهم .

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُّقِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾
دائم . قرأ حمزة : (يُبَشِّرُهُمْ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها من البشر ،
وهو البشرى والبشارة ، وقرأ الباقون : بضم الياء وتشديد الشين مكسورة ،
من بَشَرَ المضعف على الكثير ، والبشرُ والتبشيرُ والإبشارُ لغاتٌ
فصيحات^(٢) ، وقرأ عاصمٌ برواية أبي بكرٍ : (وَرِضْوَانٍ) بضم الراء ،
والباقون : بكسرهما^(٣) .

(١) «الظافرون» ساقطة من «ش» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ١٢) .

(٣) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٣٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص : ٢٤١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ١٢) .

﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢٢]

[٢٢] ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أكد الخلود بالتأيد؛ لأنه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢٣]

[٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنه: «لما أمر رسول الله ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من تعلق به أهله وولده يقولون: نشدك بالله ألا تضيّعنا، فارق، فيقيم عليهم، ويدع الهجرة، فأنزل الله: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(١) أصفياء وبطانة يمنعونكم عن الإيمان، ويصدونكم عن الطاعة.

﴿ إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبُّوا) كاختلافهم فيهما من (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ ﴾ يؤثر المقام على الهجرة والجهاد.

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بوضعهم الموالاة في غير موضعها، وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٠).

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
اَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [٢٤]

[٢٤] نزلت الآية الأولى ، قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن
هاجرنا، ضاعت أموالنا، وذهبت تجارتنا، وخربت دورنا، وقطعنا أرحامنا
﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للمتخلفين عن الهجرة:

﴿ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم:
(وَعَشِيرَاتُكُمْ) بالالف على الجمع، والباقون: بغير ألف^(١)؛ أي: قومكم
بمكة.

﴿ وَأَمْوَالٌ اَقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ اكتسبتموها ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ عدم نفاقها
﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ﴾ تستطيعونها.

﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ الحب الاختياري
دون الطبيعي؛ فإنه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه.

﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ أي: انتظروا ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ ﴾ بقضائه، وهو تهديد
لمن يؤثروا لذات الدنيا على الآخرة.

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ لا يرشدوهم، والفسق: الخروج عن الطاعة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣).

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] و ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ مشاهد.

﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر، وفتح مكة، وقريظة، والنضير.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ اسم وادٍ بين مكة والطائف، بينهما ثلاثة أميال.

وملخصُ القصة: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة، تجمعت هوازن بحريمهم وأموالهم لحرب رسول الله ﷺ، ومقدمهم مالك بن عوف النَّصْرِيُّ، وانضمت إليه ثقيف، وهم أهل الطائف، وبنو سعد، وهم الذين كان النبي ﷺ مرتضعاً عندهم، فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم، وكانوا أربعة آلاف، خرج من مكة لِسِتِّ خَلَوْنَ من شوالٍ، وخرج معه اثنا عشر ألفاً، منها عشرة آلاف كانت معه، وألفان من أهل مكة، وحضر جماعةٌ كثيرةٌ من المشركين، وهم مع رسول الله ﷺ، وانتهى إلى حُنَيْنٍ، وركب بغلته الدُّلدل، وقال رجلٌ من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة لما رأى كثرةَ مَنْ مع النبي ﷺ: لن يغلب هؤلاء من قلة، فسأ رسول الله ﷺ كلامه، فلما التقى الجمعان، انكشف المسلمون، لا يلوي أحدٌ على أحدٍ، وانحاز رسول الله ﷺ في نفرٍ من المهاجرين والأنصارِ وأهل بيته، واستمرَّ رسول الله ﷺ ثابتاً، وتراجع المسلمون، واقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ ﷺ حصياتٍ فرمى بها في وجهِ المشركين، فكانت الهزيمةُ، ونصر الله المسلمين، واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم.

ولما فرغ ﷺ من حنين، بعث أبا عامرٍ على جيشٍ لغزوةِ أوطاس، فاستشهد رضي الله عنه، وانهزمت ثقيفٌ إلى الطائف، فأغلقوا بابَ مدينتهم، فسار النبي ﷺ، وحاصرهم نيفاً وعشرين يوماً، وقاتلهم بالمنجنيق، وأمر بقطعِ أعنابهم، ثم رحلَ عنهم، ونزلَ بالجعرانة، وأتى إليه بعضُ هوازنٍ مسلمين، وسألوه أن يردَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فخيرهم بينَ المالِ والسبي، فاختاروا السبي، فردَّ الناسُ أبناءهم ونساءهم، ثم لحقَ مالكُ بن عوفٍ مقدَّم هوازنَ برسولِ الله ﷺ، وأسلمَ وحسنَ إسلامه، واستعمله رسولُ الله ﷺ على قومه وعلى من أسلمَ من تلك القبائل، وكانَ عدَّةُ السبي الذي أطلقه ستةَ آلافٍ، ثم قسمَ الأموالَ، وكانت عدَّةُ الإبلِ أربعةَ وعشرينَ ألفَ بعيرٍ، والغنمِ أكثرَ من أربعينَ ألفَ شاةٍ، ومن الفضةِ أربعةَ آلافِ أوقيةٍ، وأعطى المؤلفةَ قلوبهم مثلَ أبي سفيانٍ، وابنيه يزيدَ ومعاويةَ، وسهلِ بنِ عمرو، وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، والحارثِ بنِ هشامٍ أخي أبي جهلٍ، وصفوانَ بنِ أميةٍ، وهؤلاء من قريشٍ، وأعطى الأقرعَ بنَ حابسٍ التميميَّ، وعُيَيْنَةَ بنَ حصنٍ، ومالكَ بنَ عوفٍ مقدَّم هوازنَ وأمثالهم، فأعطى لكلِّ واحدٍ من الأشرافِ مئةً من الإبلِ، وأعطى الآخرينَ لكلِّ واحدٍ أربعينَ، وأعطى العباسَ بنَ مِرْدَاسَ السلميَّ أباعر لم يرضها، فقال في ذلك من أبياتٍ :

فَأَصْبَحَ نَهْيِي وَنَهْبِ الْعُبَيْدِ دِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعَ الْيَوْمَ لَمْ يُرْفَعِ

فُرُوِي أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ»، فَأُعْطِيَ حَتَّى رَضِيَ^(١).

وَفَرَّقَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الْغَنَائِمَ، وَلَمْ يَعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَوَجَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَدَعَاهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبِرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُوْلِ اللهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «لَوْ سَلَكَتِ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ»^(٢).

وَقَدْ اتَّفَقَ الْأُئِمَّةُ عَلَى جَوَازِ اجْتِهَادِهِ ﷺ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَوُقُوعِ إِجْمَاعًا، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَجْتَهِدِينَ بَعْدَهُ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ، وَالْحَقُّ وَاحِدٌ عِنْدَ اللهِ، وَقَالَ الثَّلَاثَةُ: الْمَسْأَلَةُ الظَّنِّيَّةُ: الْحَقُّ فِيهَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللهِ، وَعَلَيْهِ دَلِيلٌ، وَعَلَى الْمَجْتَهِدِ طَلَبُهُ، فَمَنْ أَصَابَ فَمُصِيبٌ، وَإِلَّا، فَمُخْطِئٌ مَثَابٌ، وَالْجَزْئِيَّةُ الَّتِي فِيهَا نَصٌّ قَاطِعٌ: الْمُصِيبُ فِيهَا وَاحِدٌ وَفَاقًا، وَلَا يَأْتُمُّ مُجْتَهِدٌ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ اجْتِهَادِيٍّ، وَيُثَابُ بِالِاتِّفَاقِ.

ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَمْرِ هَوَازِنَ، اعْتَمَرَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ، وَهُوَ شَابٌّ لَمْ يَبْلُغْ عَشْرِينَ سَنَةً، وَتَرَكَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٦٠)، كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ،

وَتَصْبِرُ مِنْ قَوِيٍّ إِيْمَانَهُ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٦٧)، كِتَابُ: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ: مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ،

وَمُسْلِمٌ (١٠٥٩)، كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ،

وَتَصْبِرُ مِنْ قَوِيٍّ إِيْمَانَهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

معه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُفَقِّهُ النَّاسَ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَتَابٌ عَلَى مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَحُجُّ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي قِصَّةِ حُنَيْنٍ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ أَي: وَاذْكُرْ يَوْمَ حُنَيْنٍ.

﴿إِذَا أَغَبَتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ﴾ حَتَّى قَلْتُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ.

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ﴾ كَثُرْتُكُمْ ﴿شَيْئًا﴾ مِنَ الْإِغْنَاءِ.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الْبَاءُ بِمَعْنَى مَعَ؛ أَي: مَعَ رَحْبِهَا؛ أَي: مَعَ سَعَتِهَا ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ مِنْهُزِمِينَ.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ﴿سَكِينَتَهُ﴾ طُمَأْنِينَتَهُ ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ ﷺ ﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ يُسَكِّنُهُمْ وَيُذْهِبُ خَوْفَهُمْ.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ الْمَلَائِكَةُ لِتَحْيِيزِ الْكُفَّارِ وَتَشْجِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يِقَاتِلُوا إِلَّا فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَفِيمَا سِوَاهُ كَانُوا عِدَدًا وَمَدَدًا.

﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالسَّبْيِ.

﴿وَذَلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلَ بِهِمْ ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ النَّارِ.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي : من بعد القتلِ والهزيمة .
﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهديه للإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتفضل عليهم .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قَذَرٌ، والمرادُ :
نجاسةُ الحكم، لا نجاسةُ العين، سموا نجساً على الدَّم؛ لتركهم غسلَ
الجنابةِ والوضوءِ .

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ والمرادُ : جميعُ الحرمِ ؛ لأنهم إذا دخلوا
الحرم، فقد قربوا من المسجدِ الحرام، فيُمنع كلُّ مَنْ كان على غير الإسلام
من دخولِ حرمِ مكة شرفها الله تعالى، وهو ما أطاف بمكة وأحاطَ بها من
جوانبها، جعلَ الله عز وجل له حكمها في الحرمة ؛ تشريفاً لها .

وَحَدُّ الْحَرَمِ من طريقِ المدينةِ دونَ التنعيمِ ثلاثةُ أميالٍ عندَ بيوتِ السُّقْيَا،
ومن اليمنِ سبعةٌ عندَ أضواءِ لين، ومن العراقِ كذلك على ثنيةِ زُحَلِ جبلٍ
بالمنقطع، ومن الطائفِ وعرفاتٍ وبطنِ نمره كذلك عندَ طرفِ عرفة، ومن
الجعرانةِ تسعةٌ في شعبِ عبدِ الله بنِ خالد، ومن جُدَّةِ عشرةٌ عندَ منقطعِ
الأعشاش، ومن بطنِ عُرنةِ أحدَ عشرَ .

وأول من نصب حدود الحرم إبراهيم عليه السلام، ثم جدّدها قصي، ثم جدّدها رسول الله ﷺ عام الفتح، ثم جدّدها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم جدّدها معاوية رضي الله عنه.

وتقدم ذكر حدود الأرض المقدسة في سورة المائدة، ويأتي ذكر حدود حرم المدينة في سورة الأحزاب إن شاء الله تعالى.

فإن قدم رسول من الكفار إلى الحرم، لا بدّ له من لقاء الإمام، خرج إليه إلى الحلّ، ولم يأذن له، فإن دخل عالماً بالمنع، عزر، فإن مرض بالحرم، أو مات، أخرج، وإن دفن نبش وأخرج، فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز به، وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لهم دخول الحرم كالحجاز كلّّه، ولا يستوطنونه، والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف كالحجاز.

واتفقوا على أن الكفار يُمنعون من استيطان الحجاز كلّّه كالمدينة ومكة واليمامة وخيبر والينبع وقراها، قال مالك والشافعي وأحمد: فإن دخلوا للتجارة، لم يقيموا في موضع أكثر من ثلاثة أيام، وعند الشافعي وأحمد: لا يدخلون إلا بإذن الإمام، وسُمّي الحجاز حجازاً؛ لأنه حجز بين تهامة ونجد، وتقدّم اختلافهم في دخول أهل الذمّة إلى المسجد الحرام وغيره من مساجد الحلّ في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ هو عام تسعة من الهجرة الذي حجّ فيه أبو بكر بالناس، وفيه أذن عليّ ببراءة.

ولما مُنِعَ المشركون من دخول الحرم، خاف المسلمون الفقراء لانقطاع

الميرة عنهم، فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾^(١) ﴿فَقَرًا﴾ ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿كَرَمِهِ وَعَطَائِهِ﴾ ﴿إِنْ شَاءَ﴾ ﴿إِذْ لَا مُكْرَهَ لَهُ عَلَىٰ فَعْلِهِ، فَجَاءَهُم الْمَطَرُ، وَأَخْصَبَتْ بِلَادُهُمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ ﴿بِأَحْوَالِكُمْ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿فِيمَا يُعْطِي وَيُمْنَعُ. وَتَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْقِرَاءِ فِي قَوْلِهِ: (أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا)، وَكَذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي (إِنْ شَاءَ إِنْ اللَّه).

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ﴾ لَا يَعْتَقِدُونَ ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ الْإِسْلَامَ. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ هِيَ: الْخَرَجُ الْمَضْرُوبُ عَلَى رِقَابِهِمْ عَلَى وَجْهِ الصَّغَارِ بَدَلًا عَنْ قَتْلِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ بَدَارِنَا، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجَزَاءِ، إِمَّا جَزَاءً عَلَى كَفَرِهِمْ؛ لِأَخْذِهَا مِنْهُمْ صَغَارًا، أَوْ جَزَاءً عَلَى أَمَانِنَا لَهُمْ؛ لِأَخْذِهَا مِنْهُمْ رَفَقًا.

﴿عَنْ يَدٍ﴾ قَهْرٍ وَذَلٍّ ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أَذْلَاءُ مَقْهُورُونَ، فَيُعْطُونَهَا مِنْ قِيَامِ وَالْأَخْذِ جَالِسًا.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٦٨).

واتفق الأئمة على أن الجزية تُضربُ على أهلِ الكتابِ، وهم اليهودُ والنصارى ومن يوافقهم في التدئين بالتوراة والإنجيل؛ كالسامرة، والفرنَج، ومن له شُبُهَةٌ كتابٍ، وهم المجوسُ. واختلفوا في عبدة الأوثان، فقال أبو حنيفة: تؤخذُ من أهل العجم منهم دون العرب، وقال مالك: تؤخذُ من عبدة الأوثان ونصارى العرب وكلِّ كافرٍ يصحُّ سبُّه سوى قريشٍ، وقال الشافعي وأحمد: لا تؤخذُ من عبدة الأوثان مطلقاً.

واتفقوا على عدم قبولها من المرتدِّ، وأنه لا يُقرُّ على الردة.

واتفقوا على عدم وجوبها على النساء والصبيان والعبيد.

واختلفوا في الراهب والشيخ والهرم والزَّمن والأعمى والفقير الغير معتمِل، فقال الشافعي: تجبُ عليهم، وتستقرُّ في ذمة الفقير حتى يوسر، وقال الثلاثة: لا تجبُ عليهم.

واختلفوا في قدرها، فقال أبو حنيفة: هي ضربان: أحدهما: ما يوضعُ بالتراضي، فلا يتعدَّى عنها، والثاني: يضعُها الإمام إذا غلبَ على الكفار، وأقرَّهم على ملكهم، فيضعُ على الغنيِّ في كل سنة ثمانية وأربعين درهماً، وعلى المتوسطِ نصفها، وعلى الفقير المعتمِل ربعها، وتجبُ في أول الحول، وتؤخذُ في كلِّ شهرٍ بقسطه، وافقه أحمدُ في تقديرها بذلك، وقال: تؤخذُ في آخر كلِّ حولٍ، وقال مالك: قدرُها أربعون درهماً على أهلِ الورق، وأربعةُ دنانيرٍ على أهلِ الذهبِ في آخرِ الحول، وقال الشافعي: أقلُّها دينارٌ، ويستحبُّ للإمام مما كسَّته حتى يأخذَ من المتوسطِ دينارين، ومن الغنيِّ أربعةً في آخرِ الحول.

واختلفوا في نصارى بني تغلب، وهم قوم ذوو شوكة من العرب، انتقلوا في الجاهلية إلى النصرانية، فطلب عمر رضي الله عنه منهم الجزية، فأبوا، وطلبوا أن يؤخذ منهم كالزكاة من المسلمين، فأبى عمر، ثم خاف أن يلحقوا بالروم، فصالحهم على أن يضاعف عليهم مثل زكاة المسلمين بمحض من الصحابة، فقال أبو حنيفة وأحمد: يؤخذ منهم مثل ما يؤخذ من زكاة المسلمين، والمأخوذ منهم واجب بشرط الزكاة وأسبابها، فلا تؤخذ من فقير، ولا ممن ماله غير زكوي، ومصرفه مصرف الجزية، فأبو حنيفة خص الأخذ بالرجال منهم والنساء دون الصبيان، وأحمد قال: يؤخذ من نسائهم ومن صبيانهم أيضاً، ومجانينهم، وكذا الحكم عنده في نصارى العرب ويهودهم ومجوسهم، وقال مالك والشافعي: لا يؤخذ من نسائهم وصبيانهم، وحكمهم كغيرهم في ذلك.

واختلفوا في سقوط الجزية بالإسلام والموت بعد وجوبها، فقال أبو حنيفة: تسقط بهما، وقال مالك وأحمد: تسقط بالإسلام دون الموت، وقال الشافعي: لا تسقط بهما.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَفٍّ يُؤَفْكُونَ﴾.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ قرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب: (عُزَيْرٌ) بالتنوين، وكسره حالة الوصل، ولا يجوز ضمّه في مذهب الكسائي، لأن الضمة في (ابن) ضمة إعراب، فهي غير لازمة

لانتقالها، وقرأ الباقون: بغير تنوين^(١)؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ، ويشبه اسماً مصغراً، ومن نَوَّنَ قال: لأنه اسمٌ خفيفٌ فوجهه أن ينصرف وإن كان أعجمياً مثل (نوح وهود وصالح)، واسمٌ عزيزٍ بالعبرانية عزراً، وهو من ذرية هارون بن عمران، وهو من أنبياء بني إسرائيل، فلما ظهر بُخْتَ نصر على بني إسرائيل، وقتل من قتل، وأسر من أسر، وكان العزيز من جملة الأسرى وهو صغير، فلما رجع بنو إسرائيل من العراق إلى القدس، رجع العزيز من جملتهم، وقدم معه من بني إسرائيل ما يزيد على الألفين من العلماء وغيرهم، وتربى مع العزيز في القدس مئة وعشرون شيخاً من علماء بني إسرائيل، وكانت التوراة قد عدت منهم، فمثّلها الله تعالى في صدر العزيز، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حباً شديداً، وقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب رجلٍ إلا أنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود: عزيز ابن الله، والذي قال هذه المقالة رجلٌ من اليهود اسمه فنخاص بن عازورا الذي قال: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، ورُوي أنه لم يبق يهوديٌّ يقولها، بل انقرضوا، قال ابن عطية: فإذا قالها واحدٌ، فيتوجه أن يلزم الجماعة شناعة المقالة لأجل نباهة القائل فيهم، وأقوال النبهاء أبداً مشهودة في الناس يُحتجُّ بها^(٢)، وأقام العزيز في بيت المقدس يدبّر أمر بني إسرائيل حتى توفي بعد مضيّ أربعين سنة لعمارة بيت المقدس، فتكون وفاته سنة ثلاثين ومئة لابتداء ولاية بُخْتَ نصر.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)،

و«تفسير البغوي» (٢/٢٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٤-١٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/٢٣).

﴿ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ قالوا: لأنه لا أب له، ولم يكن لهذا القول برهان، ولا معنى له ولا تأثير في القلب.

﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ يقولونه بألسنتهم من غير علم.

﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ قرأ عاصم: (يُضَاهِئُونَ) بهمزة مضمومة بين الهاء والواو مع كسر الهاء، والباقون: بضم الهاء غير مهموز، وهما لغتان معناهما واحد^(١)؛ أي: يشابهون.

﴿ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: يشابه قول اليهود والنصارى الذين في زمانك في الشرك قول المشركين قبله.

﴿ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ أهلكهم ﴿ أَنْتَ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: من أين يُصْرَفُونَ عن الحق بعد قيام البرهان؟! *

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

[٣١] ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ أي: أهل الكتابين ﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾ علماء اليهود ﴿ وَرُهَبَانَهُمْ ﴾ أصحاب الصوامع من النصارى.

﴿ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: هم عندهم كالأرباب؛ لطاعتهم إياهم في معصية الله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥).

﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: اتخذوه رباً ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو الله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ صفة ثابتة.
 ﴿سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيه له عن أن يكون له شريك.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي: يُعْدِمُوا القرآن؛ أي: وما فيه من الأحكام أو نبوة محمد ﷺ. قرأ أبو جعفر: (يُطْفِئُوا) بضم الواو بغير همز، والباقون: بكسر الفاء والهمز^(١) ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بباطلهم وتكذيبهم.
 ﴿وَيَأْبَى﴾ ولم يرد ﴿اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ يُعْلِي دينه، ويتم الحق الذي بعث به محمداً ﷺ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي﴾ يعني: الذي يأبى إلا إتمام دينه.
 ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِالْهُدَىٰ﴾ بالقرآن وما فيه من التوحيد وغيره ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الإسلام.
 ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: ليعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع الأديان فينسخها.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٦).

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وخصَّ المشركين هنا بالذكر لما كانت الكراهية مختصة بظهور محمد ﷺ، فذكر المعظم الأول ممن كره ذلك وصدَّ فيه، وذكر الكافرين في الآية قبل؛ لأنها كراهية إتمام نور الله في قديم الدهر وفي باقيه، فعمَّ الكفرة من لدن خلق الدنيا إلى انقراضها، وقد وقعت الكراهية والإتمام مراراً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

[٣٤] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ﴾ هم علماء اليهود.

﴿وَالرُّهْبَانِ﴾ مجتهدو النصارى في العبادة بالباطل.

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: يأخذونها بالرشا في الحكم.

﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يجمعون ﴿الذَّهَبَ﴾ سُمِّيَ ذهباً؛ لأنه يذهب ولا يبقى ﴿وَالْفِضَّةَ﴾ لأنها تنفض؛ أي: تفرق ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوز.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عن ابن عباس وابن عمر: «كُلُّ

مَالٍ تُؤَدِّي زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مُدَّخَرًا، وَكُلُّ مَالٍ لَا تُؤَدِّي زَكَاتُهُ، فَهُوَ كَنْزٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا»^(١).

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(٢٥).

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾ أي: واذكر يوم تحمى النار على الأموال،
فيوقد عليها؛ يعني: الكنوز.

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى﴾ فتُحْرَقُ ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ يعني: كانزيها.
﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا
كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: تمنعون من حقوق الله تعالى.

سئل أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: لِمَ خَصَّ الجِبَاهَ والجُنُوبَ والظُّهُورَ بالكي؟ قال:
«لأنَّ الغنيَّ صاحبَ الكنزِ إذا رأى الفقيرَ، قبضَ جبهته، وزوى ما بينَ
عينيه، وولاهُ ظهره، وأعرضَ عنه بكشحه»^(٢).

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٨٧)، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

ورواه ابن المنذر في «تفسيره» عن ابن عباس - رضي الله عنه -، كما عزاه

السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٨).

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَتِّلُونَكُمْ
كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾ عدد الشهور، جمع شهرٍ .

﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ في حكم الله من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ .

﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ قرأ أبو جعفر: بمدِّ أَلِفٍ (اثنا)، وإسكانِ العين،
ورُوي عنه أيضاً: بحذفِ الألف، والباقون: بفتح العين بغير مدٍّ^(١)، وهي
أشهرُ العربِ المعروفةٌ، أولُها المحرمُ، وآخرُها ذو الحجة، وخُصَّتْ باثني
عشر؛ لأنهم كانوا ربما جعلوها ثلاثة عشر وأربعة عشر؛ ليتسعَ لهم الوقت .

﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ في اللوحِ المحفوظِ ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
أي: هذا أمرٌ ثابتٌ مذ خلقَ اللهُ الأجرامَ والأزمنةَ، والمرادُ: الشهورُ
الهلاليةُ، وهي التي يعتدُّ بها المسلمون في أمورهم، وبالشهورِ الشمسيةِ
تكونُ السنةُ ثلاثَ مئةٍ وخمسةٍ وستينَ يوماً وربعَ يومٍ، والهلاليةُ تنقصُ عن
ثلاثِ مئةٍ وستينَ بنقصانِ الأهلةِ، والغالبُ أنها تكونُ ثلاثَ مئةٍ وأربعةٍ
وخمسينَ يوماً .

﴿ مِنْهَا ﴾ أي: من الشهورِ .

﴿ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ وهي: رجبٌ، وذو القعدةِ، وذو الحجةِ، والمحرمُ،
واحدٌ فردٌ، وثلاثةٌ سرُدٌ، سُميتُ بذلك؛ لتحريمِ القتالِ فيها؛ المعنى: إن
الشهورَ قد رجعتُ إلى وضعِها، وبطلَ النَّسيءُ، وعادَ الحجُّ إلى ذي

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧) .

الحجة، قال ﷺ في حجة الوداع: «أَلَا إِنَّ الزَّمانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ»^(١).

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: الحسابُ المستقيمُ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ في الأشهرِ الحُرُمِ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تجعلوا حرامها حلالاً، والجمهورُ على أنَّ حرمةَ المقاتلةِ فيها منسوخةٌ بقوله:

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ مصدرُ كَفَّ عن الشيء في موضعِ الحال؛ أي: مجتمعين في جميع الشهور.

﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ جميعاً.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ لهم بالنصرِ بسببِ تقواهم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ هو تأخيرُ تحريمِ المحرَّمِ إلى صَفَرٍ؛ لحاجتهم إلى القتالِ فيه، ومنه النسيئةُ في البيع، يقال: أنَسَأَ اللهُ أَجَلَهُ؛ أي: أخر. قرأ ورشٌ عن نافع، وأبو جعفرٍ: بتشديدِ الياءِ بغيرِ همزٍ، فعيلٌ من أنَسَأَتْهُ أَخْرَتْهُ، قلبتِ الهمزةُ ياءً، وأُدغمَتْ فيها الياءُ، وقرأ الباقر: بالهمزِ والمدِّ،

(١) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، عن أبي بكر - رضي الله عنه -.

وإذا وقف حمزة وهشام، وافقا ورشاً وأبا جعفر^(١)، وأول من نسي النسيّ بنو كنانة.

﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لأن الكافر كلما عملَ معصيةً، ازدادَ كفرًا.

﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، عن عاصم: (يُضِلُّ) بضم الياء وفتح الضاد مجهولاً، وقرأ يعقوب: بضم الياء وكسر الضاد؛ أي: (يُضِلُّ) الكافرون أتباعهم، والباقون: بفتح الياء وكسر الضاد^(٢)؛ لأنهم هم الضالون؛ لقوله:

﴿يُحِلُّونَهُ﴾ أي: النسيء من الأشهر الحرم ﴿عَامًا﴾ ويحرمون مكانه شهراً آخر ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ فيتركونه على^(٣) حرمة.

﴿لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ﴾ أي: ليوافقوا عدد^(٤) ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر الحرم؛ أي: لم يُحِلُّوا شهراً إلا حَرَّموا مكانه من الحلال، والمواطأة: الموافقة. قرأ أبو جعفر: (لِيُوَاطِّئُوا) بضم الطاء بغير همز، والباقون: بكسر الطاء والهمز^(٥).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢٧٩/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤٠٥/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢٨١/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/٣).

(٣) في «ت»: «في».

(٤) «أي: ليوافقوا عدد» سقط من «ت».

(٥) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٩٧/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠/٣).

﴿فِيُحِلُّوْا﴾ بتحليلهم القتال في الأشهر الحرم ﴿مَا حَرَّمَ اللهُ﴾ فيها .

﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ: زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ^(١) . واختلافُ القراء في الهمزتين من (سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) كاختلافِهما من (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورة البقرة .

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يرشدُهم .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣٨) .

[٣٨] ولما رجع رسولُ الله ﷺ من الطائفِ ، أمرَ بالجهادِ لغزوِ الرومِ ، وهي غزوةُ تبوكَ ، وذلك في زمنِ عُسْرَةٍ من الناسِ ، والشَّدَّةِ ، من الحرِّ حينَ طابتِ الثمارُ والظلالُ ، ولم يكنِ رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا ورَّى بغيرِها حتى كانت تلكَ الغزوةُ ، غزاها في حرٍّ شديدٍ ، واستقبلَ سفرًا بعيدًا ، جَلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهبَّوا أُهْبَةً غزوهم ، فشَقَّ عليهم الخروجُ ، وتثاقلوا ، فأنزل الله تعالى :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾^(٢) أَي : قَالَ لَكُمْ رسولُ الله ﷺ : ﴿أَنْفِرُوا﴾ اخرجوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ﴾ تباطأتم ومِلْتُمْ عن الجهادِ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أَي : لَزِمْتُمْ مَسَاكِنَكُمْ .

(١) انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (١٧٩٦/٦) ، و«تفسير البغوي» (٢٨١/٢) .

(٢) انظر : «صحيح البخاري» (٢٧٨٨) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٣٨) .

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها بدلاً ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ ونعيمها .
 ﴿فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : فما التمتعُ بها ﴿فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ .

﴿إِلَّا نَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ثم أوعدهم على ترك الجهاد فقال : ﴿إِلَّا﴾ أي : إن لم ﴿نَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقيل : هو احتباسُ المطرِ عنهم في الدنيا .

﴿وَيَسْتَبْدِلُ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوعَ ؛ كأهل اليمن وأبناء فارس .

﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾ أي : لا يقدحُ ثقافتكم في نصرِ دينه ؛ فإنه الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدرُ على النصرِ بلا مددٍ .

﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠) .

[٤٠] ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ﴾ بالنفير معه .

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ هذا إعلَامٌ من الله أنه المتكفلُ بنصره كما نصره .
 ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من مكة حين مكروا به ، وهمُّوا بقتله .
 ﴿ ثَانِيكَ اثْنَيْنِ ﴾ أحد اثنين ، والمرادُ : النبي ﷺ ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه .

﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ نقبٍ في جبلٍ ثورٍ بمكة ، مكثا فيه ثلاثاً . قرأ أبو عمرو ، وورث عن نافع : (الغار) بالإمالة ، بخلاف عن الدوري وابن ذكوان ، ورؤي عن قالون : الإمالة بين بين^(١) ، وتقدّم ذكرُ القصة في الأنفال .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكرٍ : «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٢) .

قال الحسين بن الفضل : مَنْ قَالَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَهُوَ كَافِرٌ ؛ لِإِنْكَارِهِ نَصَّ الْقُرْآنِ ، وَفِي سَائِرِ الصَّحَابَةِ إِذَا أَنْكَرَ يَكُونُ مُبْتَدِعاً ، وَلَا يَكُونُ كَافِراً^(٣) .

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ هو أبو بكر .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ أي : بالرعاية والحفظ ، رُوي أن المشركين طلعوا فوق الغار ، فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، وقال :

-
- (١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤-٥٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٤٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١) .
 (٢) رواه الترمذي (٣٦٧٠) ، كتاب : المناقب ، باب : في مناقب أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، عن ابن عمر ، وقال : حسن صحيح غريب .
 (٣) انظر : «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٣) .

إِنْ أَقْتُلْ فَأَنَا^(١) رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ قُتِلْتُ، هَلَكَتِ الْأُمَّةُ، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!»^(٢)، وَأَرْسَلَ اللَّهُ زَوْجاً مِنْ حَمَامٍ حَتَّى بَاضَا فِي أَسْفَلِ النَّقَبِ، وَالْعَنْكَبُوتَ حَتَّى نَسَجَتْ بَيْتاً.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طُمَأْنِينَتَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَى أَبِي بَكْرٍ.

﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أَي: قَوَّى النَّبِيَّ ﷺ.

﴿يَجْنُودٌ لَمْ تَرَوْهَا﴾ هُمُ الْمَلَائِكَةُ صَرَفُوا الْكُفَّارَ عَنْ رُؤْيَيْهِمَا فِي الْغَارِ، وَأَلْقُوا الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْأَحْزَابِ وَحَنِينٍ.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هِيَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ.

﴿السُّفْلَى﴾ الْمُنْخَفِضَةُ الْمَغْلُوبَةُ.

﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ دَعْوَتُهُ إِلَى الْإِيمَانِ. قِرَاءَةُ الْعَامَةِ: (وَكَلِمَةُ اللَّهِ) بِالرَّفْعِ مُبْتَدَأً، خَبَرُهُ ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ الْعَالِيَةُ. وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: (وَكَلِمَةَ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ عَطْفاً عَلَى (كَلِمَةَ)^(٣).

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فِي أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(١) فِي «ت»: «فَلَأَنَا».

(٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، الْمَوْضِعُ نَفْسَهُ.

(٣) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الْبَغُوي» (٢/٢٨٦)، وَ«النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ» لِابْنِ الْجَزَرِيِّ

(٢/٢٧٩)، وَ«مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» (٣/٢١).

[٤١] ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: خَفَّ عليكم ذلك أو ثَقُلَ؛ أي: لا تَنَازَعُوا عن الغزو.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وصفٌ لأَكْمَلِ ما يكونُ من الجهادِ وأنفعِهِ عند الله، فحُضِرَ على كمالِ الأوصافِ، وقُدِّمَتِ الأموالُ في الذكرِ؛ إذ هي أولُ مُصَرَّفٍ^(١) وقتِ التجهيزِ، فَرُتِّبَ الأمرُ كما هو في نفسِهِ.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ للفوزِ برضوانِ الله، وغلبةِ العدوِّ، ووراثَةِ الأرضِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تنبيهٌ وهزُّ للنفوسِ، قال السديُّ: هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ الآية [التوبة: ٩١]^(٢)، وقال القرطبيُّ: الصحيحُ أنها ليست بمنسوخةٍ^(٣).

واتفق الأئمةُ على أن الجهادَ فرضٌ على الكفاية، إذا قامَ به قومٌ من المسلمين، سقطَ عن الباقين، فإذا هجمَ العدوُّ، صارَ فرضٌ عينٍ بغيرِ خلافٍ.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبِعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(١) «مصرف» ساقطة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/١٨٠٣).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/١٥١).

[٤٢] ونزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

﴿لَوْ كَانَ﴾ ما تدعوهم إليه يا محمد.

﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ نفعاً دنيوياً سهلاً المأخذ.

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ سهلاً غير شاق.

﴿لَا تَبْعُوكَ﴾ فخرجوا معك ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ أي: المخلفون.

﴿يَا لِلَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾ لو كان لنا استطاعة العدة والبدن.

﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ باليمين الكاذبة.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا مستطيعين.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٣).

[٤٣] فأذن ﷺ لجماعة من المنافقين بالتخلف، فقال تعالى مقدماً العفو
على العتب تأنيلاً وتطييباً لقلبه ﷺ:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ أي: دام لك العفو، وهو افتتاح كلام بمنزلة:

أصلحك الله وأعزك الله، أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب، ولو بدأه ﷺ

بقوله ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام،

لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه، ثم قال له: ﴿لِمَ أَذِنْتَ

لَهُمْ﴾ بالتخلف؟ وهلاً آخرتهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في

اعتذارهم ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: تعلم من لا عذر له، قال ابن

عباس: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ^(١).

﴿ لَا يَسْتَعِزُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ لَا يَسْتَعِزُّكَ ﴾ في التخلّف.

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ أي: لا يُوقِفونه على الإذن، فضلاً أن يستأذنوك في التخلّف كراهة أن يجاهدوا. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ عِدَّةٌ لهم بثوابه.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِزُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِزُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ شَكَّتْ.

﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ ﴾ في شكِّهم ونفاقهم ﴿ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ يتحIRON.

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴾ في الغزو.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٨٩).

﴿لَاعِدُوا لَهُ عِدَّةً﴾ أهبة ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ انطلاقهم بسرعة .
 ﴿فَبَطَّوهُمْ﴾ خذلهم ، وقيل : أي : قال لهم النبي ﷺ : ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا
 مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أي : مع أولي الضرر من النساء والصبيان والمرضى .

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ
 يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ .
 [٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ شيئاً .

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً ؛ بإيقاعهم الفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر .
 ﴿وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ﴾ لأسرعوا بينكم بالنمائم ؛ ليقعوا الشر بينكم ،
 وَكُتِبَ (وَلَا أَوْضِعُوا) في المصحف بزيادة ألف^(١) ، قالوا : وكانت الفتحة
 تكتب قبل الخط العربي ألفاً ، والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن ،
 وقد بقي من ذلك الألف أثرٌ في الطباع ، فكتبوا الهمزة ألفاً ، وفتحها ألفاً
 أخرى ؛ نحو : (لَا أَذْبَحَنَّهُ) .

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي : يطلبون لكم ما تفتنون به^(٢) .
 ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمُ﴾ أي : مطيعون ، أو متجسسون .
 ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيعلم ضمائرهم .
 وفي معنى قوله تعالى : ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمُ﴾ من الأمثال الدائرة على
 ألسن الناس : للحيطان آذانٌ .

(١) انظر : «كتاب المصاحف» لابن أبي داود (١/ ٤٣٤) .

(٢) «به» ساقطة من «ش» .

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من قبل غزوة تبوك وهي :
تفريق شملك بتخذيل الناس ، وردّهم إلى الكفر .
﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي : دبّروا لك الحيل .
﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر .

﴿وَبَدَّاهُمْ كَرِهَاتٍ﴾ أي : على رغم منهم .

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ونزل في الجدّ بن قيس المنافق حين قال له النبي ﷺ : «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» ، فقال : إني مُعَرِّمٌ بالنساء ، وأخشى أني إن رأيتُ بناتِ الأصفرِ ألاّ أصبرَ عنهن ، فأذن لي بالقعود ، وأعينك بمالي ، ولم تكنْ له علةٌ إلا النفاق ، فأعرضَ عنه النبي ﷺ ، وقال : «قَدْ أَذْنْتُ لَكَ» فأنزل الله عز وجل :

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي﴾ ^(١) ﴿وَلَا نَفْتِيَّ﴾ تُوَقِّعُنِي فِي الْإِثْمِ .

(١) انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/١٨٠٩) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٣٩) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٢١٣) .

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي : في الإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله .

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ جامعة لهم فيها .

﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ .

[٥٠] ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ﴾ نصرٌ وغنيمةٌ في بعض الغزوات ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحْزِنُهُمْ .

﴿وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدةٌ وهزيمةٌ في بعضها .

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾ بالحزم والاحتياط ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي : قبل هذه المصيبة .

﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ يُدْبِرُوا ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون بمُصابِ النبي ﷺ بأحدٍ .

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

[٥١] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمدُ : ﴿لَنْ يُصِيبَنَا﴾ لن يصل إلينا .

﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إلا ما اختصنا الله به مما كُتِبَ علينا في اللوح المحفوظ .

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ متولِّي أمرنا .

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لَأَنْ حَقَّهُمْ أَلَّا يَتَوَكَّلُوا عَلَى غَيْرِهِ .

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ تنتظرون ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تشيئة الحسنى، إما النصر، أو الشهادة. قرأ حمزة، والكسائي، وهشام عن ابن عامر، والبرقي عن ابن كثير: (هَلْ تَرَبَّصُونَ) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءتين، إما ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ هو الصواعق والموت ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ كقتلنا إياكم إن أظهرتم ما في قلوبكم.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بمواعيد الشيطان.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ بمواعيد الرحمن بالنصر عليكم.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُّنْقَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٤٠٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤/٣).

[٥٣] ونزل في الجدِّ بن قيسٍ حينَ استأذنَ في القعودِ وقالَ: أُعينُكم بمالي: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ في طاعةِ اللهِ تعالى.

﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ أمرٌ بمعنى الخبر؛ أي: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كُرهاً) بضمِّ الكاف، والباقون: بالفتح^(١).
﴿لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّاكُمْ﴾ أي: لأنكم.

﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ تعليلٌ به على سبيل الاستئناف، وما بعده بيانٌ وتقريرٌ له.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٥٤).

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يُقْبَلَ) بالتذكير؛ لتقديم الفعل، والباقون: بالتأنيث^(٢) ﴿نَفَقَتُهُمْ﴾ صدقاتهم، المعنى: وما منع قبول صدقاتهم.

﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ﴾ إذا اضطَرُّوا إلى إتيانها.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٥).

﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ متثاقلون ؛ لأنهم لا يرجون بها ثواباً ، ولا يخافون على تركها عقاباً .

﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ لأنهم يعدُّونها مغرمًا ، ومنعها مغنمًا .

﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ .

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبَكَ﴾ أصل الإعجاب : السرورُ بالشيءِ سرورَ متعجبٍ من حسنه ، راضٍ به ؛ أي : لا تمل إليهم ، ولا تحسن في عينيك .

﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ فإن ذلك استدراجٌ ووبالٌ لهم ؛ كما قال :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ، وما يجدون فيها من الشدائد والمصائب .

﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي : يموتون على الكفر .

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ﴾ .

[٥٦] ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ على دينكم .

﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ لكفر قلوبهم .

﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ﴾ يفرعون أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين .

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا﴾ مكاناً يتحصنون فيه .

﴿أَوْ مَغْرَبًا﴾ وهي الغار يغورون فيه .

﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ سرباً تحت الأرض يدخلون فيه . قرأ يعقوبُ: (مَدْخَلًا) بفتح الميم وإسكان الدال المخففة، والباقون: بضم الميم وفتح الدال مشددة^(١) .

﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ إليه هرباً منكم .

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يُسرعون في إباءٍ ، ومنه الفرسُ الجموحُ .

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعيبُك في قسَمَتِها . قرأ يعقوبُ: (يَلْمِزُكَ) بضم الميم، والباقون: بكسرهما، وروي عن ابن كثير: (يَلَامِزُكَ)^(٢) .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٦) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٩٣)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧) .

﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ نزلت في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج، كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين، فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «وَيْلَكَ! إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ؟!»^(١) و^(٢) قيل: نزلت في أبي الجواظ المنافق، قال: ألا ترون إلى صاحبكم، إنما لقيتم صدقاتكم في رعاة الغنم، ويزعم أنه يعدل^(٣)، (وإذا) للمفاجأة جعلت جواباً للشرط، وهي هنا ظرف مكان، التقدير: إن لم يُعطوا، فاجؤوا السخط.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ما أعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة، وذكر الله للتعظيم.

﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ كفانا فضله.

﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ صدقة أو غنيمة أخرى.

﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ فيؤتينا أكثر مما آتانا.

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٠٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -.

(٢) في «ن»: «أو».

(٣) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٧٨/٢ - ٧٩): غريب.

﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ في أن يوسّع علينا من فضله، وجواب (لو) محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم.

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

[٦٠] ثم بيّن الله مصارف الصدقات، روي عن زياد بن الحارث الصّدائِيُّ قال: أتيت رسول الله ﷺ، فبايعته، فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ^(١) لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ، وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ، أُعْطِيَتْكَ حَقَّكَ»^(٢).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ ﴾ أي: الزكوات، و(إنما) للحصر تثبت المذكور، وتنفي ما عداه.

﴿ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ مذهب أبي حنيفة ومالك: الفقير: مَنْ له بعض ما يكفيه، والمسكين: مَنْ لا شيء له، فالفقير عندهما أحسن حالاً من المسكين، ومذهب الشافعي وأحمد بعكسه، وأبو حنيفة يمنع من الصدقة مَنْ يملك نصاباً، فإذا لمن يملكه، جاز أن يُعطى نصاباً وأكثر، ومالك

(١) «إِنَّ اللَّهَ» ليست في «ن».

(٢) رواه أبو داود (١٦٣٠)، كتاب: الزكاة، باب: من يعطى من الصدقة، وحد الغني.

يُجَوِّزُ دَفْعَهَا لِمَنْ لَهُ نَصَابٌ لَا كِفَايَةَ لَهُ فِيهِ، فَيُعْطَى نِصَاباً وَمَا فَوْقَهُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ: مَنْ مَلَكَ مَا لَا يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ مُطْلَقاً، فَلَيْسَ بَغْنِيٍّ، فَيُعْطَى الْفَقِيرُ وَالْمَسْكِينُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ كِفَايَةَ الْعَمْرِ الْغَالِبِ، فَيَشْتَرِي بِهِ عَقَاراً يَسْتَغْلُهُ، وَعِنْدَ أَحْمَدَ: يُعْطَى لِهَمَا وَلِعَائِلَتِهِمَا تَمَامُ كِفَايَتِهِمْ سَنَةً.

﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمَا﴾ هُمُ الْجِبَاءُ لَهَا وَمُفَرَّقُوهَا، يَعْطُونَ عَلَى قَدْرِ عَمَالَتِهِمْ مَعَ غِنَاهُمْ بِالِاتِّفَاقِ.

﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ فُلُوبِهِمْ﴾ وَهُمْ مَنْ يُتَأَلَّفُ قَلْبُهُ لِيُخْلَصَ إِيْمَانَهُ، أَوْ يُرْجَى بَعْطِيَتُهُ إِسْلَامُ نَظِيرِهِ، أَوْ جِبَايَةُ الزَّكَاةِ مِمَّنْ لَا يُعْطِيهَا، أَوْ الدَّفْعُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مَنْ يُتَّقَى شَرُّهُ مِنَ الْكُفَّارِ، أَوْ يُرْجَى إِسْلَامُهُ. قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَوَرِثَ عَنْ نَافِعٍ: (وَالْمُؤَلَّفَةَ) بَفَتْحِ الْوَاوِ بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَالْبَاقُونَ: بِالْهَمْزِ، وَحُكْمُهُمْ غَيْرُ مَنْسُوخٍ، وَسَهْمُهُمْ ثَابِتٌ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ أَنَّ حُكْمَ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَاقٍ، وَأَنَّ الْكَافِرَ لَا يُعْطَى تَأْلَافاً بِحَالٍ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ حُكْمُهُمْ مَنْسُوخٌ، وَسَهْمُهُمْ سَاقِطٌ، إِلَّا أَنَّ مَالِكاً قَالَ: إِنْ اِحْتِجَجَ إِلَيْهِمْ، جَازَ الدَّفْعُ لَهُمْ.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ هُمُ الْمَكَاتِبُونَ، يُعْطُونَ مِنْهَا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ مَا يُعَانُونَ بِهِ فِي فِكِّ رِقَبَتِهِمْ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ قَدْرَ دَيْنِهِمْ، وَقَالَ مَالِكٌ: لَا يُعْطَى الْمَكَاتِبُونَ، وَإِنَّمَا يَشْتَرِي الْإِمَامُ رِقَاباً وَيَعْتَقُهُمْ، وَالْوَلَاءُ لِلْمُسْلِمِينَ بِشَرِطِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَقَالَ أَحْمَدُ بِجَوَازِ الْأَمْرَيْنِ، وَوَافِقُ الشَّافِعِيِّ فِي إِعْطَائِهِمْ قَدْرَ دَيْنِهِمْ، وَقَالَ أَيْضاً: يَجُوزُ أَنْ يَفْدِيَ بِهَا أَسِيرًا مُسْلِمًا، وَرُويَ مِثْلُهُ عَنْ مَالِكٍ، وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ خِلَافُهُ.

﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ هُمُ الَّذِينَ عَلَتْهُمْ الدِّيُونُ لَغَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فَمِنْ غَرَمٍ لِإِصْلَاحِ

نفسه في مُباحٍ، أُعطي إذا لم يكن له من المال ما يفي بدينه بالاتفاق، وإن غرم لإصلاح ذات البين، أُعطي مع غناه عند الشافعي وأحمد، خلافاً لأبي حنيفة ومالك فإنهما يشترطان أن يكون فقيراً.

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم الغزاة الذين لا ديوان لهم، فيُعطون مع غناهم عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: هو مخصوص بالفقير منهم، وقال أحمد: المحج من سبيل الله، فيُعطي الفقير ما يحج به الفرض، أو يستعين به فيه، وافقه محمد بن الحسن، وخالف أبو يوسف.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر المنقطع دون بلده، فيُعطي ما يقطع به سفره عند الثلاثة، وعند الشافعي لا فرق بين مُشَيء السفر والمجتاز إذا لم يكن معه ما يحتاج إليه في سفره، ويُشترط في السفر أن يكون مباحاً عند الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة.

﴿فَرِيضَةٌ﴾ أي: واجبة.

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكّد؛ أي: فرض الصدقات فريضةً.

﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها.

واختلف الأئمة في جواز صرفها إلى بعض الأصناف الثمانية، وقال أبو حنيفة وأحمد: يجوز صرفها إلى صنف واحد، وقال الشافعي: لا يجوز صرفها إلى بعضهم مع وجود سائرهم، وقال مالك: يُتحرى في موضع الحاجة منهم، ويُقدّم الأولى فالأولى من أهل الخلّة والحاجة، ومعنى الخلّة: الفقير.

واتفق الأئمة رضي الله عنهم على وجوب الزكاة في أربعة أصناف من المال: السائمة من بهيمة الأنعام، وهي التي ترعى في أكثر الحول،

والخارجُ من الأرض، والنقد، وعروضُ التجارة.

ولا تجبُ إلا بشروطٍ خمسة: الإسلام، والحرية، وملك النصاب، وتام الملك، فلا تجبُ على مكاتبٍ، ومضيِّ الحولِ إلا في الخارج من الأرض، وتقدّم الكلامُ عليه في سورة الأنعام عند تفسير قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الآية: ١٤١] وهل يُشترطُ البلوغُ والعقلُ؟ قال الثلاثة: لا يُشترط، بل تجبُ في مالِ الصبيِّ والمجنون، وقال أبو حنيفة: يُشترط، فلا تجبُ عليهما.

والزكاةُ في اللغة: الزيادة، يقال: زكا المالُ: إذا نما وزاد، وفي الشرع: حقٌّ واجبٌ في مالٍ خاصٍّ لطائفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ. ولا يجوزُ أدائها إلا بالنية بالاتفاق.

ويجوزُ تعجيلُها عند أبي حنيفة لسنةٍ أو أكثر، وعند الشافعيٍّ لحولٍ واحدٍ، وعند أحمدَ لحولين، وقال مالكٌ: لا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ قبل وجوبها.

واتفقوا على أن نصابَ الإبلِ خمسٌ، ففي كلِّ خمسٍ شاةٌ إلى أربع وعشرين، وفي خمسٍ وعشرين بنتٌ مخاضٍ لها سنة، ثم في ستٍّ وثلاثين بنتٌ لبونٍ لها سنتان، ثم في ستٍّ وأربعين حقةً لها ثلاث سنين، ثم في إحدى وستين جذعةً لها أربع سنين، ثم في ستٍّ وسبعين بنتاً لبون، ثم في إحدى وتسعين حقتانٍ إلى مئةٍ وعشرين، فإن زادت واحدة، فقال أبو حنيفة: يستأنفُ الفريضة، ففي كلِّ خمسٍ شاةٌ كالأول إلى مئةٍ وخمسين وأربعين، ففيها حقتان وبنتٌ مخاضٍ إلى مئةٍ وخمسين، ففيها ثلاثُ حقاتٍ، ثم في الخمسِ شاةٌ كالأولى إلى مئةٍ وخمسين وسبعين، ففيها ثلاثُ حقاتٍ،

وبنتُ مخاضٍ، وفي مئةٍ وستٍ وثمانين ثلاثُ حقاقي وبنتُ لبون، في كلِّ أربعين بنتُ لبون، وفي كلِّ خمسين حقةً، وعن مالكٍ إذا زادت واحدةً، روايتان: أشهرهما أن الساعي بالخيار بين حقتين أو ثلاثِ بناتِ لبون. وفي مئةٍ وستٍ وتسعين أربعُ حقاقي إلى مئتين، ثم تستأنفُ أبداً كما استأنفتَ بعدَ المئةِ وخمسين، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: إن الزيادةَ الواحدةَ تغيرَ الفرض، فيكونُ في مئةٍ وإحدى وعشرين ثلاثُ بناتِ لبون، ثم في كلِّ أربعين بنتِ لبون، وفي كلِّ خمسين حقةً، وعن مالكٍ إذا زادت واحدةً روايتان؛ أشهرهما أن الساعي بالخيار بين حقتين أو ثلاثِ بناتِ لبون. والروايةُ الأخرى: ليس فيها إلا حقتانِ حتى تبلغَ ثلاثين ومئةً، فإذا صارتُ كذلك، أُخذَ من كلِّ خمسين حقةً، ومن كلِّ ثمانين بنتا لبون.

واتفقوا على أن نصابَ البقرِ ثلاثون، ففيها تبيعٌ أو تبعَةٌ، وهي التي لها سنةٌ عندَ الثلاثة، وعندَ مالكٍ التي لها سنتان، وفي الأربعين مُسنَّةٌ، وهي التي لها سنتانِ عندَ الثلاثة، وعندَ مالكٍ التي لها أربعُ سنينَ إلى تسعِ وخمسين، فإذا بلغتْ ستين، ففيها تبعانِ إلى تسعِ وستين، فإذا بلغتْ سبعين، ففيها تبيعٌ ومسنَّةٌ، فإذا بلغتْ ثمانين، ففيها مُسنَّتانِ، وفي تسعينَ ثلاثةً أتبعةً، وفي مئةٍ تبعانِ ومسنَّةٌ، وعلى هذا أبداً يعتبرُ الفرضُ، ففي كلِّ ثلاثين تبيعٌ، وفي كلِّ أربعين مسنَّةٌ.

والجواميسُ نوعٌ منه بالاتفاق. واتفقوا على أن نصابَ الغنمِ أربعون، وفيها شاةٌ إلى مئةٍ وعشرين، فإذا زادت واحدةً، ففيها شاتان، ثم في مئتين وواحدةٍ ثلاثُ شياهٍ إلى أربعِ مئةٍ ففيها أربعُ شياهٍ، ثم في كلِّ مئةٍ شاةٌ. والمعزُ والضأنُ سواءٌ بالاتفاق.

واختلفوا فيما يؤخذ من الزكاة، فقال أبو حنيفة: أدنى ما تتعلَّقُ به الزكاةُ

ويؤخذُ في الصدقة الثَّنيُّ، وهو ما تَمَّتْ له السنة، ولا يجزىءُ الجذعُ، وهو عنده الذي أتى عليه أكثرُ السنة، وقالَ الثلاثةُ: يؤخذُ الجذعُ من الضأنِ، وهو ما له سنةٌ عندَ مالكٍ والشافعيِّ، وستةُ أشهرٍ عندَ أحمدَ، والثَّنيُّ من المعزِ، وهو ما له ثلاثُ سنينَ عندَ مالكٍ، وستتانِ عندَ الشافعيِّ، وسنةٌ عندَ أحمدَ.

واختلفوا في الخيلِ إذا لم تكنْ معدَّةً للتجارة، فقالَ الثلاثةُ: لا زكاةٌ فيها، وقال أبو حنيفة: فيها الزكاةُ إن كانتْ سائمةً ذكوراً وإناثاً، أو إناثاً، فإن شاء أعطى عن كل فرسٍ ديناراً، وإن شاء قَوَّمها وأعطى عن كلِّ مئتي درهمٍ خمسةَ دراهمٍ، وخالفه أصحابه، فوافقا الجماعةَ.

واختلفوا فيما إذا كانتِ الغنمُ ذكوراً، أو إناثاً، أو من الصنفين، فقال أبو حنيفة: يجزىءُ أخذُ الذكرِ من كلِّ، وقالَ الثلاثةُ: إن كانتْ كُلُّها ذكوراً، أجزأَ الذكرُ، وإن كانتْ إناثاً، أو من الصنفين، فلا يجزىءُ فيها إلا الأنثى.

واتفقوا على أن نصابَ الفضةِ مئتا درهمٍ، وأما نصابُ الذهبِ، فقال مالكٌ: هو عشرون ديناراً، وقالَ الثلاثةُ: هو عشرون مثقالاً، فإذا حالَ الحولُ، ففي كلِّ منهما ربعُ العشرِ بالاتفاق. واختلفوا^(١) في الحلِيِّ المباحِ مما يُلبَسُ ويُعار، فقال أبو حنيفة: فيه الزكاةُ، وقالَ الثلاثةُ: لا زكاةٌ فيه، وأما المحرَّمُ والمعدُّ للتجارة، ففيهما الزكاةُ بغيرِ خلافٍ.

واختلفوا في زكاةِ المعدنِ، فقال أبو حنيفة وأحمدُ: تجبُ في كلِّ ما يُستخرجُ من الأرضِ من ذهبٍ وفضةٍ وحديدٍ ونحوها، واختلفا، فقال أبو حنيفة: لا يُعتبر فيه النصابُ، بل يجبُ في قليله وكثيره الخمسُ، وهو فيءٌ، والباقي لمستخرجه، وقال أحمدُ: يعتبر النصابُ، وفيه ربعُ العشرِ

(١) في «ش»: «اتفقوا»، وهو خطأ.

زكاةً في الحال، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يتعلّق بشيء^(١) إلا بالذهب والفضة، ووافقا أحمدَ في اعتبارِ النصابِ ووجوبِ ربعِ العشرِ زكاةً في الحال.

ولا زكاةً فيما يخرجُ من البحرِ من اللؤلؤ والمرجانِ بالاتفاق.

واختلفوا في الرّكاز، وهو دفنُ الجاهلية، فقال الثلاثة: فيه الخمسُ في الحال، قلّ أو كثرَ من أيّ نوعٍ كان، والواجدُ كالغانمِ له أربعةُ أخماسٍ، ومصرفُهُ مصرفُ الفياء، وقال الشافعيُّ: شرطُهُ النصابُ والنقدُ، لا الحولُ، وفيه الخمسُ يصرفُ مصرفَ الزكاة.

واتفقوا على وجوبِ الزكاة في عُروضِ التجارة إذا بلغت قيمتها نصاباً من الذهبِ أو^(٢) الورقِ ففيها ربعُ العشر.

ثم اختلفوا في استقرارِ وجوبِها بالحوّل، فقال الثلاثة: إذا حالَ عليها الحولُ، قَوِّمَها، فإذا بلغتْ نصاباً، زكَّاهَا، وقال مالكٌ: لا تجبُ الزكاةُ حتى يبيعَ، فإنْ أقامَ أحوالاً، فلا شيءَ عليه مادامَ عرضاً، ولا تُقَوَّمُ في كلِّ سنة، فإذا باعَ، زكَّى لسنةٍ واحدةٍ.

واتفقوا على وجوبِ زكاةِ الفطْرِ على الأحرارِ المسلمينَ، وتلزمُ عندَ الثلاثة مَنْ ملكَ فاضلاً عن قوته وقوتِ عياله يومَ العيدِ وليلته ما يُخرجهُ فيها، وقال أبو حنيفة: لا تجبُ إلا على مَنْ ملكَ نصاباً، ووقتُ وجوبِها عندَ أبي حنيفة طُلوعُ الفجرِ يومَ الفطْرِ، وعندَ الثلاثة غروبُ الشمسِ ليلةَ الفطْرِ، ويجوزُ تعجيلُها عندَ أبي حنيفة قبلَ رمضانَ، وعنه خلافٌ، وعندَ

(١) «بشيء» زيادة من «ش».

(٢) في «ش»: «و».

مالك وأحمد يجوزُ تعجيلُها قبلَ العيدِ بيومٍ ويومينِ ، وعندَ الشافعيٍّ من أولِ الشهرِ ، ويُستحبُّ إخراجُها يومَ الفطرِ قبلَ الخروجِ إلى المصلَّى بالاتفاق .

واتفقوا على جوازِ إخراجِها من خمسةِ أصنافٍ : البُرِّ ، والشعيرِ ، والتمرِ ، والزبيبِ ، والأقِطِ ، وقال أبو حنيفةً وأحمدُ : يجرىءُ الدقيقُ والسَّويقُ أيضاً ، وقال مالكٌ : يجوزُ إخراجُها من الحَبِّ من سائرِ الأقواتِ ؛ كالأرزِّ ، والذرةِ ، والدخنِ .

واتفقوا على أن الواجبَ صاعٌ من كلِّ جنسٍ ، سوى أبي حنيفةً ؛ فإنه قال : يجرىءُ من البُرِّ خاصَّةً نصفُ صاعٍ .

واختلفوا في قدرِ الصاعِ ، فقال أبو حنيفةً : ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ ، وقال الثلاثةُ وأبو يوسفَ : خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ بالعراقيِّ ، وهو أربعةُ أرطالٍ وخمسةُ أسباعٍ رطلٍ وثلثُ سُبُعٍ رطلٍ مصريٍّ ، ورطلٌ وسبُعُ رطلٍ دمشقيٍّ ، وإحدى عشرةَ أوقيةً وثلاثةُ أسباعٍ أوقيةٍ حلبيةٍ ، وعشرُ أواقٍ وسُبُعُ أوقيةٍ قدسيةٍ ، وستُ مئةٍ وخمسةُ وثمانونَ درهماً ، وخمسةُ أسباعٍ درهمٍ ، وأربعُ مئةٍ وثمانونَ مثقالاً .

وتقدَّم ذكرُ المدِّ مستوفى في سورةِ المائدةِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى : ﴿ فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ﴾ [الآية : ٨٩] .

واختلفوا في جوازِ إخراجِ القيمةِ ، فقال أبو حنيفةً : يجوزُ ، وخالفه الثلاثةُ . واختلفوا في الأفضلِ ، فقال مالكٌ وأحمدُ : التمرُ أفضلُ ، ثم الزبيبُ ، وقال الشافعيُّ : البُرُّ أفضلُ ، وقال أبو حنيفةً : أفضلُ ذلك أكثرُهُ نماءً ، والله أعلم .

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦١]

[٦١] ونزل فيمن كان يؤذي النبي ﷺ من المنافقين، ويقول: نأتيه وننكر ما قلنا، ونحلف فيصدقنا؛ فإنه أذن.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾^(١) أي: يسمع كل ما قيل له ويقبله.

﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إذا كان كما تقولون، فهو خير لكم. قرأ نافع: (أذن) بإسكان الذال فيهما، والباقون: بالرفع^(٢).

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدقهم، إلا المنافقين.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ قرأ حمزة: (وَرَحْمَةٍ) بالخفض على معنى (أذن) خير و(رحمة)، والباقون: بالرفع؛ أي: هو أذن خير، وهو رحمة^(٣).

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ لأنه كان هو سبب إيمانهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٨).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٩).

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ونزلَ فيمن تخلفَ عن غزوةِ تبوكَ واعتذرَ ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ ولما كان رضا الله تعالى رضا نبيه، وبالعكس، وَحَدَّ الضمير في (أَنْ يُرْضُوهُ).
﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ صدقاً.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَأَبَى لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ﴾ يُعَادِيهِمَا .
﴿فَأَبَى لَهُ﴾ فتحاً خبرٌ مبتدأٌ محذوفٍ ، أي : فجزأوه أَنْ لَهُ .
﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ أي : الفضيحةُ العظيمةُ .

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزْوا بِإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا يُحْذَرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ثم خبرَ بحالِ المنافقين فقال : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ أي : يخشون .

﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي : على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ﴾ أي : تنبئُ المؤمنين .

﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ؛ أي : قلوبِ المنافقين ، المعنى : المنافقون يحذرون

من نزولِ سورةٍ على المؤمنين تخبرُ بما يُضمرونَ من النفاق، فيفتضحون، وهم مع ذلك يستهزئون.

﴿قُلِ اسْتَهْزَؤُا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ من إنزالِ السورةِ فيكم. قرأ أبو جعفر: (استهزؤوا) بضم الزاي بغير همز، وكذلك في (يستهزؤون) في الحرف الآتي، والباقون: بالهمز فيهما^(١).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٦٥﴾.

[٦٥] وكان جماعةٌ يستهزئون برسولِ الله ﷺ لما كانَ في غزوةِ تبوك، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريدُ أن يفتحَ قصورَ الشامِ وحصونَه، هيهاتَ هيهاتَ! فأخبرَ اللهُ نبيَّه، فدعاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا؟»، فأنكروا واعتذروا، وقالوا: إنما كنا نخوضُ ونلعبُ، فنزل:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾^(٢) في الكلام.

﴿وَنَلْعَبُ﴾ كما يفعلُ الركبُ نقطعُ الطريقَ بالحديثِ واللعبِ.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ﴾ كتابه.

﴿وَرَسُولِهِ﴾ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصحُّ الاستهزاءُ به.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠/٣).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٣٠١/٢).

﴿ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ
نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ لَا تَعْذِرُوا ﴾ لا تُظهِروا عُذْرَكُمْ ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ ﴾ باستهزائكم .

﴿ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ بعد إظهاركم الإيمان .

﴿ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ ﴾ أي : إن نرحم طائفةً منكم بتوبتهم
وإخلاصهم .

﴿ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ مصرين على النفاق . قرأ
عاصمٌ : (نَعْفٌ) بالنون وفتحها ، وضمَّ الفاء (نُعَذِّبُ) بالنون وكسر الذال
(طَائِفَةً) نصبٌ ، وقرأ الباكون : (يُعْفَ) بالياء وضمَّها وفتح الفاء (تُعَذِّبُ)
بالتاء وفتح الذال (طائفة) رفعٌ على غير تسمية الفاعل ^(١) .

﴿ الْمُتَفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ
الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ الْمُتَفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ في النفاق والدين .

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ﴾ بالكفر والمعصية .

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمان والطاعة .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣١٦) ، و«التيسير» للداني (ص :

١١٨-١١٩) ، و«تفسير البغوي» (٢/٣٠١) ، و«معجم القراءات القرآنية»

(٣/٣٠-٣١) .

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ يُمَسِّكُونَ عَنِ الصَّدَقَاتِ .

﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ تَرَكُوا أَمْرَهُ ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فَتَرَكَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الْكَامِلُونَ فِي التَّمَرُّدِ وَالْفُسُوقِ .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨) .

[٦٨] ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ كَافِيَتُهُمْ جَزَاءً عَلَى كُفْرِهِمْ .

﴿ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ .

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٩) .

[٦٩] ﴿ كَالَّذِينَ ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ؛ أَيُ: أَنْتُمْ مِثْلُ الَّذِينَ .

﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ﴾ أَيُ: انْتَفَعُوا بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ .

﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ ﴾ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ .

﴿بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ وسلكتهم مسلكتهم .

﴿وَحُضَّتُمْ﴾ في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كما خاضوا .
﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لم يستحقوا عليها ثواباً .
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا الدارين .

﴿الَّذِي يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٧٠) .

[٧٠] ﴿الَّذِي يَأْتِيهِمْ﴾ يعني : المنافقين ﴿نَبَأُ﴾ خبرٌ .
﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حينَ عَصَوْا رُسُلَنَا ، وخالفوا أَمْرَنَا كَيْفَ عَذَّبْنَاهُمْ وَأَهْلَكْنَاهُمْ ، ثم ذكرهم فقال :

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ أهلكوا بالطوفانِ ﴿وَعَادٍ﴾ أهلكوا بالريحِ ﴿وَتَمُودَ﴾ بالرجفةِ ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ بسلبِ النعمةِ وهلاكِ نمرودَ .
﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قومِ شعيبٍ أهلكوا بالنارِ يومَ الظُّلَّةِ .

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ مدائنِ قومِ لوطٍ ائتفكت ؛ أي : انقلبت بهم فصارَتِ عاليها سافلها . قرأ قالونُ عن نافعٍ بخلافٍ عنه : (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) بِإِسْكَانِ الواوِ بغيرِ همزٍ^(١) .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠-٣٩٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٤٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢) .

﴿ أَنْتَهُم رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم .

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي : ليهلكهم حتى يبعث إليهم الأنبياء .

﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث عَرَضُوا للعقاب بالكفر .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) .

[٧١] ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ في الدين واتفاق الكلمة .

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بالإيمان والطاعة .

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الشرك والمعصية ، والمعروف : هو ما عرفه العقل والشرع بالحسن ، والمنكر : ما أنكره أحدهما لقبحه ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية باتفاق الأئمة وإجماع الأمة ، وهو من أعظم قواعد الإسلام ، والنهي : هو استدعاء ترك الفعل ، وهو أمر بضده ، وحقيقته للتحريم ، وحققة الأمر للإيجاب والقبول .

﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في سائر الأمور .

﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ لا محالة ؛ فإن السين مؤكدة للوقوع ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يمتنع عليه ما يريد ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يضع الأشياء في محلها .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٧٢]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ﴾ تستطيها النفس ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ بساتين خلدٍ .
﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي : شيء من رضا الله ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذلك كله .
﴿ذَلِكَ﴾ أي : الرضوان .

﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وحده دون ما يعدّه الناس فوزاً .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ ! فَيَقُولُ : أَفَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » (١) .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَيُشَسِّ الْمَصِيرُ﴾ [٧٣]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجة .

(١) رواه البخاري (٦١٨٣)، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً.

﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ في الجهادين .

﴿وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ في الآخرة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم ، قال عطاء :
نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصَّفح^(١) .

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَا بِمَالٍ يُنَالُونَ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٧٤) .

[٧٤] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ رُوي أنه عليه السلام أقام في غزوة تبوك
شهرين ينزل القرآن ، ويعيبُ المنافقين^(٢) المتخلفين ، فقال الجلاسُ بن
سُوَيْدٍ : لئن كان محمدٌ صادقاً ، لنحنُ شرُّ من الحمير ، فبلغ رسول الله ﷺ ،
فاستحضره ، فحلف بالله ما قاله ، فنزلت ، فتاب الجلاسُ وحسنت
توبته^(٣) .

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ سبُّهم رسول الله ﷺ .
﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهارهم الإيمان .
﴿وَهُمْ أُولَا بِمَالٍ يُنَالُونَ﴾ وهو الفتك برسول الله ﷺ حين وقفوا له بالعقبة
عند عودِهِ من تبوك .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٢/٣٠٥) .

(٢) «المنافقين» زيادة من «ش» .

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٣٠٣) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره»
(١٨٢٦/٦) .

﴿وَمَا نَقْمُوا﴾ أنكروا وعابوا على المؤمنين .

﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وذلك أَنَّ أهلَ المدينة كانوا قبل قدومِ النبي ﷺ في ضَنْكٍ من العيش ، فلما قدم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم ، وقيلَ للحسين بن الفضل : هل تجدُ في القرآن قولَ الناسِ احذَرُ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إليه؟ فقال : نعم ، قوله تعالى في قصة المنافقين في التوبة : ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) .

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ من كفرهم ﴿يَكْ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من نفاقهم وهو الذي حمل الجلاسَ على التوبة ، فقتلَ مولى له ، فأمرَ له النبي ﷺ بديتِه اثني عشر ألفَ درهمٍ ، فاستغنى .

﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ يُعْرِضُوا عن الإيمان .

﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالخزي ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار .
﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذاب .

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٧٥) .

[٧٥] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني : المنافقين .

﴿مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ولنؤدينَّ حقَّ الله منه .
﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ نعملُ بعملِ أهلِ الصلاح فيه ، نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، أتى النبي ﷺ وقال : ادعُ الله أن يرزقني مالا ،

(١) انظر : «تفسير القرطبي» (٢٠٨/٨) .

فقال عليه السلام: «قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ»، فراجعهُ وقال: والذي بعثك بالحق! لئن رزقني مالا؛ لأعطينَ كلَّ ذي حقِّ حقَّهُ، فدعا له فاتخذَ غنماً، فنمتُ كما ينمي الدودُ، حتى ضاقتُ بها المدينةُ، فنزلَ وادياً، وانقطعَ عن الجمعةِ والجماعةِ، فسألَ عنه ﷺ، فقيل: كثرَ ماله حتى لا يسعُه وادٍ، فقال: «يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ!»، فبعثَ مُصَدِّقِينَ لَأَخِذِ الصَّدَقَاتِ، فاستقبلَهُما الناسُ بصدقاتِهِم، ومراً بثعلبةِ فسألاه الصدقةَ، وأقرأه الكتابَ الذي فيه الفرائضُ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أختُ الجزيةِ، فارجعا حتى أرى رأيي، فنزلتُ، فجاءَ ثعلبةُ بالصدقةِ فقال: «إِنَّ اللَّهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»، فجعلَ يحثو على رأسه الترابَ، فقال: «هَذَا عَمَلُكَ؛ فَقَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِيعَنِي»، فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فجاءَ بها إلى أبي بكرٍ في خلافتهِ، فلم يقبلها، ثم جاءَ بها إلى عمرَ في خلافتهِ، فلم يقبلها، ثم جاءَ بها إلى عثمانَ فلم يقبلها، وهلك في خلافتهِ^(١).

﴿ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [٧٦].

[٧٦] ﴿ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ منعوا حق الله منه ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ وهم قومٌ عادتهم الإعراضُ عنها.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٠/٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣٠٧/٢)، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ أي: جعل الله عاقبة ذلك ﴿ نِفَاقًا ﴾ ثابتاً.

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فلا يؤمنون ﴿ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ هو يوم القيامة.

﴿ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ من التصديق والصلاح.

﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ في يمينهم.

قال ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّخَذَ خَانَ»^(١).

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [٧٨].

[٧٨] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾ ما أسروه في أنفسهم من النفاق.

﴿ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ حديثهم فيما كان بينهم.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ فلا يخفى عليه ذلك. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: (الْغُيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بالضم^(٢).

(١) رواه البخاري (٣٣)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ومسلم (٥٩)،

كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: «الغيث» للصفارسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣).

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ قرأ يعقوب: (يَلْمِزُونَ) بضم الميم، والباقون: بالكسر^(١)؛ أي: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتبرعين.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ والمراد عبد الرحمن بن عوف، تصدق بأربعة آلاف درهم، وكان ماله ثمانية آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أُعْطِيتَ وَفِيمَا أُمْسَكْتَ»، فبارك الله له، حتى أنه خلف امرأتين يوم مات، فبلغ ثمن ماله لهما مئة وستين ألفاً، وتصدق عاصم بن عدي بمئة وسق تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر، فقال: يا رسول الله! بث ليلتي أجرًا بالجريد الماء حتى نلت صاعين، فتركت صاعاً لعيالي، وجئت بصاع، فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات، فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياءً، وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات، فنزلت:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾^(٢) بضم الجيم: طاقتهم، وبالفتح:

(١) انظر: القراءة عند تفسير الآية (٥٨) من هذه السورة.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٠٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/٨٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٢٤٩).

المشقة، والتلاوة بالأول، والمراد بالمطوعين: عبد الرحمن وعاصم،
والذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزئون بهم.

﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سُخْرِيَتِهِمْ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على كفرهم.

﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ لفظه أمر، ومعناه خبر، تقديره:

استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم.

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وذكر عدد السبعين قطعاً
لأطماعهم عن المغفرة على عادة العرب، لأنها عندهم مثل لغاية الاستقصاء
في العدد، فلما نزلت، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَخَّصَ لِي، فَلَا زِيْدَنَّ عَلَى
السَّبْعِينَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ»، فأنزل الله على رسوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (١).

(١) رواه البخاري (٤٣٩٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ
لَهُمْ﴾، ومسلم (٢٤٠٠)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر -
رضي الله عنه -، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
المتمردين في كفرهم .

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [٨١] .

[٨١] ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ المتروكون عن غزوة تبوك .
﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ بقعودهم ﴿ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ أي : من بعده .
﴿ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وكراحتهم لما ذكر هي شح ؛ إذ لا يؤمنون بالثواب في سبيل الله .
﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ أي : الجهاد ؛ لأن غزوة تبوك كانت في أشد الحر .

﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ من غزوة تبوك ﴿ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ أي : يعلمون ، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود .

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٨٢] .

[٨٢] ثم قال تهديداً بصيغة الأمر : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا ﴾ في الدنيا ﴿ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا ﴾ في الآخرة .

﴿ كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ نص في أن التكسب هو الذي يتعلق به الثواب والعقاب .

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعِذْهُمْ بِالْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴾ [٨٣].

[٨٣] ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ ﴾ رَدَّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ غَزْوَتِكَ هَذِهِ.

﴿ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: من المخلفين، وإنما قال: طائفة منهم؛ لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقاً.

﴿ فَاسْتَعِذْهُمْ بِالْخُرُوجِ ﴾ معك إلى غزوة أخرى.

﴿ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ في سَفَرَةٍ. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (معي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿ وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ قراءة العامة: (معي) بإسكان الياء في هذا الحرف، وقرأ حفص عن عاصم: بفتح الياء^(٢).

﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ في غزوة تبوك ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴾ أي: المتخلفين من النساء والصبيان وأهل الأعدار.

﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [٨٤].

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٤٣).

(٢) المصادر السابقة.

[٨٤] ولما حضرَ عبدَ الله بنَ أبيّ ابنَ سلولَ المنافقَ الموتَ، بعثَ إلى رسولِ الله ﷺ، فدخلَ عليه، فقال: «أَهْلَكَ حُبُّ الْيَهُودِ»، فقال: لم أبعثُ إليك لتؤنّبني، بل لتستغفرَ لي، وطلبَ منه أن يُكفّنهُ بثوبه الذي يلي جسدَه، فكفّنهُ ﷺ دفعاً لِمَنَّتِهِ؛ لأنه كانَ قد كسا العباسَ لما أُسرَ يومَ بدرٍ قميصاً؛ لأنه لم يكنْ بقدره قميصٌ سوى ثوبِ ابنِ أبيّ، وصلى عليه، فكلّمَ ﷺ في ذلك، فقال: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي وَصَلَاتِي مِنَ اللَّهِ؟ وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ بِهِ أَلْفُ رَجُلٍ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ تَبَرُّكِهِ»، فرُوي أنه أسلمَ ألفٌ من قومه لما رأوه يتبرّكُ بقميصِ النبي ﷺ، فنزل:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَى أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(١) لا تقفُ عليه للدفن،
(وَمَاتَ) ماضياً معناه الاستقبال؛ لأنه كائنٌ لا محالة.

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ فما صلى رسولُ الله ﷺ بعدها على منافقٍ، ولا قامَ على قبره حتى قبضَ.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٨٥).

[٨٥] ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ الخطابُ للنبي ﷺ، والمرادُ: أُمَّتُهُ، إذ هو بإجماعِ مِمَّنْ لا تفتنه زخارفُ الدنيا، ووجهُ تكريرها تأكيدُ هذا المعنى، وأيضاً لأنَّ الناسَ كانوا يُفتنون بصلاحِ حالِ المنافقين في دنياهم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣١٢ - ٣١٣)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٩٣/٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٢٥٩).

﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذَّكَ أُولُوا الطَّلَاقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [٨٦].

[٨٦] ﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذَّكَ أُولُوا الطَّلَاقِ مِنْهُمْ ﴾ ذو الغنى والسعة ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ الزمنى وأهل العذر.

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ النساء، جمع خالفة. ﴿ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة، وما في التخلف عنه من الشقاوة.

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ أي: إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا، فقد جاهد من هو خير منهم.

﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ﴾ منافع الدارين: الغنيمه^(١) في الدنيا، والجنة في الآخرة.

(١) في «ت»: «القيمة».

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمطالب .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بيان لما لهم من الخيرات الأخروية .

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ قراءة العامة : بفتح العين وتشديد الذال ؛ أي : الآتون بصورة العذر ولا عذر لهم ، وقرأ يعقوبُ : بإسكان العين وتخفيف الذال ؛ يعني : الذين أتوا بالعذر ، وبالغوا فيه ^(١) ، وهم قوم ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ استأذنوا في التخلُّفِ متعذرين بالجهد وكثرة العيال ، قال ابنُ عباسٍ وقومٌ معه منهم مجاهدٌ : كانوا مؤمنين ، وكانت أَعذارهم صادقةً ، وقال قتادة وفرقةٌ معه : بل هم قومٌ كفرةٌ ، وقولهم وعذرهم كذبٌ ^(٢) .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٨٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٥) .

(٢) انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٦٠) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٦٠) .

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني : المنافقين ، كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان ، ولم يجيئوا ، ولم يعتذروا .

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من الأعراب .
﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بالقتل ، وفي الآخرة بالنار .

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) .

[٩١] ثم عذر الله تعالى ذوي الأعذار فقال : ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ الهَرَمَى والزَّمْنَى .

﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ لفقرهم .
﴿حَرَجٌ﴾ إثمٌ ﴿إِذَا نَصَحُوا﴾ أخلصوا ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان والطاعة .
﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ في إيمانهم ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق عتاب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم .

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (٩٢) .

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو .

﴿قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ المعنى: لا سبيلَ على الأولين، ولا على هؤلاء، وهم الذين أتوك، وهم سبعة نفرٍ سُمُّوا البكَّائين: مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، وصخرُ بْنُ خنساء، وعبدُ اللَّهِ بن كعبِ الأنصاري، وعليُّ بْنُ زَيْدِ الأنصاري، وسالمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وثعلبةُ بْنُ غنمة، وعبدُ اللَّهِ بنُ مُغَفَّلِ المزني، أتوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ قد ندبنا للخروج، فاحملنا على الخفافِ المرقوعةِ والنعالِ المخصوفةِ نغزو معكَ، فقال: «لَا أَجِدُ»، فتولَّوا وهم يَبْكُون، فذلك قوله:

﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾^(١) تسيلُ.

﴿مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُفْقُونَ﴾ في الجهادِ، تلخيضُه: ليس إلى عقوبةِ هؤلاء سبيلٌ.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٣).

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ بالمعاتبَةِ.

﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ واجدُونَ الأُهْبَةَ.

﴿رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ النساءِ والصبيانِ.

﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدمَ تفسِيرُ نظيرِ هذه الآيةِ قريباً.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٥).

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلّف .

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه السّفرة .

﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بالمعاذير الكاذبة ؛ لأنه ^(١) :

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدّقكم ؛ لأنّه ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ وهو ما في ضميركم بالوحي إلى نبيّه .

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أُنَبِّئُون أَمْ تَتَّبِعُونَ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ .

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المَطَّلَعِ عليكم .

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتوبيخ والعقابِ عليه .

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ .

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إذا انصرفتم من

غزوكم .

(١) «لأنّه» ساقطة من «ت» .

﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتصفحوا، فلا تعاتبوهم.
 ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ ولا توبّخوهم.
 ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ نجس لا ينفع فيهم التائب.
 ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمُ﴾ فتكفيهم عتاباً ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٩٦﴾.

[٩٦] حلف عبد الله بن أبيّ ألا يتخلف عن رسول الله ﷺ بعد ذلك، وطلب أن يرضى عنه، فنزل: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾^(١) بحلفهم.
 ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله، ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٩٧﴾.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الحضر؛ لتوحّشهم، وعدم مخالطتهم لأهل العلم، وبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣١٦-٣١٧).

﴿وَأَجْدَرُ﴾ أَحَقُّ ﴿أَلَا﴾ أَي: بَأْن لَا ﴿يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ﴾ من الشرائع.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوب خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ بما يصيبُ به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً.

وأما إمامة الأعرابي للحضريين، فهي جائزة بالاتفاق إذا أقام حدود الصلاة، إلا أن أبا حنيفة يكره تقديمه على غيره، ومالك يكره إمامته، وإن كان أقرأهم.

واختلفوا في شهادة البدوي على القروي، فقال مالك: لا تقبل في الحضري؛ لما في ذلك من تحقق التهمة، وأجازها في السفر في المال وغيره؛ لعدم الريبة، وقال الثلاثة: تقبل مطلقاً إذا كان عدلاً مرضياً.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩٨).

[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ غرامة، فلا يرجو على إعطائه ثواباً، إنما يعطي خوفاً ورياءً.

﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دول الزمان وما يدور من آفاته لينقلب الأمر عليكم، ويظهر المشركون.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ عليهم يدورُ البلاءُ والحزنُ، ولا يرون في محمدٍ ودينه إلا ما يسوؤهم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (السَّوْءِ) بضم السين؛

يعني : الضرر والبلاء، وقرأ الباقون : بالفتح ؛ يعني : الفساد^(١).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضمِّرون، نزلت في أعراب أسدٍ وغطفان وتميم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيَدْخِلُهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٩٩).

[٩٩] ثم استثنى فقال : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هم بنو مُقَرَّرٍ من مُزَيْنَةٍ، وغفارٍ وجُهَيْنَةٍ.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ﴾ جمعُ قُرْبَةٍ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : يطلبُ القربةَ إلى الله.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أدعيته ؛ أي : يرغبون في دعاء النبي ﷺ.

﴿أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ شهادةٌ من الله لصحةِ مُعْتَقَدِهِمْ، وتصديقٌ لرجائِهِمْ. قرأ ورشٌ عن نافع : (قُرْبَةٌ) بضمِّ الراء، والباقون بسكونها^(٢)، والقربةُ : ما يتقَرَّبُ به العبدُ إلى الله تعالى من صومٍ أو صدقةٍ أو غيرهما ؛ كبناءِ المساجد ونحوها.

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣١٦)، و«التيسير» للداني (ص : ١١٩)،

و«تفسير البغوي» (٢/٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٦-٣٧).

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص : ١١٩)،

و«تفسير البغوي» (٢/٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٧-٣٨).

﴿سَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وعدُّ لهم بإحاطة الرحمة عليهم، والسينُّ لتحقيقه، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لتقديره.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الذين صلَّوا إلى القبلتين، وهم الذين هَجَرُوا قَوْمَهُمْ، وفارقوا أوطانهم.

﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة، وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زُرارة مصعبُ بنُ عُمير يعلمُّهم القرآن، فأسلمَ معه خلقٌ كثيرٌ وجماعةٌ من النساءِ والصِّبيانِ. قرأ يعقوبُ: (وَالْأَنْصَارُ) برفع^(١) الراء عطفاً على قوله: (وَالسَّابِقُونَ)^(٢)، والأنصارُ: همُ الذين نصرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ على أعدائه، وآوُوا أصحابه.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ هم بقية المهاجرين والأنصار، أو من استنَّ بهم إلى يوم القيامة.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لإفاضته عليهم الخير.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ قرأ ابنُ كثير: (مِنْ تَحْتِهَا)

(١) في «ش»: «بضم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٨).

بزيادة كلمة (من)، وخفض: (تَحْتَهَا)، وكذلك هي في المصاحف المكية، وقرأ الباقر بحذف لفظة (من)، وكذلك هي في مصاحفهم، واتفقوا على إثبات (من) قبل (تَحْتَهَا) في سائر القرآن^(١)، قال ابن الجزري في «النشر»: ويحتمل أنه إنما لم يكتب (من) في هذا الموضع؛ لأن المعنى: ينبع الماء من تحت أشجارها، لا أنه يأتي من موضع ويجري تحت هذه الأشجار، فالاختلاف المعنى خولف في الخط، وتكون هذه الجنات معدة لمن ذكر تعظيماً لأمرهم، وتنوياً بفضيلهم، وإظهاراً لمنزلتهم لمبادرتهم لتصديق هذا النبي الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل التسليم، ولمن تبعهم بالإحسان والتكريم، والله أعلم، انتهى.

﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ومعنى هذه الآية الحكم بالرضا عنهم بإدخالهم الجنة، وغفر ذنوبهم، والحكم برضاهم عنه في شكرهم وحمدهم على نعمه، جعلنا الله منهم برحمته.

واختلف في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة رضي الله عنها، مع اتفاقهم على أنها أول من آمن به، ف قيل: علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين، وقيل: أبو بكر، وقيل: زيد بن حارثة، وكان إسحق بن إبراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الأخبار فيقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٩-٣٨).

وأكبرُ التابعينَ: الفقهاءُ السبعةُ من أهلِ المدينة، وهم: عبيدُ الله بن عتبة بن مسعود، وهو ابنُ أخي عبدِ الله بن مسعودِ الصحابيِّ، وعروة بنُ الزبير بنِ العوامِ أخو عبدِ الله بنِ الزبيرِ الذي تولَّى الخلافةَ، وقاسمُ بنُ محمدٍ بنِ أبي بكرٍ الصديقِ، وكانَ من أفضلِ أهلِ زمانه، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ القرشيِّ، قالَ عنه الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه: إنه أفضلُ التابعينَ، وسليمانُ بنُ سلمة، وأبو بكرٍ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الحارثِ المخزوميِّ القرشيِّ، وخارجةُ بنُ زيدٍ بنِ ثابتِ الأنصاريِّ، وأبوه زيدُ بنُ ثابتٍ من أكابرِ الصحابةِ، وهؤلاءُ السبعةُ هم الذين انتشرَ عنهمُ الفقهُ والفتيا، وقد نظمَ بعضُ الفضلاءِ أسماءَهم في بيتٍ واحدٍ فقال:

أَلَا كُلُّ مَنْ لَا يَقْتَدِي بِأَثَمَةٍ فَقَسَمَتُهُ ضِيْرَى عَنِ الْحَقِّ خَارِجَهُ
فَخُذْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ عُرْوَةُ قَاسِمٌ سَعِيدُ سُلَيْمَانَ أَبُو بَكْرٍ خَارِجَهُ

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٠١] قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ أي: حول بلدكم، وهي المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ وهم مُزَيِّنَةٌ وَجْهَيْنَةً، وَأَشْجَعُ وَأَسْلَمُ، وَغِفَارٌ كانوا نازلينَ حولَ المدينة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ قومٌ منافقون ﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ مَرَنُوا وَتَمَهَّرُوا فيه، وهم من الأوسِ والخزرجِ ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ أنتَ يا محمدُ.

﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ الأولى : فضيحتهم في الدنيا ؛ لأنه ﷺ
 قام يومَ جمعةٍ خطيباً فقال : « اخرج يا فلانُ ويا فلانُ ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ » ، فأخرجَ
 جماعةً من المسجد^(١) ، الثانية : عذابهم في الآخرة ، وقيل : هما القتلُ
 وعذابُ القبر .

﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ بأن يخلدوا في جهنم .

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٠٢] .

[١٠٢] ﴿ وَآخَرُونَ ﴾ مبتدأ ﴿ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ صفتُهُ ، وخبرُهُ :

﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴾ وهو إقرارُهُم وتوبتُهُم .

﴿ وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ هو تخلفُهُم ، وضعَ الواوَ موضعَ الباءِ كما يقالُ : خلطتُ
 الماءَ واللبنَ ؛ أي : باللبن .

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ يقبلَ توبتَهُم ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يتجاوزُ عن
 التائب .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
 سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٠٣] .

[١٠٣] فجاءوا النبي ﷺ وقالوا : خذْ أموالنا التي تخلفنا عنكَ بسببِها ،

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩٢) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .
 وانظر : «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٩٦/٢-٩٧) .

فتصدق بها، واستغفر لنا فقال: «لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾^(١) من ذنوبهم.

﴿ وَتُزَكِّهِمْ بِهَا ﴾ أي: تنمي حسناتهم، وترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ادع لهم واستغفر.

﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم:
(إِنَّ صَلَاتَكَ) على التوحيد، وفتح التاء، والباقون: بالجمع وكسر التاء^(٢)
﴿ سَكَنُ لَهُمْ ﴾ طمأنينة ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لا عترافهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنداמתهم.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(١٠٤).

[١٠٤] فلما نزلت توبة هؤلاء، قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين:
هؤلاء كانوا معنا بالأمس لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم؟! فقال الله
تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ إذا صحّت.

﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ أي: يقبلها ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ وأن من
شأنه قبول توبة التائبين، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَصَدَّقُ

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٢١)،
و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)،
و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٩-٤٠).

بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا طَيِّبٌ، إِلَّا كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ، فَيُرَبِّيْهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى إِنَّ اللَّقْمَةَ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهَا مِثْلُ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ»^(١) قال البغوي رحمه الله في «شرح السنة»: كلُّ ما جاء به الكتابُ والسنةُ من هذا القبيل من صفاتِ الباري تعالى؛ كالنَّفْسِ والوجهِ واليدِ والرَّجْلِ، والإِتيانِ والمجيءِ والنزولِ إلى السَّمَاءِ الدنيا، والاستواءِ على العرشِ، والضحكِ والفرحِ، فهذه ونظائرها صفاتُ الله تعالى وردَ بها^(٢) الشرعُ يجبُ الإيمانُ بها وإمرارها على ظاهرها مُعْرِضًا فيها عن التَّأويلِ، مُجْتَنِبًا عن التشبيهِ، مُعْتَقِدًا أن الباري لا يشبهُ شيءٌ من صفاته صفاتِ الخلقِ، كما لا تُشَبَّهُ ذاته ذاتُ الخلقِ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وعلى هذا مضى سلفُ الأئمةِ وعلماءُ السنةِ، تَلَقَّوْهَا جَمِيعَهَا بِالْإِيمَانِ وَالْقَبُولِ، وَتَجَنَّبُوا فِيهَا مِنَ التَّمْثِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَوَكَلُّوا الْعِلْمَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَخْبَرَ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ فَقَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] انتهى^(٣).

(١) رواه البخاري (١٣٤٤)، كتاب: الزكاة، باب: لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، ومسلم (١٠١٤)، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) في «ت»: «به».

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١/١٦٨).

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٠٥].

[١٠٥] ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا ﴾ ما شئتم ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ، خيراً كَانَ أَوْ شراً.

﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاة عليه.

﴿ وَءَاخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [١٠٦].

[١٠٦] ﴿ وَءَاخِرُونَ ﴾ من المتخلفين التائبين ﴿ مُرْجُونَ ﴾ مُؤَخَّرُونَ. ﴿ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ فيهم بما يشاء. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (مُرْجَوُونَ) بالهمز، والباقون: بالواو بغير همز^(١)، والمرجؤون هم الثلاثة الذين تأتي قصصهم، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة، فتوقف رسول الله ﷺ في توبتهم.

﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ إن لم يتوبوا ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ إن تابوا.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤١).

﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعلُ بهم ، فنزلتُ توبتُهم بعدَ خمسِينَ ليلةً .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَارْصَادًا لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) .

[١٠٧] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، وأبو عمرو :
(الَّذِينَ) بغيرِ واوٍ قبلَ الذين ، وكذلك هو في مصاحفهم ، والباقون :
بالواو .

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ أي : مضارّةً ، نزلتُ في جماعةٍ من المنافقين بنوا
مسجداً يضارئون به مسجدَ قُباء ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، فعلوا ذلك مضارّةً
للمؤمنين .

﴿وَكُفْرًا﴾ باللهِ ورسوله .

• ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجدِ
قُباء ، فلما فرغوا ، أتوا الرسولَ ﷺ وهو يتجهّزُ إلى تبوك ، وقالوا :
يا رسولَ الله ! إنا قد بنينا مسجداً لذي العِلَّةِ والحاجةِ والليلةِ المَطِيرَةِ ، وإنَّا
نحِبُّ أن تأتينا وتصلِّي لنا فيه ، وتدعوَ بالبركة ، فقال رسولُ الله ﷺ : «إِنِّي
عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ ، وَإِنْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ» ، وكان أبو عامرٍ
الراهبُ رجلاً منهم قد تنصَّرَ في الجاهليةِ ، وترهَّبَ ، ولم يزل يقاتلُ
النبيَّ ﷺ حتى هُزمَ يومَ حُنين ، وسماهُ : أبا عامرٍ الفاسقَ ، كان قال لهم :

ابنوا مسجداً، فإني ذاهبٌ إلى قيصر، فأتى بجنودٍ فأخرجُ محمداً وأصحابه من المدينة، فهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَارْصَادًا﴾^(١) أي: إعداداً.

﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لأجلِ هذا المنافقِ الذي حاربَ.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ بناءِ مسجدِ الضُّرارِ إلى جنبِ مسجدِ قُباء، ولما أخرجَ إلى الشامِ ليأتي من قَيْصَرَ بجنودٍ يحاربُ بهم رسولَ الله ﷺ، هَلَكَ بِقَنْسَرَيْنَ طَرِيداً وَحِيداً.

﴿وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ أي: ما أَرَدْنَا ﴿إِلَّا﴾ الفعلُ ﴿الْحُسْنَى﴾ ببناءِ هذا المسجد، وهي الرفقُ بالمسكينِ والضعيفِ في الليلةِ الشاتيةِ وشدةِ الحرِّ، والسَّعةِ على المسلمين.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم.

﴿لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مَحَبَّةً لِيُطَهِّرُوا﴾^(١٠٨).

[١٠٨] فلما خرجَ ﷺ إلى تبوك، سألوهُ إتيانَ مسجدِهِم ليصليَ فيه، فنزلَ: ﴿لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا تصلُّ في مسجدِ الضُّرارِ، وأخبر بحالِهِم فأرسلَ وَخَشِيًّا بِجَمَاعَةٍ، فحرقوه وهدموهُ، وتفرَّقَ أهلهُ فجعلَ مكانَهُ كُنَاسَةً تُلقَى فيها^(٢) الجيفُ.

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٨٩/٢)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزبيدي (١٠٠/٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢٨٦/٤).

(٢) في «ظ»: «فيه».

﴿لَمَسْجِدُ أُسَسَ﴾ أي: بني أصله ﴿عَلَى التَّقْوَى﴾ واللامُ للابتداء.
﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وَضِعَ أُسَاسُهُ.

﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ مَصْلِيًّا، خبرُ الابتداء، والمسجدُ المؤسَّسُ على التقوى هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ، وردَ به الحديثُ عنه عليه السلام، وقيل: مسجدُ قُباء؛ لأنه ﷺ أُسَّسَهُ وَصَلَّى فِيهِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِقُباء من الاثنينِ إلى الجمعة.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ بالتوبة من المعاصي، وقيل: بالماء من الأحداث.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ يَرْضَى عَنْهُمْ.

﴿أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: (أُسَسَ) بضم الهمزة وكسر السين (بُنْيَانُهُ) رفعٌ فيه جميعاً على غير تسمية الفاعل، والباقون بفتح الهمزة والسين والنون على تسمية الفاعل^(١)، والمراد: قواعدُ البنيان.

﴿عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ أي: على طلب التقوى، ورضا الله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٤٢).

﴿ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ ﴾ طرفٍ وادٍ مُنْحَفِرٍ أصلُهُ بالماء .
قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (جُرْفٍ) ساكنة
الراء، والباقون: بضم الراء، وهما لغتان^(١).

﴿ هَارٍ ﴾ أي: أشرفَ على السقوط. قرأ أبو عمرو، والكسائي،
وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (هَارٍ) بالإمالة، واختلفَ عن قالونَ وابنِ ذكوانَ،
ورُوي عن يعقوبَ، وقنبلٍ الوقفُ بالياءِ على (هَارِي)^(٢).
﴿ فَأَتَاهَا بِهِ ﴾ أي: سقطَ بالباني .

﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ يريدُ: بناءُ هذا المسجدِ الضُّرارِ كالبناءِ على شفيرِ جهنَّمَ
يتهورُ بأهلها فيها .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ إلى ما فيه نجاتهم، المعنى: أفمنُ أسَّسَ
دينه على أثبتِ القواعدِ، وهو الإيمانُ خيرٌ، أم مَنْ أسَّسه على أضعفِ
القواعدِ، وهو الكفرُ، فيسقطُ صاحبه في النار؟ ورُوي أنه حُفِرَتْ بقعةٌ في
مسجدِ الضُّرارِ، فرئي الدخانُ يخرجُ منها^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)،
و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٥٦-٥٥)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٣/٤٣-٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/٣٢)، عن قتادة.

﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ .

[١١٠] ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ ﴾ يعني : المنافقين البائنين للمسجد، ومن شركهم في غرضهم، وقوله : ﴿ الَّذِي بَنَوْا ﴾ تأكيد وتصريح بأمر المسجد ورفع الإشكال .

﴿ رِيبَةً ﴾ شكاً ونفاقاً ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يحسبون أنهم كانوا في بنائه مُحسنين، ولما هدمه ﷺ، ازدادوا تصميمًا على النفاق .

﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي : لا تفارقهم الريبة حتى تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار . قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وخلف : (إلا) بتشديد اللام على أنه حرف استثناء (تُقَطَّعَ) بضم التاء وبناء الفعل للمفعول، وقرأ ابن عامر، وحمزة، وعاصم برواية حفص، وأبو جعفر : (إلا) بالتشديد كما تقدم (تُقَطَّعَ) بفتح التاء؛ أي : تتقطع، وقرأ يعقوب : (إلى) بتخفيف اللام، فجعله حرف جر (تُقَطَّعَ) بفتح التاء كابن عامر ومن وافقه، ورؤي عنه أيضاً : بضم التاء خفيف من القطع^(١) .

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بِنِيَّاتِهِمْ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما أمر بهدم بنائهم .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٤٤-٤٥) .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١١١] ولما بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة أن يعبدوا الله، ولا يُشركوا به شيئاً، وأن يمنعوه ما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم، ولهم إن وفوا بذلك الجنة، فقبلوا وقالوا: لا نقيلاً ولا نستقيلاً، نزل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(١) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَيَقْتُلُونَ) بتقديم المفعول على الفاعل على معنى قُتِلَ بعضهم، وقاتل الباقي منهم، وقرأ الآخرون بتقديم الفاعل^(٢).

﴿وَعَدًا عَلَيْهِ﴾ مصدرٌ مؤكَّدٌ ﴿حَقًّا﴾ صفته، المعنى ما وُعدوا به حقٌّ ثابت ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ فيه دليلٌ على أن الجهاد كان في شريعة من تقدَّما.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ استفهامٌ على جهة التقرير؛ أي: لا أحدٌ أوفى بعهدِهِ من الله.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٥/١١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٨٨٦/٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«تفسير البغوي» (٣٢٩/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦-٤٧/٣).

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا ﴾ فافرحوا ﴿ يَبْيَعُكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ فإنه أوجب لكم عظامَ المطالب ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: إنه الحصولُ على الحظِّ الأغبط .

﴿ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْفَكِّحُونَ الرَّكْعُونَ
السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢) .

[١١٢] ﴿ التَّائِبُونَ ﴾ رفعٌ على المدح؛ أي: هم التائبون، والمرادُ بهم: المؤمنون المذكورون الذين تابوا من الشرك .

﴿ الْعَبِيدُونَ ﴾ المخلصون العبادَةَ لله تعالى .

﴿ الْحَمِيدُونَ ﴾ في السَّراءِ والضَّراءِ .

﴿ الْفَكِّحُونَ ﴾ الصائمون؛ سُمُّوا بذلك لتركهم اللذاتِ؛ المطعمَ والمشربَ والمنكحَ، في الحديث: «سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ»^(١) .

﴿ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ ﴾ في الصلاة .

﴿ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمان .

﴿ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الشرك، وتقدَّمَ تفسيرُ المعروفِ والمنكرِ في السورة .

﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ القائمون بأوامره .

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني: هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل .

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٧٠٥): لم أقف عليه .

﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣).

[١١٣] رُوي أن أبا طالبٍ لما حضرته الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، فوجدَ عنده أبا جهلٍ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: «أَيُّ عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فقال أبو جهلٍ وعبد الله بن أبي أمية: أترغبُ عن ملّة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالبٍ آخرَ ما كلّمَهُم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحَ عَنْكَ»، فأنزل الله تعالى:

﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ معه^(١).

﴿ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾^(٢) بأن ماتوا كفار.

﴿ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤).

[١١٤] ثم بينَ عذرَ إبراهيمَ في الاستغفارِ لأبيه فقال: ﴿ وَمَا كَانِ

(١) «معه» زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (١٢٩٤)، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ومسلم (٢٤)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه.

أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ ﴿ قَرَأَ هِشَامٌ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ : (أَبْرَاهَامَ) بِالْأَلْفِ (١) .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ ﴿بِقَوْلِهِ﴾ ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾
[الممتحنة: ٤] لَا طَلِبَنَّ مَغْفِرَتَكَ بِالتَّوْفِيقِ لِلْإِيمَانِ .

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ﴾ ﴿أَيُّ﴾ : ظَهَرَ لِإِبْرَاهِيمَ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ أَنَّ آزَرَ .
﴿عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ ﴿لَمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ﴾ ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ﴿أَضْرَبَ عَنْ الْإِسْتِغْفَارِ لِأَيِّهِ﴾
فِي الدُّنْيَا .

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ ﴿مُتَأَوِّهٌ تَضَرُّعًا﴾ ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿صَفْوَحٌ عَمَّنْ نَالَهُ بِسَوْءٍ﴾ .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ .

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ ﴿أَيُّ﴾ : لِيَسْمِيَهُمْ ضَلَالًا ،
وَيُؤَاخِذَهُمْ مُؤَاخِذَتَهُمْ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾ ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ .

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿خَطَرًا مَا يَجِبُ اتَّقَاؤُهُ ، الْمَعْنَى : مَا كَانَ﴾
لِيُحْكَمَ بَضَلَالٍ مِنْ اسْتِغْفَرَ لِلْمُشْرِكِينَ قَبْلَ النَّهْيِ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَأْتُونَ ،
فَإِذَا بَيَّنَّ ، وَلَمْ يَأْخِذُوا بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَحِقُّونَ الضَّلَالَ .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿فَيَعْلَمُ أَمْرَهُمْ فِي الْحَالِينَ﴾ .

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٨) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦) .

[١١٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يحكم ما يشاء ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ تقدّم تفسيره في السورة .

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧) .

[١١٧] ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ ﴾ أي : تجاوزَ وصفَ .

﴿ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ مِنْ إِذْنِهِ لِلْمُنَافِقِينَ فِي التَّخَلُّفِ .

﴿ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ فيما ندموا
على الخروج ؛ لما قاسوا . قرأ أبو جعفر : (العُسْرَةُ) بضم السين ، والباقون :
بالإسكان^(١) ، والمراد : وقت العسرة ، وليس المراد ساعة بعينها ، والمراد :
الذين اتبعوه في غزوة تبوك ، ويسمى جيش العسرة ؛ لقلة الظَّهر ، كان
العشرة يُعْتَقَبُونَ على البعير الواحد ، والزاد والماء وشدة الحر ، حتى كادت
أعناقهم تنقطع عطشاً ، ومنهم من نحرَ بغيره واعتصرَ ماءً فرثه ، وجعلَ فرثه
على صدره .

﴿ مِن بَعْدِ مَا كَادَ ﴾ هَمْ ﴿ يَزِيغُ ﴾ تميلُ .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِيَاطِي (ص : ٢٤٥) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٤٩ / ٣) .

﴿قُلُوبٌ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن الثبات على الإيمان، أو اتباع الرسول. قرأ حمزة، وحفص عن عاصم: (يزيغ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث^(١).

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير لتأكيد التوبة ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (رؤوف) بالإشباع حيث وقع على وزن فعول، والباقون: بالاختلاس على وزن فعل^(٢)، والرافة: أشد الرحمة.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١١٨).

[١١٨] ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ عن غزوة تبوك هم: كعب بن مالك الشاعر، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وملخص القصة: أن غزوة تبوك تسمى: غزوة العُسرة؛ لوقوعها في زمن الحر، والبلاد مجدبة، والناس في عسرة، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة، فأنفق أبو بكر جميع ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة، وسار النبي ﷺ إلى تبوك، واستخلف علياً رضي الله عنه، فقال علي: أتخلفني في الصبيان

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٤٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٥٠).

والنساء؟! قال: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟! إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»^(١)، وتَخَلَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْمُنَافِقِ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، وَتَخَلَّفَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ^(٢)، وَهُمْ: كَعْبٌ وَمِرَارَةُ وَهَلَالٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذْرٌ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِتَبُوكَ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ لَمْ يَجَاوِزْهَا، وَكَانَ إِذَا قَدَّمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ، وَكَانُوا بَضْعَةَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ جَاءَهُ كَعْبٌ، وَكَانَ تَقَدَّمَ مِرَارَةً وَهَلَالٌ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ تَخَلُّفِهِمْ، فَاعْتَرَفُوا أَنْ لَا عَذْرَ لَهُمْ، فَأَمَرَهُمْ بِالْمَضِيِّ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ، وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِهِمْ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَهُمُ النَّاسُ، فَلَبِثُوا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، قَالَ كَعْبٌ: فَبَيْنَا أَنَا أُسِيرُ فِي سَوْقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيُّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مَمَّنْ قَدَّمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي، دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَأَقْصَاكَ، وَلَسْتُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مُضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ، فَقُلْتُ: هَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ، فَسَجَرْتُ النَّتُورَ وَأَحْرَقْتُهُ، وَلَمَّا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، أَمَرَهُمْ

(١) رواه البخاري (٤١٥٤)، كتاب: المغازي، باب: غزوة تبوك، ومسلم (٢٤٠٤)،

كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -،

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

(٢) في «ش»: «الأصحاب».

النبي ﷺ باعترالِ نسائهم، وجاءت امرأة هلالِ رسولِ الله ﷺ تستأذنه في خدمته، فأذن لها من غير أن يقربها، فلما كملت لهم خمسون ليلةً من حين نهى رسولُ الله ﷺ عن كلامهم، آذن رسولُ الله ﷺ بتوبةِ الله عليهم، وذهب الناسُ يبشرونهم، وجاء كعبٌ إلى النبي ﷺ، فسلمَ عليه، فقال له وهو يبرق وجهه من السرور: «أُبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قال: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قال: «لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وأنزل الله على رسوله عليه السلام:

﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾^(١) أي: برحبها وسعتها.

﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي: قلوبهم من فرط الوحشة والغم. قرأ حمزة: (ضَاقَتْ) بالإمالة^(٢).

﴿ وَظَنُّوا ﴾ أيقنوا.

﴿ أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾ من سخطه ﴿ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ إلا إلى الاستغفاره.

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ ليدوموا على التوبة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ ﴾ لمن تاب ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ متفضلٌ عليهم بالنعيم.

(١) روى قصة كعب بن مالك وصاحبيه: البخاري (٤١٥٦)، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، ومسلم (٢٧٦٩)، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٥٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥١/٣).

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩).

[١١٩] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما لا يرضاه ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ الذين صدقوا في إيمانهم، وصدقوا الله نيةً وقولاً وعملاً، قال كعب: «فو الله! ما أنعم الله عليّ نعمةً قطُّ بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ ألا أكون كذبت فأهلك كما هلك الذين كذبوا؛ فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّاً ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠).

[١٢٠] ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ نهى عبّر عنه بصيغة النفي للتأكيد.

﴿ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا ﴾ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴿ أَي: لا يصونوا أنفسهم عمّا يصيب نفسه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ في سفرهم ﴿ظَمًا﴾ عطشٌ .

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعةٌ .

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا﴾ يدوسون موضعاً .

﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يُغْضِبُهُمْ . قرأ أبو جعفر: (يَطُون) بإسكان الواو (مَوْطِيًا) بنصب الياء بغير همز فيهما وشبهه حيث وقع ^(١) .

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا﴾ أسراً وقتلاً وهزيمةً .

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ إلا استوجبوا به الثواب .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم .

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ .

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ تمرّة ونحوها ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ كنفقة عثمان في جيش العسرة .

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرهم في الغزو في الذهاب والمجيء .

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بذلك .

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لام قسم تأكيد، تقديره: والله ليجزيَنَّهُمُ اللهُ،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٩٦-٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٥٢) .

فحذفتِ النونُ استخفافاً، وكسرت اللامُ وكانت مفتوحة، فأشبهت في اللفظ لامَ (كي) فنصبوا بها^(١) كلامَ (كي).

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [١٢٢]

[١٢٢] ولما أنزل الله عز وجل عيوبَ المنافقين في غزوةِ تبوك، كان النبي ﷺ يبعثُ السرايا، فكان المسلمون ينفرون إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده، فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾^(٢) نفياً بمعنى النهي.

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ أي: فحينَ لم يكنْ نفيراً للكافة، فهلاً نفَرَ من كلِّ فرقةٍ بعضها، ويبقى مع النبيِّ جماعةٌ.

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ أي: الباكون مع رسولِ الله ﷺ.

﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ النافرينَ ويعلموهم القرآنَ.

﴿ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ وفيه دليلٌ على أن التفقّهَ والتذكيرَ من فروضِ الكفايةِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ولا يعملون بخلافه.

قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(٣).

(١) في «ت»: «به».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (١٥٠).

(٣) رواه البخاري (٧١)، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، =

وقال ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(١).

وقال ﷺ: «فَقِيَهُ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَنِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٢٣).

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَنِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ وهو عامٌ

في قتالِ الأقربِ فالأقربِ.

﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شِدَّةٌ عليهم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرِ.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١٢٤).

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿مَن يَقُولُ﴾ بعضهم

لبعضٍ ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا﴾ يقيناً وتصديقاً.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا﴾ بزيادةِ العلمِ الحاصلِ.

= ومسلم (١٠٣٧)، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، عن معاوية - رضي الله عنه -.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -، وقال: غريب.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال: غريب، وابن ماجه (٢٢٢) في المقدمة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون؛ لأنه سبب لزيادة كمالهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ
وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٢٥).

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كُفِّرَ إِلَى كَفَرِهِمْ، فعند نزول كل سورة ينكرونها، فيزداد كفرهم.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه.

﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا
يُتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٢٦).

[١٢٦] ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب: (تَرَوْنَ) بالتاء والخطاب
للمؤمنين، والباقون: بالغيب على خبر المنافقين^(١).

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يُبْتَلَوْنَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالمرض
وغيره.

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَّعِظُونَ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)،
و«تفسير البغوي» (٣٤٦/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٥٣).

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٢٧).

[١٢٧] ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها عيبُ المنافقين ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ عندَ تعريضِ النبي ﷺ بنفاقهم يريدون الهرب يقولون:

﴿ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ من المؤمنين إن قمتم من المسجد.

﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا ﴾ عن مكانهم خارجين ﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ عن الهدى، وهو يحتملُ الإخبارَ والدعاء، ذلك:

﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ لسوء فهمهم، والفقه لغة: الفهم، وهو إدراكُ معنى الكلام، وشرعاً: معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال العباد.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «لا تقولوا إذا صليتم: انصرفنا من الصلاة، فإن قوماً انصرفوا، فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قد قضينا الصلاة» (١).

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨).

[١٢٨] عن أبي - رضي الله عنه - أن آخرَ ما نزل: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم عربيٌّ مثلكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آباءه من لدن آدم سفاح، كلهم نكاح. قرأ أبو عمرو، وحمزة،

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، والطبري في «تفسيره» (٧٥/١١).

والكسائي، وخلف وهشام: (لَقَدْ جَاءَكُمْ) بإدغام الدال في الجيم، والباقون: بالإظهار^(١)، وتقدم في سورة البقرة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديدٌ عليه عنتكم؛ أي: مشقتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ حتى لا يخرج أحدٌ منكم عن اتباعه.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومعنى رؤوف: مبالغٌ في الشفقة^(٢)، وتقدم اختلاف القراء في رؤوف عند قوله: ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩).

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافي وناصري.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ واعتمدت، فلا أرجو غيره.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وخصَّ العرش بالذكر إذ هو أعظم المخلوقات، فيدخل فيه ما دونه إذا ذكره، وهاتان الآيتان لم توجدا حين جمع المصاحف إلا في حفظ خزيمة بن ثابت، فلمَّا جاء بهما، تذكَّرهما كثيرٌ من الصحابة، وقد كان زيدٌ يعرفهما، ولذلك قال: «فقدتُ آيتين من

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٦)، وتقدم في البقرة الآية (٩٢).

(٢) عند تفسير الآية (١١٧) من هذه السورة.

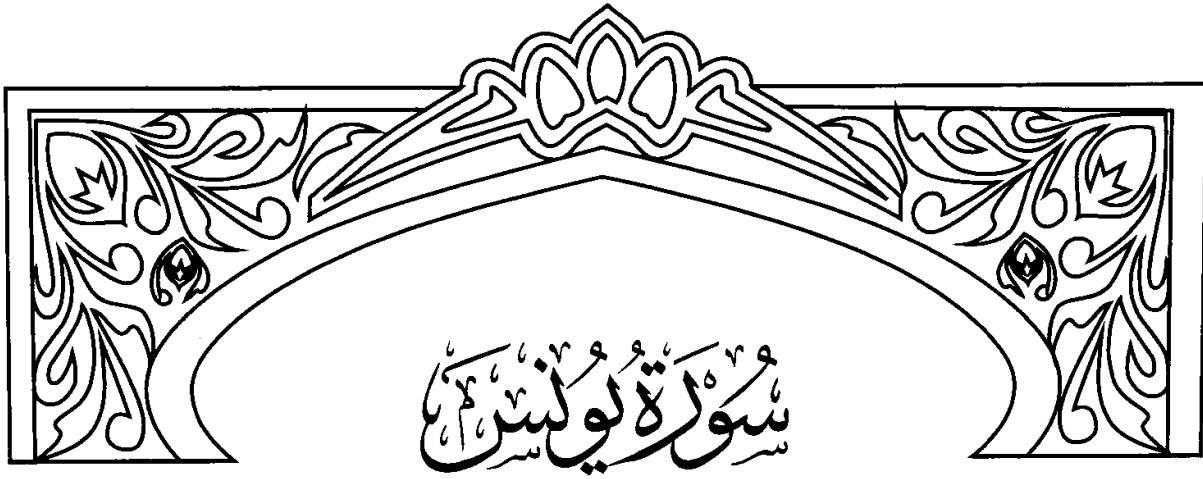
آخرِ سورة التوبة»^(١)، ولو لم يعرفهما، لم يدرِ هل فقد شيئاً أم لا، فإنما أُثبت الآيتان بالإجماع لا بخزيمة وحده.

وروي أنَّ رسولَ الله ﷺ عاشَ بعدَ نزولها خمسةً وثلاثين يوماً، والله أعلمُ.

* * *

١

(١) انظر القصة في: «صحيح البخاري» (٤٤٠٢)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾.



مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ من قوله ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، وأيُّها مئةٌ وتسعُ آياتٍ ، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وخمسةُ مئةٍ وسبعةُ وستونَ حرفاً ، وكلمُها ألفٌ وثمانُ مئةٍ واثنانِ وثلاثونَ كلمةً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ .

[١] ﴿الرَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ والضَّحَّاكُ : معناه : أنا اللهُ أرى^(١) ، وتقدَّم الكلامُ في حروفِ الهجاءِ أولَ سورةِ البقرةِ . قرأ أبو جعفرٍ بتقطيعِ الحروفِ على أصلِهِ ، وأمالَ الراءَ هنا وفي سورةِ هودٍ ويوسفَ والرعدِ وإبراهيمَ والحِجْرِ ، أبو عمرو ، وابنُ عامرٍ ، وحمزةٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ ، ورواها الأزرَقُ عن ورشٍ بينَ اللفظينِ ، والباقونَ : بالفتح^(٢) .

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الكتابِ المتقدمة ؛ أي إنها في القرآنِ معنى ﴿آيَاتُ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٩/١١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٢٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٠) ، و«تفسير البغوي» (٣٤٩/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٤١-٢٤٢ ، ٢/٦٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٥٧) .

الْكِتَابِ ﴿الْقُرْآنِ﴾ الْحَكِيمِ ﴿الْمَحْكَمِ﴾ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ .

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ .

[٢] لما بعث الله محمداً ﷺ، أنكر المشركون نبوته، وتعجبوا من ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فنزل:

﴿ أَكَانَ ﴾ ^(١) استفهامٌ إنكاريٌّ ﴿ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ العَجَبُ: حالةٌ تعتري الإنسان من رؤية شيءٍ على خلافِ العادة، و(عجباً) خبرٌ كان، واسمها:

﴿ أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾ المعنى: أعجب أهل مكة من إيحائنا؟

﴿ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: محمداً ﷺ .

﴿ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أعلمهم مع التخويف .

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ عملٌ صالحٌ قدّموه .

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ وأضيفَ القدمُ إلى كذا في الأصل، والصواب: عملاً صالحاً الصديق وهو نعتُهُ؛ كقولهم: مسجدُ الجامع، و(حب الحصيد)، قال أبو عبيدة: كل سابقٍ من خيرٍ أو شرٍّ فهو عند العربِ (قدّم) يقال: لفلانٍ قدمٌ في الإسلام ^(٢) .

﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ،

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٠).

والكسائي، وخلف: (لَسَاحِرٌ) بـألفٍ بعد السين، وكسرِ الحاء، والمراد: النبي ﷺ، وقرأ الباقون: بكسر السين وإسكانِ الحاء من غير ألف، والمراد: القرآن^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التي هي أصول الممكنات.
﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ بلا كيف، تقدّم الكلام فيه في سورة الأعراف.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي أمرَ الخلائق برزقهم في الدنيا، وحسابهم في الأخرى.

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ يشفعُ لأحد.
﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ردَّ على من زعمَ أن الآلهة تشفعُ لهم عند الله، وإثباتُ الشفاعةِ لمن أذن له.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ﴾ الموصوفُ بتلك الصفاتِ ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا شريك له.
﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٨).

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تذكرون) بتخفيف الذال حيث وقع، والباقون بالتشديد^(١).

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ لا إلى غيره ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾ صدقاً، لا خلف فيه، نُصِبَ على المصدر؛ أي: وَعْدًا حَقًّا. ﴿ إِنَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ﴾ أي: يخلقه ابتداءً.

﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ مَيْثًا ثم حَيًّا للجزاء. قرأ أبو جعفر: (أنه) بالفتح على معنى لأنه، والباقون: بكسر الألف على الاستئناف^(٢).

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ماء حار قد بلغ نهاية الحرِّ. ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفرهم.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي

(ص: ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٥٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٨٢).

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ بالنهار، وقرأ قبل عن ابن كثير (ضِيَاءً) بهمزتين بينهما ألفٌ، والباقون بياء مفتوحة بعد الضاد^(١).

﴿ وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ بالليل؛ أي: خلق الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، والضياء أقوى من النور.

﴿ وَقَدَرَهُ ﴾ أي: القمر، قدر سيره.

﴿ مَنَازِلَ ﴾ لأن بالقمر يُعرف انقضاء الشهور والسنين، لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسمائها: الشُّرُطَيْنِ، والبُطَيْنِ، والثُّرَيَّا، والدَّبْرَانِ، والهَقْعَةُ، والهَنْعَةُ، والذَّرَاعُ، والنَّثْرَةُ، والطَّرْفُ، والجَبْهَةُ، والزَّبْرَةُ، والصَّرْفَةُ، والعَوَاءُ، والسَّمَاءُ، والغَفَرُ، والزَّبَانِي، والإكْلِيلُ، والقلب، والشَّوْلَةُ، والنَّعَائِمُ، والْبَلْدَةُ، وسعدُ الذَّابِحِ، وسعدُ بَلْعٍ، وسعدُ السَّعُودِ، وسعدُ الأَخْبِيَةِ، وفرعُ الدُّلُو المَقْدَمِ، وفرعُ الدُّلُو المؤخَّرِ، وبطنُ الحوتِ ويسمَّى الرِّشَاءَ، وهذه المنازلُ مقسومةٌ على البروجِ، وهي اثنا عشرَ برجاً: الحملُ، والثورُ، والجوزاءُ، والسرطانُ، والأسدُ، والسنبلةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقوسُ، والجديُّ، والدلوُ،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٥٩).

ويسمى: الدالي، والحوث فكلُّ برجٍ منزلانٍ وثلاثٌ، ينزلُ القمرُ كلَّ ليلةٍ منزلاً منها، ويستترُ ليلتين إن كان الشهرُ ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين، فليلةٌ واحدةٌ، فيكونُ انقضاءُ السنةِ مع انقضائها.

﴿لِنَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ حسابَ الأشهرِ والأيامِ.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكورَ.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالحكمةِ البالغةِ، ولم يخلقه عبثاً.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ (يُفَصِّلُ) بالياء؛ لقوله (ما خَلَقَ اللهُ)، وقرأ الباقر: بالنون على التعظيم^(١).

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من أنواع الكائنات ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ لأن المتقين هم المنتفعون بالتفكر في خلق الله تعالى.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٣٥٧/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٨٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٠/٣).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ [٧]

[٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ لا يتوقعونه لإنكارهم البعث .

﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فاختاروها .

﴿ وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ سكنوا إليها سكونَ مَنْ لا يُزَعَجُ .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا ﴾ أدلَّتْنا ﴿ غَافِلُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها .

﴿ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٨]

[٨] ﴿ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [٩]

[٩] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ أي : يسدّدهم بسبب إيمانهم إلى سلوكٍ سيّيلٍ يؤدّي إلى الجنة .

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ أي : بين أيديهم ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ .

﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٠]

[١٠] ﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا ﴾ أي : دعاؤهم ؛ لأن (اللَّهُمَّ) دعاء .

﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ عمّا لا يليق بعظمتك وجلالك .

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ أي: يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام.

﴿ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ ﴾ بعد التسبيح.

﴿ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يريد: يفتحون كلامهم بالتسبيح، ويختتمونه بالتحميد.

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١).

[١١] ولما استعجل المشركون العذاب، نزل: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ ﴾ أي: تعجلاً مثل استعجالهم.

﴿ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ﴾ قرأ ابن عامر، ويعقوب: (لَقَضَى) بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً (أَجَلُهُمْ) نصب، المعنى: لأماتهم الله، وقرأ الباكون: بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (أَجَلُهُمْ) بالرفع مجهولاً^(١)؛ أي: وعجلنا لهم ما دعوا به من الشر كما نعجل لهم ما طلبوا من الخير، لهلكوا، تلخيصه: لا يفعل إلا ما يريد.

﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ لا يخافون البعث.

﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ إمهالاً لهم واستدراجاً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣-٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٦١).

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ
ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِۦٓ﴾ أي: على جنبه .
﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ المعنى: دعانا في جميع حالاته، لأن الإنسان لا بد
له من اضطجاع أو قيام أو قعود .

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ دفعنا ﴿عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ﴾ مضى ونسي ما كان فيه من البلاء .
﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُۥ﴾ واستمر على طريقته الأولى قبل أن
يمسه الضر .

﴿كَذَٰلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الدعاء عند البلاء، وترك
الشكر عند الرخاء .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ .

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة .

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالتكذيب .

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالشواهد الدالة على صدقهم . قرأ
أبو عمرو: (رُسُلُهُم) بإسكان السين، وكذلك (رُسُلْنَا) حيث وقع،
والباقون: بضم السين^(١) .

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ عطفٌ على (ظَلَمُوا) ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : كما أهلكتناهم بكفرهم ﴿ نَجْزِي ﴾ نُهْلِكُ ﴿ الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤) .

[١٤] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ ﴾ أي : خلفاء ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ خطابٌ للذين بُعث إليهم ﷺ ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد المهلكين .

﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فنعالمكم على مقتضى أعمالكم .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُتْلَىٰ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥) .

[١٥] ولما كان القرآنُ ينزلُ بدمِّ الأصنام وعابديها، قالوا للنبي ﷺ : إن كنتَ تريدُ أن نؤمنَ بك، فأتِ بقرآنٍ غيرِ هذا لا تُدْخِلُ فيه آلهتنا، فنزل : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ (١) يعني : المشركين .

= (ص : ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٢) .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٤ -

﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ بكتابٍ آخرَ ليسَ فيه ما نكرهُ من معائبِ الهتنا .
قرأ ابن كثيرٍ (بِقُرْآنٍ) و(الْقُرْآن) كيفَ أتى بالنَّقل^(١) .

﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾ غَيْرُهُ فاجعلَ مكانَ آيةِ رحمةِ آيةِ عذابٍ ، وبالعكس .

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمدُ : ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ما ينبغي لي ولا يجوزُ .

﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ أي : من عندها .

﴿إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ فيما أمركم به ، وأنهاكم عنه .

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يومُ
القيامة . قرأ الكوفيون ، وابنُ عامر ، ويعقوبُ : (لي أن) (نَفْسِي إِنْ) (إِنِّي
أَخَافُ) بإسكانِ الياءِ في الثلاثة ، ووافقهم ابنُ كثيرٍ في (نَفْسِي) ، والباقون ،
وهم نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، وأبو عمروٍ : بالفتح ، ووافقهم ابنُ كثيرٍ في (لِي)
و(إِنِّي)^(٢) .

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني : لو شاء ، ما أنزلَ القرآنَ

عليَّ .

(١) تقدمت هذه القراءة عند تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٠) ، و«التيشير» للداني (ص :

١٢٣-١٢٤) ، و«الكشف» لمكي (١/٥٢٣) ، و«معجم القراءات القرآنية»

(٣/٦٢) .

﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ قرأ ابن كثير برواية قبل: (ولأدراككم) بالقصر على الإيجاب؛ أي: ولأعلمكم به على لسان غيري، ولكنه من علي بالرسالة، وقرأ الباقون: بإثبات الألف على أنها (لا) النافية^(١)؛ أي: ولا أعلمكم به على لساني، ولترككم على كفركم، المعنى: إن الأمر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وورش عن نافع، وأبو بكر عن عاصم: (أدراككم) (أدراك) بالإمالة حيث وقع، واختلف عن ابن ذكوان راوي ابن عامر.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ ظرف؛ أي: مقدار عمر، وهو أربعون سنة.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل نزول القرآن، لا أتלוه، ولا أعلمه.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي.

ولبث النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة، ثم أوحى إليه، فأقام بعد الوحي ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت وفاته يوم الاثنين، وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء، ودُفن في ليلة الأربعاء في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة الشريفة، وكان مرضه ثلاث عشرة ليلة ﷺ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٤). والذي عند البغوي: «ولأدراككم» برواية البزي عن ابن كثير.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعم أن له شريكاً
أولداً .

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ نبوة محمد ﷺ .
﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ لا ينجو المشركون .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ
هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن عصوه .

﴿ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوه ؛ يعني : الأصنام ؛ فإنها جماد لا تقدر على
نفع ولا ضرر .

﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ ﴾ الأوثان ﴿ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا
من أمور الدنيا والآخرة إن يكن بعث .

﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ ﴾ أخبرونه ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ أي : أخبرون الله أن له
شريكاً أو عنده شفيعاً بغير إذنه ، وفيه تقريع وتهكم بهم ، والله لا يعلم
لنفسه شريكاً ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ثم نزه نفسه وقدها عن الشرك
فقال :

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:
(تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(١).

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٩﴾.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين الإسلام.
﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ تفرقوا أدياناً مختلفة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ أنه لا يقضي بينهم دون القيامة.
﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء
المحق.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ
فَأَنْتَظِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلاً.
﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ من الآيات التي نقرحها.
﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ هو المحيط بعلمه.

﴿فَأَنْتَظِرُونَ﴾ نزولها ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)،
و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٦٥).

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

[٢١] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ راحة .

﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾ شدة .

﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ بالطعن عليها ، والاحتيال في دفعها . قرأ أبو عمرو : (مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ) بإدغام الدال في الضاد^(١) .

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي : مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة .

﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ قرأ روح عن يعقوب : (يَمْكُرُونَ) بالغيب ، والباقون : بالخطاب^(٢) .

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحِمْلٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ .

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يحملكم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ على الظهور ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن . قرأ أبو جعفر ، وابن عامر : (يَنْشُرُكُمْ) بفتح الياء ونون ساكنة

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٢٤٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٦/٣) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٣٥٧/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢٨٢/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٦/٣) .

بعدها وشين معجمة مضمومة، من النَّشْرِ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام وغيرها، وقرأ الباقون: بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم^(١).

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ السفن، الواحد والجمع سواء ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمُ﴾ أي: السفن بالناس ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة الهبوب ﴿وَفَرَحُوا بِهَا﴾ بتلك الريح. ﴿جَاءَتْهَا﴾ أي: السفن ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب. ﴿وَجَاءَهُمْ﴾ يعني: ركبان السفينة ﴿الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وهو حركة الماء واختلاطه.

﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا، جعل إحاطة العدو بالحيّ مثلاً في الهلاك.

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ دون أوثانهم يقولون: ﴿لَيْنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة ﴿لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك بالإيمان.

﴿فَلَمَّا أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَنْجَلَهُمْ﴾ إجابة لدعائهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ يُفْسِدُونَ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٦-٦٧).

﴿ فِي الْأَرْضِ بَغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ مبطلين فيه .

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي : وبأله راجعٌ عليكم ، ثم ابتداءً

فقال :

﴿ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قراءة العامة : (مَتَاعٌ) بالرفع خبرٌ ابتداءً مضمراً ،

أي : هذا متاعٌ ، المعنى : إنما بغيكم على أمثالكم ، منفعةُ الحياة الدنيا لا بقاءَ لها ، وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ (مَتَاعٌ) بالنصب^(١) ؛ أي : تتمتعون متاعَ الحياة الدنيا في فنائها وزوالها .

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالجزاء عليه .

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أْتَمَّتْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

[٢٤] ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ في زوالها .

﴿ كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ أي : التفَّ واشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً ؛ أي : نبت بالماء من كل لون .

﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ ﴾ من الحبوب والثمار ﴿ وَالْأَنْعَامُ ﴾ من الحشيش .

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ زيتها بالنبات ﴿ وَازَّيَّنَتْ ﴾ بالزهر .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٢٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢١) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٧) .

﴿ وَظَلَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ متمكنون من منفعتها ﴿ أَتْلَاهَا ﴾
 ﴿ أَمَرْنَا ﴾ قضاؤنا ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ شبيهاً بما يُحصدُ من الزرع .
 ﴿ كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ أي : كأن لم تعمر بالزمان الماضي ، والمغاني :
 المنازل .

﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فإنهم هم المنتفعون بها .

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥) .

[٢٥] ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ الجنة لسلامتهم فيها .

﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هو الإسلام ، وتقدم اختلافُ القراء في
 حكم الهمزتين من كلمتين في قوله : (يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) في سورة
 البقرة [الآية : ١١٥] .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ العمل في الدنيا ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة .

﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ النظر إلى وجه الله الكريم .

﴿ وَلَا يَرْهَقُ ﴾ يغشى ﴿ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ غبارٌ ، جمعُ قَتَرَةٍ ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ هوانٌ .
 ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون .

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ أي: لهم مثلها.

﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ مانع.
﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ ﴾ ألبست.

﴿ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ حال، العامل فيها (أغشيت). قرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: (قِطْعًا) بإسكان الطاء؛ أي: جزءاً واحداً، والباقون: بالفتح، جمع قِطْعَةٍ^(١) ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يعني: الفريقين ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ ﴾ أي: اثبتوا مكانكم ﴿ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ ﴾ أي: آلِهَتكم، لا تبرحوا حتى نرى ما يفعل بكم.

﴿ فَزَيَّلْنَا ﴾ فَرَقْنَا ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ بعد اجتماعهم في الموقف، وقطعنا ما كان

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٧٠-٧١).

بينهم من التواصل في الدنيا، وذلك حين تبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده.

﴿ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ ﴾ يعني: الأصنام.

﴿ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ بطلبتنا، فيقولون: بلى، كنا نعبدكم، فتقول الأصنام:

﴿ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ ﴾ إيانا.

﴿ لَغَافِلِينَ ﴾ ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل.

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣٠).

[٣٠] قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ﴾ في ذلك اليوم ﴿ تَبْلُوا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تتلو) بتاءين، من التلاوة؛ أي: تقرأ كل نفس صَحِيفَتَهَا، وقرأ الباقون: بالتاء والباء^(١)، من البلوى؛ أي: تختبر، ومعناه: ظهور أثر العمل.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٧٢).

﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ قَدَّمَتْ مِنَ الْعَمَلِ .

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ إِلَى حَكَمِهِ ، فَيَنْفَرُدُ فِيهِمْ بِالْحَكَمِ .

﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ رَبُّهُمْ حَقِيقَةً ، وَالْمَتَوَلَّى جِزَاءَهُمْ .

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُفْتَرُونَ﴾ ضَاعَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ .

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ (٣١) .

[٣١] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ .

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ مَنْ يَسْتَطِيعُ خَلْقَهَا .

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الْإِنْسَانَ مِنَ النُّطْفَةِ ، وَالْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ .

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عَكْسُهُ . قَرَأَ نَافِعٌ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَحَمْزَةُ ،

وَالْكَسَائِيُّ ، وَخَلْفٌ ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ : (الْمَيِّتُ) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ ،
وَالْبَاقُونَ : بِالتَّخْفِيفِ (١) .

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يَقْدَرُهُ وَيَقْضِيهِ .

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْعِنَادِ فِي

ذَلِكَ .

﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : ﴿أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ عِقَابُهُ فَتَسْلَمُونَ .

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٢٤٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٣) .

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴾ (٣٢)

[٣٢] ﴿ فَذَلِكُمُ ﴾ أي : الفَعَالُ لهذه الأشياء .

﴿ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ﴾ الذي لا ريبَ في صِحَّته .

﴿ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ لا واسطةَ بينهما .

﴿ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴾ عن الحقِّ إلى الباطل .

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣)

[٣٣] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : مثل ذلك الحقَّ حَقَّتْ .

﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي : ثَبَّتَتْ ﴿ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ تمرَّدوا في كفرهم .

﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : حقَّ عليهم انتفاءُ الإيمان . قرأ نافعٌ ،

وأبو جعفرٍ ، وابنُ عامرٍ : (كَلِمَاتُ) بالالف على الجمع ، والباقون : بغير ألفٍ على التوحيد^(١) .

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ ﴾ (٣٤)

[٣٤] ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ﴾ أي : معبودِكم .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٢٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٢) ،

و«تفسير البغوي» (٢/٢٦٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٨٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٧٣-٧٥) .

﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ يُنْشِئُهُ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ من بعد الموت، فإن أجابوك، وإلا
﴿قُلْ﴾ أنت: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تُؤَفِّكُونَ﴾ تصرّفون عن الهدى.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَمَّا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ﴾.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾، فإذا قالوا: لا،
ولا بدّ لهم من ذلك.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ يقال: هديته للحقّ وإلى الحقّ، واستعمل هنا
اللغتان.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾ أي: يهتدي. قرأ ابن
كثير، وابن عامر، وورش عن نافع: بفتح الياء والهاء وتشديد الدال،
وأبو جعفر كذلك، إلا أنه بإسكان الهاء، من اهتدى يهتدي، أدغموا التاء
في الدال بعد نقل حركتها مفتوحة إلى الهاء. وقرأ أبو عمرو، وقالون عن
نافع: باختلاس فتحة الهاء تخفيفاً، والتعليل فيه كالذي قبله، وقرأ حمزة،
والكسائي، وخلف: بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، من هدى
يهدي غيره، وقرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: بفتح الياء وكسر الهاء
وتشديد الدال، مبالغة؛ لأنه أدغم التاء في الدال، ولم يُلْقِ حركتها على
الهاء، فاجتمع ساكنان، فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، وروى أبو بكر عن
عاصم: بكسر الياء إتباعاً للهاء مع التشديد، والتعليل فيه كالذي قبله،
ومعنى القراءات كلها واحد.

﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ المعنى : الله الذي يهدي إلى الحقُّ أحقُّ بالاتباع ، أم الصنم الذي لا يهتدي بنفسه إلى مكانٍ ينتقل إليه (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) ؛ أي : يُنقل ؟! ﴿فَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما يقتضي صريحُ العقلِ بطلانه .

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يعتقدون ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي : تقليد آبائهم ، والمراد بالأكثر : جميع من يقول ذلك .

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي : لا يعملُ عمله ، المعنى : لا يقوم الظنُّ مقامَ التحقيق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وعيدٌ على اتباعهم للظنِّ .

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) .

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي : وما كان هذا القرآنُ افتراءً من الخلق .

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي : قبله من الكتبِ المتقدمة .

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي : تبیین أحكامه .

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شك في نزوله من قبل الله تعالى .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ أي : بل يقولون اختلق محمد ﷺ القرآن ، ومعنى الهمزة فيه الإنكار .

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ شبه القرآن في الفصاحة والإعجاز على وجه الافتراء ؛ لأنكم عربٌ مثلي ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ من ^(١) تعبدون .
﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ليعينوكم على ذلك ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أَنْ مُحَمَّدًا اختلقه .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ثم بيّن عجزهم بقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ أي : سارعوا إلى تكذيب القرآن قبل أن يتدبروه ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ أي : ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم .

﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من كفار الأمم الخالية .
﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ أي : آخر أمرهم بالهلاك .

وفي معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس : مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ .

(١) في «ت» : «ممن» .

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي : المكذبين ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِءٍ﴾ سيؤمن بالقرآن .
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءٍ﴾ أبداً .
﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي : من يصرُّ على الكفر ، وهو تهديد له .

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا
بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد ﴿فَقُلْ﴾ تحذيراً : ﴿لِي عَمَلِي﴾ أي :
ثوابُ عملي في التبليغ والإنذار والطاعة لله تعالى .
﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي : جزاؤه من الشُّرك .

﴿أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي : لا يواخذ أحدٌ بذنوب
أحد ، فمن حملها على ظاهرها ، نسخها بآية السيف ، ومن تأولها بالجزاء ،
فثابتة ؛ لأن الجزاء ثم يكون .

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بظواهرهم ، وقلوبهم لا تعي شيئاً مما
تقوله وتتلوه من القرآن ، ولهذا قال :

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يريد : سمع القلب .
﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ظاهره الاستفهام ، ومعناه النفي .

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ تعجباً منك بأبصارهم دون بصائرهم، قيل: نزلت في المستهزئين .

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى﴾ أي: عمى القلب ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ قرنَ عدمَ العقلِ بعدمِ السمعِ، وبعدمِ البصرِ عدمَ الإدراكِ تفضيلاً لحكم الباطنِ على الظاهرِ .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لأنه في جميع أفعاله متفضلٌ وعادلٌ .

﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمخالفة أمرِ خالقهم . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَلَكِنْ) مخففاً (الناس) رفعا، والباقون: بالتشديد والنصب^(١) .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾ وعيدٌ بالحشرِ وخزيهم . قرأ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٧٦-٧٧) .

حفصٌ عن عاصمٍ : (يَحْشُرُهُمْ) بالياء ، والباقون : بالنون^(١) .

﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ يستقصرون مدة لبثهم في قبورهم .

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي : يعرف بعضهم بعضاً عند خروجهم من القبور .

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ أي : بالعرض على الله .

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ في علم الله .

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾^(٤٦) .

[٤٦] ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب .

﴿أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة .

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجزئهم به ، و(ثم) بمعنى الواو ، والمعنى : إن لم تر في أعدائك ما يسرك هنا ، فستراه ثم .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤٧) .

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الماضية ﴿رَّسُولٌ﴾ يُعْثُ إِلَيْهِمْ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٢٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٧) ، و«تفسير البغوي» (٢ / ٣٦٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ٧٧) .

﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل .

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُعَذَّبُونَ بغير حُجَّةٍ تلزمهم .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني : المشركين استهزاء : ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بقيام الساعة .

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ خطابٌ منهم للنبي ﷺ والمؤمنين .

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ لا أقدرُ لها على شيء .

﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي : دفعَ ضررٍ ، ولا جلبَ نفعٍ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أنْ أملكه .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدةٌ معلومةٌ ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ وقتُ فناءِ أعمارهم .

﴿فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فلا تستعجلوا ، فسيحين وقتكم ، واختلافُ القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجْلُهُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ في سورة النساء [الآية : ٥] .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ حين اشتغالكم بطلب معاشكم.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ استفهامٌ معناه التهويل^(١)؛ أي: ما أعظم ما تستعجلون به! وستندمون على الاستعجال وتعرفون خطأه.

﴿أَتُمُّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ ءَالْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾.

[٥١] ﴿أَتُمُّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ يعني: إن أتاكم عذابه ﴿ءَامَنُكُمْ بِهِ﴾ أي: بالله حين لا ينفعكم الإيمان ﴿ءَالْتَنَ﴾ تؤمنون؟ استفهامٌ توبيخ.

﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء. قرأ نافع، وأبو جعفر: (الآن) بفتح اللام من غير همز، والباقون: بإسكان اللام وهمزة بعدها، وأجمعوا على مدِّ (الآن) لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل لتفرّق بين الاستفهام والخبر، وأجمعوا على عدم تحقيقها لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداءً، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كلفيته، فقال كثيرٌ منهم: تبدل ألفاً خالصةً، وقال آخرون: تُسهّل بين بين، وكذا الحكم في (الآن وقد عصيت) وفي: (قل الله أذن لكم)^(٢).

(١) «التهويل» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» =

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بالشرك توبيخاً لهم : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ المؤلم على الدوام ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلٌ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ﴾ يستخبرونك .

﴿ أَحَقُّ هُوَ ﴾ العذاب أو البعث ، استفهام استهزاء .

﴿ قُلْ إِي ﴾ أي : نعم ﴿ وَرَبِّي ﴾ تأكيد للقسم . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو : (وَرَبِّي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها ^(١) .

﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ لا شك فيه ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين من العذاب .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ أشركت .

= للدمياطي (ص : ٢٥٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ٧٨) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٤) ،

و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٥٢) ، و«معجم القراءات القرآنية»

(٣ / ٨٠) .

﴿ مَا فِي الْأَرْضِ ﴾ جميعاً .

﴿ لَا قَدَّتْ بِهِ ﴾ بَذَلَتْهُ فِي مَقَابِلَةِ نَجَاتِهَا .

﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ أَخَفَوْهَا عَنْ أَتْبَاعِهِمْ خَوْفًا مِنْ مَلَامَتِهِمْ ، وَقِيلَ :
معناه : أظهروها ؛ لأنه ليسَ بيومِ تَصَبُّرٍ .

﴿ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ وهذا : قبلَ الإحراقِ بالنارِ ، فإذا وقعوا فيها ، ألْهَتْهُمْ
عَنِ التَّصَنُّعِ .

﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ أي : بين الرؤساءِ والسَّفَلَةِ ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بِالْعَدْلِ .

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ليسَ تَكْريراً ؛ لأنَّ الأوَّلَ قِضَاءٌ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَكْذِبِيهِمْ ،
وَالثَّانِي مَجَازَاةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الشَّرْكِ .

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ فلا مانعَ يَمْنَعُهُ
مِنْ إِنْفَازِ مَا وَعَدَهُ ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذَلِكَ .

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوبُ : (تَرْجَعُونَ) بفتح
التاء وكسر الجيم ، والباقون : بضمِّ التاء وفتح الجيم^(١) .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِيَاطِي (ص : ٢٥٢) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٣ / ٨٠) .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ كتابٌ فيه بيانٌ ما يجبُ لكم وعليكم .

﴿ وَشِفَاءٌ ﴾ دواءٌ ﴿ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ من العقائدِ الفاسدةِ ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالةِ ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ خصَّهم ؛ لأنهم المنتفعون بالإيمان .

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ الإسلام ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ .
قرأ رويسٌ عن يعقوبَ : (فَلْتَفْرَحُوا) بالخطابِ للمؤمنين ، والباقون : بالغيب ؛ أي : ليفرح المؤمنون^(١) .

﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من حُطامِ الدنيا . قرأ أبو جعفرٍ ، وابنُ عامرٍ ، ورويسٌ عن يعقوبَ : (تَجْمَعُونَ) بالخطابِ على معنى : فلتفرحوا أيها المؤمنون ، فهو خيرٌ مما تجمعون أيها المخاطبون ، وقرأ الباكون : بالغيب^(٢) ؛ أي : خير مما يجمعه الكفار ، وقيل : الخطابُ في (تجمعون) للكافرين .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٢٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٢) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١-٨٢) .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ
ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لكفارٍ مكَّةَ : ﴿ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ
رِزْقٍ ﴾ أي : خلقَ من زروعٍ وضروعٍ .

﴿ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾ هو ما حرَّموا من الأنعام ؛ كالبحيرة ،
والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

﴿ قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ في هذا التحريم والتحليل ؟ وتقدَّم قريباً الكلامُ
في همزة الاستفهام في قوله تعالى : (اللهُ أَذِنَ لَكُمْ) .
﴿ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ تتكذبون بنسبة ذلك إليه .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِبَّاءَ اللَّهِ لَذُو
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي : وأيُّ شيءٍ
ظنُّهم يُصنَعُ بهم يوم القيامة ؟ أيحسبون ألاَّ يجاوزوا عليه ؟

﴿ إِبَّاءَ اللَّهِ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ بامهالهم وقبولِ توبتهم .
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أنعمه عليهم .

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا
كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمرٍ، وأصله الهمزُ بمعنى القصد، شَأْنُ شَأْنُهُ: قَصْدُهُ.

﴿وَمَا تَلْتَلُوا مِنْهُ﴾ من الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ نزل، ثم خاطبه وأُمَّتُهُ فقال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ وأُضْمِرَ ﷺ قبل الذكر تفضيلاً له، ثم جُمع مع أُمَّتِهِ تفضيلاً لهم.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ مُطَّلَعِينَ.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تخوضون في العمل.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ قرأ الكسائي: بكسر الزاي، والباقون: بالضم^(١)، ومعناها: يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالٍ﴾ أي: وزن ثقل ﴿ذَرَّةٍ﴾ وهي النملة الحميراء الصغيرة.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الوجود، وتقديم الأرض؛ لأنَّ الكلام في حال أهلها.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من الذرة ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، وخلف: (وَلَا أَصْغَرَ) (وَلَا أَكْبَرَ) برفع الراء فيهما عطفاً على موضع (مِنْ) ومعمولها؛ لأنَّ موضعه رفعٌ بـ(يعزبُ)، وقرأ الباكون: بالنصب عطفاً على الذرة في الكسر، وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢-١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٣-٨٢/٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوحُ المحفوظ .

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ هم الذين والوه بالطاعة والعبادة، وتولاهم بالكرامة .

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، وإلا فهم أشدُّ خوفاً وحزناً في الدنيا من غيرهم .

ورُوي عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ : مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ فقال : «الَّذِينَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللَّهَ»^(١) .

قال ابنُ عطية رحمه الله : وهذا وصفٌ لازمٌ للمتقين ؛ لأنهم يَخْشَعُونَ وَيَتَخَشَّعُونَ^(٢) .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ هذه صفةُ أولياءِ الله تعالى .

= (٢/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٣) .

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث

المختارة» (١٠/ ١٠٨)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٢) انظر : «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ١٢٨) .

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يُشَاءُ ۚ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٦٤]

[٦٤] ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ هي الرؤيا الصالحة يراها الإنسان، أو ترى له ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ الجنة والرضوان.

﴿ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يُشَاءُ ۚ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ لا خُلفَ لمواعيده، والتبديلُ: تغييرُ الشيء عن حاله ﴿ ذَلِكَ ﴾ التبشير ﴿ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٦٥]

[٦٥] ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال: ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ ﴾ يا محمد. ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ تكذيبهم؛ يعني: المشركين، تم الكلام هاهنا، ثم ابتداء فقال:

﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ ﴾ القدرة ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، فهو يقهرهم وينصرُك عليهم.

﴿ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأعمالهم.

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [٦٦]

[٦٦] ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ من الملائكة

وَالثَّقَلَيْنِ، يَحْكُمُ بِمَا^(١) يَرِيدُ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة، فإنَّ شركة الله في الربوبية مُحَالٌ.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: ظَنُّهُمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. واختلافُ القراء في الهمزتين من (شُرَكَاءِ إِنْ) كاختلافهم فيهما من (شُهَدَاءِ إِذْ) في سورة البقرة [الآية: ١٣٣]. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [٦٧].

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: مع أزواجكم وأولادكم لزوال التعب، والسكون: الهدوء عن اضطراب. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يُبَصِّرُ فِيهِ مُطَالِبُ الْأَرْزَاقِ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبُّر واعتبار.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٦٨].

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هو قولهم: الملائكة بناتُ الله.

(١) في «ت» و«ن»: «ما».

﴿سَبِّحْنَاهُ﴾ تنزيه عن الولد ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عبيداً ومُلُكاً ﴿إِنْ﴾ أي :
ما ﴿عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿بِهَذَا﴾ القول ، ثم نفى عنهم الحجة
بقوله :

﴿أَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ توبيخ على اختلاقهم ، وفيه دليل على
أنَّ كلَّ قولٍ لا برهان عليه فهو جهالة .

﴿قُلْ إِنِّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ﴿قُلْ إِنِّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ باتخاذ الولد وإضافة
الشريك إليه .

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا يفوزون ، وتمَّ الكلام .

﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف ؛ أي : افتراؤهم متاعٌ في
الدنيا ؛ أي : بُلَغَةُ يسيرةٍ بنيلِ رئاستهم ولذتهم ، ثم تزول .

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت .

﴿ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم .

﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١).

[٧١] ﴿وَآتَلْ﴾ أي: اقرأ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أهل مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ وهم ولدُ قابيل بن آدم.

﴿يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ عَظُمَ وَشَقَّ ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ طولُ مكثي بينكم.

﴿وَتَذِكْرِي﴾ تحذيري ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بأدلتِهِ، فعزمتُ على قتلي وطردي.

﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وَثِقْتُ بِهِ ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ قراءة العامة: (فَأَجْمِعُوا) بالقطع وكسر الميم؛ أي: أحكموه.

﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: آلِهَتَكُمْ، وَنُصِبَ (شُرَكَاءَكُمْ) بفعلٍ محذوفٍ تقديره: وادعوا شركاءكم فاستعينوا، بها وقرأ رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (فَأَجْمِعُوا) بوصلِ الهمزة وفتحِ الميم، من الجمع، ووردت عن نافع^(١)، وقرأ يعقوبُ: (وَشُرَكَاءُكُمْ) بالرفع^(٢)؛ أي: فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ في قصدي بالهلاكِ ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ خَفِيًّا، بل جاهِرُوني به ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أمضُوا ما في أنفسكم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣١٤)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٤-٨٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٥).

﴿وَلَا تُنْظِرُونَ﴾ لَا تُؤَخِّرُونَ. أثبت يعقوبُ الياءَ في (تُنْظِرُونِي).
تلخيصُه: اقصِدوا هَلاكي بكلِّ طريقٍ سَريعاً، فلا خَوفَ عَندي؛ لو ثَوقِي
باللَّهِ.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَن تَذْكِيرِي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾ عَلَى ذَلِكَ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جُعِلَ فَتَنَفَرُوا عَنِّي.

﴿إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لَا تَعْلُقْ لَهُ بِكُمْ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر،
وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ (أَجَرِي) بفتح الياءِ، والباقون:
بإسكانها^(١).

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يَأْخُذُونَ الْأَجْرَ عَلَى التَّعْلِيمِ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ اسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِ ﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾

وَكَانُوا ثَمَانِينَ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً﴾ سُكَّانَ الْأَرْضِ خَلَفَاءَ عَنِ الْهَالِكِينَ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٧)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٨٦/٣).

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بِالطُّوفَانِ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾
آخِرَ أَمْرِ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمُ الرُّسُلُ فَلَمْ يُؤْمِنُوا .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي : من بعد نوح .

﴿رُسُلًا﴾ كإبراهيمَ وهودَ وصالحَ ولوطَ وشعيبَ ، وغيرهم .

﴿إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كلُّ رسولٍ إلى قومه .

﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدَّلَالَاتِ الواضحاتِ .

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ فما كانَ إيمانُهُمْ إلا ممتنعاً ؛ لشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ فِي
الكفر ، وتصميمِهِمْ عليه .

﴿بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يريدُ : أنهم كانوا قبلَ بعثةِ الرسلِ أهلَ جاهليةٍ
مكذِّبينَ بالحقِّ ، فما وقعَ فصلٌ بينَ حالتَيْهِمْ بعدَ بعثةِ الرسلِ وقبلَها ، كأنَّ لم
يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ .

﴿كَذَلِكَ﴾ مثلَ ذَلِكَ الطَّبَعِ المحكمِ ﴿نَطْبَعُ﴾ نخْتِمُ ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾
بخذلانِهِمْ ، وفي ذَلِكَ دليلٌ على أن الأفعالَ واقعةٌ بقُدرةِ اللَّهِ تعالى .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا
فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي : بعدَ الرُّسُلِ ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَمَلَايِهِ ﴿يعني: أشراف قومه﴾ بِأَيْنِنَّا ﴿التسع.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتِّبَاعِهَا ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وعرفوه؛
لتظاهر المعجزات ﴿قَالُوا﴾ من فرط تمردهم ﴿إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ﴾ ظاهرٌ.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ تقديرُ الكلام: أتقولون للحقِّ
لما جاءكم: إنه سحرٌ؟ ثم قال منكراً عليهم: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟ فحذف السحرَ
الأولَ اكتفاءً بدلالة الكلام عليه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ المعنى: أَيْكونُ سِحْرًا
وقد أفلح مَنْ جاء به؟! !

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ .

[٧٨] ﴿قَالُوا﴾ فرعون وقومه لموسى عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا﴾
تَضْرِبْنَا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام.


﴿وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ الملكُ في أرضِ مصرَ. قرأ أبو بكرٍ عن

عاصم: (وَيَكُونُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث^(١).

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدّقين. قرأ أبو عمرو: (وَنَحْنُ لَكُمْ) بإدغام النون في اللام^(٢).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ 

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق فيه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَحَارٍ) على وزن فَعَالٍ بتشديد الحاء وألف بعدها، وأمالَ فتحة الحاء الدوري عن الكسائي، وقرأ الباكون: (سَاحِرٍ) على وزن فاعِلٍ والألف قبل الحاء^(٣).

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى الْقَوَامَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ 

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى الْقَوَامَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي: أطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم، وتقدّم ذكرُ القصة في الأعراف.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٨٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٨٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٨٧).

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ ﴾ أي : الذي جئتم ﴿ بِهِ السَّحَرُ ﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو (السَّحَرُ) بالمدَّ على الاستفهام، تقديره: أي شيء جئتم به، أهو السَّحَرُ؟ ويجوز لكل منهما تسهيل الهمزة الثانية بينَ وبين وإبدالها ألفاً خالصةً كما تقدّم في قوله: (آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)، ولا يجوزُ الفصلُ فيه بالألفِ، كما لا يجوز في (آلآنَ)، وقرأ الباقر: (به السَّحَرُ) بهمزة وصلٍ على الخبر، فتسقطُ وصلاً، وتُحذف بالصلة في الهاء قبلها؛ لالتقاء الساكنين^(١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ سيمحّقه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ لا يُقَوِّيه.

﴿ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ ﴾ يُثَبِّتُهُ ﴿ بِكَلِمَتِهِ ﴾ بأوامره ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ذلك.

﴿ فَمَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿ فَمَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ ﴾ لم يصدّقه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٧).

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ﴾ أي : أولادٌ من أولادِ قومه بني إسرائيل .

﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أي : ملأ الذرِّيَّة ؛ فإن ملأ الذرية كانوا من قوم فرعون ، وقيل : الضميرُ لفرعون ، وجمعه لأنه كان عظيماً في نفسه ، فخطب بالجمع .

﴿أَن يَفْنَاهُمْ﴾ يُعَذِّبُهُمْ ، ولم يقل : يَفْتِنُوهُمْ ؛ لأنه أخبر عن فرعون ، وكان قومه على مثل ما كان عليه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالبٌ قاهرٌ .

﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ في الكبرِ حتى ادَّعى الربوبية . رُوي عن يعقوبَ الوقفُ بالياءِ على (لَعَالِي) .

﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ .

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لمؤمني قومه .

﴿يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ ثِقُوا به .

﴿إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ مخلصين له .

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين .

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ موضع فتنة ؛ أي : عذابٍ بعد توبتنا .

﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظهروهم علينا، فيظنوا أنا لم نكن على الحق، فيزدادوا طغياناً.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾.

[٨٦] ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ من كيدهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا.

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ تسكنون فيها.

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مساجد متوجهة نحو الكعبة، وكان موسى يصلي إليها؛ لأن فرعون كان قد أمر بني إسرائيل بتخريب بيعةهم، وألاً يظاهروا بعبادتهم، فأمروا باتخاذ مساجد في بيوتهم يصلون فيها سرّاً.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا موسى ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بخيري الدنيا والآخرة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ كل ما يترزق

به من متاع الدنيا.

﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وأنواعاً من المال .

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ،
(لِيُضِلُّوا) بضمَّ الياء، أي: لِيُضِلُّوا غَيْرَهُمْ، والباقون: بفتحها^(١)؛ أي:
لِيُضِلُّوا في أنفسهم، واللام في (لِيُضِلُّوا) لامُ العاقبة، يعني: فَيُضِلُّوا،
ويكون عاقبةُ أمرهم الضلال، كقوله تعالى: ﴿فَالنَّكَطَةُ آتٍ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ
لَهُمْ عَذَابٌ وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وقيل: هي لامُ (كي)؛ أي: آتِيَتْهُمْ كِي
تَفْتِنَهُمْ فَيُضِلُّوا وَيُضِلُّوا؛ كقوله: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ﴿لِنَفْنِيَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦-١٧]، قال القرطبيُّ: وأصحُّ ما قيلَ
فيها، وهو قولُ الخليلِ وسيبويه: أنها لامُ العاقبةِ والصيرورة^(٢).

﴿رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أَذْهَبَ أَثَارَهَا بِالْهَلَاكِ ﴿وَأَشْدُدْ﴾ وَاخْتِمِ .
﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ لِيَلَّا يَدْخُلَهَا الْإِيمَانُ، وأصلُ الشدِّ: الاستِثاقُ، وإنما
دعا عليهم بعدَ الإنذارِ؛ لعلَّهم أن لا سبيلَ إلى إيمانِهِمْ .

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ معناه: اللهم فلا يؤمنوا .

﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ وهو الغرقُ .

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٩).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٧٤).

﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ إِنَّمَا نُسَبِّتُ إِلَيْهِمَا ، والدعاءُ كَانَ مِنْ مُوسَى ؛
لأنه رُوي أَنَّ مُوسَى كَانَ يَدْعُو ، وَهَارُونَ يُؤَمِّنُ ، وَالتَّأْمِينُ دَعَاءٌ وَفِي بَعْضِ
الْقَصَصِ : كَانَ بَيْنَ دَعَاءِ مُوسَى وَإِجَابَتِهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً .

﴿ فَاسْتَقِيمَا ﴾ عَلَى الرِّسَالَةِ ، وَامْضِيَا لِأَمْرِي .

﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى . قَرَأَ الْعَامَّةُ : (تَتَّبِعَانِ)
بِتَشْدِيدِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِ الْبَاءِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ عَلَى
النَّهْيِ ، وَالنُّونُ لِلتَّوَكِيدِ ، وَحَرَكَةُ اللَّتَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَاخْتِيَارَ لَهَا الْكَسْرُ ؛
لأنَّهَا أَشْبَهَتْ نُونَ الرِّجَالِ ، وَيُقَالُ فِي الْوَاحِدِ : لَا تَتَّبِعَنَّ بَفَتْحِ النُّونِ ، وَقَرَأَ
ابْنُ ذَكْوَانَ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ مَعَ تَخْفِيفِ النُّونِ ، فَتَكُونُ (لَا) نَافِيَةً ،
فَيَصِيرُ اللَّفْظُ لَفْظَ الْخَبَرِ ، وَمَعْنَاهُ النَّهْيُ ؛ كَقَوْلِهِ : (لَا تُضَارُّ وَالِدَةً) عَلَى قِرَاءَةِ
مَنْ رَفَعَ ، وَرُوي عَنْ ابْنِ ذَكْوَانَ أَيْضاً وَجْهٌ آخَرُ بِتَخْفِيفِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ سَاكِنَةً ،
وَفَتْحِ الْبَاءِ مَعَ تَشْدِيدِ النُّونِ مِنْ تَبِعٍ ^(١) ، الْمَعْنَى : لَا تَسْلُكُ طَرِيقَ مَنْ لَا يَعْلَمُ
حَقِيقَةَ وَعْدِي وَوَعِيدِي .

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ^ط
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩٠) .

[٩٠] ﴿ وَجَوَزْنَا ﴾ عَبَرْنَا ﴿ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ ﴾ حَتَّى الشُّطَّ حَافِظِينَ

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٢٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٣) ،
و«تفسير البغوي» (٣٧٦/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٨٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٣) .

لَهُمْ ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ ﴿ظُلُمًا وَاَعْتَدَاءً، وَكَانَ الْبَحْرُ قَدْ انْفَلَقَ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ إِلَى الْبَحْرِ، هَابُوا دُخُولَهُ، فَتَقَدَّمَ لَهُمْ جَبْرِيلُ فِي صُورَةِ هَامَانَ عَلَى فَرَسٍ وَدِيقٍ؛ أَيْ: شَهِيٍّ، وَهِيَ الَّتِي فِي فَرْجِهَا بَلَلٌ وَخَاضَ الْبَحْرَ، فَاقْتَحَمَتِ الْخِيُولُ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الْقِصَّةِ مُسْتَوْفَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية: ٥٠]، فَلَمَّا دَخَلَ آخِرُهُمْ، وَهُمْ أَوَّلُهُمْ أَنْ يَخْرُجَ، انْطَبَقَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ.

﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرْقُ﴾ أَي: قَارِبَهُ، وَكَانَ هَذَا فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ﴾ ﴿قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفْتُ: (إِنَّهُ) بِكَسْرِ الْأَلْفِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ بَدَلًا مِنْ (آمَنْتُ)، وَالْبَاقُونَ: بِالْفَتْحِ عَلَى حَذْفِ الْبَاءِ الَّتِي هِيَ صِلَةُ الْإِيمَانِ^(١)؛ أَي: بِأَنَّهُ.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَكَرَّرَ مَعْنَى الْإِيمَانِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَرَصًا عَلَى الْقَبُولِ، فَلَمْ يُقْبَلْ؛ لِأَنَّهُ فَرَّطَ، وَلَمْ يَكُنْ وَقْتُ قَبُولٍ.

﴿ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾.

[٩١] فَعِنْدَ ذَلِكَ دَسَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ مِنْ حَمَلِ الْبَحْرِ، وَقَالَ:

﴿ءَاكُنْ﴾ ﴿تُؤْمِنُ﴾ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿الضَّالِّينَ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)،

و«تفسير البغوي» (٣٧٦/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٩١).

المضللين؟! وتقدّم الكلام في (الآن)، ومذاهبُ القراء فيه عند قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١].

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَبْدَنِكَ لَتَكُونَنَّ لِمَن خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٢).

[٩٢] فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه، قالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون، فأمر الله البحر، فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور، فتيقن بنو إسرائيل موته، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً، فذلك قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نلقيك على نجوة من الأرض؛ أي: مرتفع منها. قرأ يعقوب: (نُنَجِّيكَ) مخففاً، والباقون: مشدداً^(١).
﴿يَبْدَنِكَ﴾ وحدك.

﴿لَتَكُونَنَّ لِمَن خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿آيَةً﴾ علامة تظهر لهم بها عبوديتك من ربوبيتك؛ لأنك لو كنت رباً، لما غرقت.
﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيها.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣).

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ منزل كرامة، وهي

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٧٧/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٥٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩١/٣).

الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثها لإبراهيم وذريته.

﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ يعني: اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ يعني: القرآن، فبعض قال: هو هو، وبعض: ليس هو، وغيروا صفة مع معرفتهم صدقه وصفته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، فيثيب التائب، ويعاقب العاصي.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿٩٤﴾.

[٩٤] ثم قال خطاباً للنبي ﷺ، والمراد غيره: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيخبرونك أنك مكتوبٌ عندهم في التوراة، وقيل غير ذلك، والشك في اللغة: أصله الضيق، فقال ﷺ في الجواب: «لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ أَحَدًا، أَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(١).

قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلِ) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو السين، والباقون: بغير نقل^(٢)، ثم استأنف الكلام فقال:

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه، وهو القرآن.

﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين.

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٢١١)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٠٢/١٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤١٤/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٢/٣).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٥﴾.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
والخطابُ في هذه الآية كالتي قبلها للنبي ﷺ، والمرادُ غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٦﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَجَبَتْ.

﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أنهم يموتون كفاراً، وهي: هؤلاء للنار ولا أبالي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (كَلِمَاتُ) بالالف على الجمع، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد^(١) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٩٧﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ سألوها، وأنتَ فعلٌ (كُلُّ) لإضافته إلى

مؤنثٍ.

﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فحينئذٍ يؤمنون ولا ينفعُهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٩٢).

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنْتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٩٨] .

[٩٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي : فهلاً ﴿ كَانَتْ ﴾ المعنى : فلم تكن ﴿ قَرْيَةٌ ﴾ من القرى الهالكة ﴿ ءَامَنْتْ ﴾ عند معاينة العذاب .
﴿ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا ﴾ بأن تقبل الله منها .

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ فإنه نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت ، و (قوم) نصب على الاستثناء المنقطع ، تقديره : ولكن قوم يونس .
﴿ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾ الذل والهوان .

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى وقت انقضاء آجالهم ، وملخصُ القصة : أن قوم يونس كانوا بنيوي من أرض الموصلي ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام ، فكذبوه ، ف قيل له : أخبرهم أن العذاب مُصَبِّحُهم بعد ثلاث ، فأخبرهم ، فقالوا : هو رجل لا يكذب ، فارقبوه ، فإن أقام معكم ، فلا عليكم ، وإن ارتحل عنكم ، فهو نزول العذاب لا شك ، فلما جاءهم الميعاد ، تغشاهم العذاب ، فكان مرتفعاً على رؤوسهم قدر ميل ، روي أنه غيم أسود يدخن دخاناً شديداً ، وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم في جوف تلك الليلة ، فلما رأوا ذلك ، ولم يجدوا يونس ، أيقنوا بالهلاك ، فلبسوا المُسُوح ، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ، وفرَّقوا بين كل والدّة وولدها ، فحنَّ بعضهم إلى بعض ، وعجَّوا وتضرَّعوا ، وتراذوا المظالم ، وأخلصوا التوبة والإيمان ، فرحمهم الله ، وكشف عنهم العذاب ، وكان يوم عاشوراء يوم

الجمعة، وسيأتي ذكر قصة يونس بأبسط من هذا في سورة الأنبياء إن شاء الله تعالى .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٩) .

[٩٩] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ وهو دليل على القدرة في أن الله تعالى لم يشأ إيمانهم، وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة .

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ قال ابن عباس : « كان النبي ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس ، فأخبره تعالى أن لا يؤمن إلا من سبق له السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة ^(١) في الذكر الأول ^(٢) » .

﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٠) .

[١٠٠] ﴿ وَمَا كَانَتْ ﴾ أي : وما ينبغي .

﴿ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بعلمه وتوفيقه .

﴿ وَيَجْعَلُ ﴾ الله ﴿ الرَّجْسَ ﴾ العذاب . قراءة العامة : (وَيَجْعَلُ) بالياء ،

(١) في «ظ» : «الشقاوة» .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٢ / ٣٨١) .

وقرأ أبو بكر عن عاصم: (وَنَجْعَلُ) بالنون على التعظيم^(١) ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أمر الله ونهيته.

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٠١).

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ للمشركين الذين يسألونك عن الآيات: ﴿أَنْظَرُوا﴾ أي: بالتفكر. قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: (قُلْ أَنْظَرُوا) بكسر اللام في الوصل، والباقون: بضمها^(٢) ﴿مَاذَا﴾ مبتدأ، خبره ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الدلالات الدالة على الوجدانية، و(ما) استفهامية. ﴿وَمَا﴾ للنفي؛ أي: ولن ﴿تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ الرسل. ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ السابق علمه تعالى بموتهم كافرين.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(١٠٢).

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من مكذبي الأمم؛ أي: مثل وقائعهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٣-٩٤).
(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

﴿قُلْ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لذلك .

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) .

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ قرأ يعقوبُ (نُنَجِّي) بإسكانِ النونِ الثانيةِ والتخفيفِ ،
'والباقون: بفتح النون والتشديد' (١) ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ معهم عند نزولِ
العذاب .

﴿كَذَلِكَ﴾ كما أنجيناهم ﴿حَقًّا﴾ واجباً ﴿عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ
الكسائيُّ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ) بالتخفيف،
والباقون: بالتشديد، ووقف يعقوبُ (نُنَجِّي) بإثباتِ الياء (٢)، ونَجَّى وأنجى
بمعنى واحد .

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤) .

[١٠٤] ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: أهل مكة .

﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ وصِحَّتِهِ .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٢)،

و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤) .

﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وهي الأصنام .
 ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ ﴾ يُمِيتُكُمْ ، وَخُصَّ التَّوَفَّى بِالذِّكْرِ لِلتَّهْدِيدِ .
 ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بآياتِ اللَّهِ .

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٥﴾
 [١٠٥] ﴿ وَأَنْ أَقِمَّ ﴾ عَطَفَ عَلَى (أَنْ أَكُونَ) ﴿ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أي : استقم
 إليه ﴿ حَنِيفًا ﴾ قِيَمًا بِهِ مَائِلًا عَنْ كُلِّ دِينٍ .
 ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي : قِيلَ لِي : لَا تَشْرِكْ .

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
 الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ .

[١٠٦] ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ لَا تَعْبُدْ ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴾ إِنْ أَطَعْتَهُ .
 ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إِنْ عَصَيْتَهُ .
 ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ ﴾ فَعَبَدْتَ غَيْرَ اللَّهِ ﴿ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الضَّارِّينَ بَأَنْفُسِهِمْ .

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ
 فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٠٧﴾ .
 [١٠٧] ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ يُصِيبُكَ بِهِ ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ﴾ يَرْفَعُهُ
 ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ سُبْحَانَهُ .

﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ ﴾ فَلَا مَانِعَ ﴿ لِفَضْلِهِ ﴾ الَّذِي أَرَادَكَ بِهِ .

﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ بِالْخَيْرِ وَالضَّرِّ.

﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴿لِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ الرَّحِيمُ ﴿بِأَوْلِيَائِهِ.

﴿قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨).

[١٠٨] ﴿قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ رَسُولُهُ وَالْقُرْآنُ، فلم يبقَ لكم حجة ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ اختار الهدى.

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لخلاص نفسه؛ لأن نفعه لها.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ بالكفر ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: وبال ذلك على نفسه.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: حفيظ أحفظ أعمالكم، إن عليَّ إلاّ البلاغ.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٠٩).

[١٠٩] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ وَالتِّي بَعْدَهَا»^(١)، وهي:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بِالنَّصْرَةِ أَوْ بِالْأَمْرِ بِالْقَتْلِ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣٨٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٢٩٠ - ٢٩١).



عَلَيْهِ السَّلَام

مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الآية، آيها مئة وثلاث وعشرون، وحروفها سبعة آلاف وخمسة مئة وسبعة وستون كسورة يونس، وكلمتها ألف وتسع مئة وخمسة عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمْتُ عَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١).

[١] ﴿الرَّ﴾ تقدّم الكلام عليه، ومذاهبُ القراء فيه في أول سورة يونس (١).

﴿كِتَابٌ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أي: هذا كتابٌ، وهو القرآن.
 ﴿أَحْكَمْتُ﴾ نُظِمَتْ ﴿عَيْنُهُ﴾ نَظْمًا مُحْكَمًا لَا يَلْحَقُهَا تَنَاقُضٌ وَلَا خِلَلٌ،
 وقال ابنُ عباسٍ: أي: لم يُنسخ بكتابٍ كما نُسخَتِ الكُتُبُ والشرائعُ به (٢).
 ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بَيَّنَّتْ بِالْأَحْكَامِ ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: من عنده.

(١) عند تفسير الآية (١) منها.

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/١٩٩٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٨٥).

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ أي : بالألّا لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ﴾ أي : من الله ﴿نَذِيرٌ﴾ بالعذاب ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب .

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ وَحَدُّوهُ، عطفٌ على الأول .

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ من الكفر ؛ أي : انسَلخوا منه ، واندَموا على سالفه .

﴿يُمْنِعْكُمْ﴾ يُعَيْشُكُمْ في الدنيا ﴿مِّنْعًا حَسَنًا﴾ عَيْشًا طَيِّبًا .

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى الممات .

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ أي : في العمل ؛ أي : زيادة في ﴿فَضْلَهُ﴾ أي : جزاء فضله .

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي : تتولَّوا ، فحُذِفَتْ إحدى التاءين . وقرأ البزِّي عن ابن كثير (وَإِنْ تَوَلَّوْا) بتشديد التاء^(١) .

﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ قرأ نافعٌ ، وابنُ كثيرٍ ، وأبو جعفرٍ ، وأبو عمرو : (فَإِنِّي أَخَافُ) (إِنِّي أَخَافُ) حيثُ وقعَ بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(٢) ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يومُ القيامة .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٣٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٠) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٠) .

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في ذلك اليوم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من ثوابٍ وعقابٍ، ولا ينفعُ من قضاائه واقيةٌ .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ يخفون ما فيها من العداوة، نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلاً حلوا الكلام والمنظر، يلقي رسول الله ﷺ بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره^(١) .

﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: من الله، قال ابن عطية: هذا هو الأفسح الأجل في المعنى، وقيل: يمكن أن يعود الضمير على محمد ﷺ^(٢) .

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها، و(حين) توقيتٌ للتغطي لا للعلم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواههم .
﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وذوات الصدور: ما فيها .

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ليس دابة، و(من) صلة، والدابة:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥١) .

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥١) .

كُلُّ حَيَوَانٍ يَدْبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي: هو المتكفلُ به فضلاً لا وجوباً.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها.

﴿وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾ حيثُ كانت من قبلُ من صلبٍ أو رَحِمٍ.

﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: مثبتٍ في اللوح المحفوظ قبل خلقها.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧﴾.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والأرجح أنها من أيام الدنيا، وأجزأ ذكره السموات والأرض عن ذكر ما فيها؛ إذ كلُّ ذلك خُلِقَ في تلك الستة أيام، وتقدّم الكلام في ذلك في سورة الأعراف.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلق السموات والأرض، وكان ذلك الماء على متن الريح، ثم بيّن علّة الخلق فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أيها المؤمنون وأزهد في الدنيا وأتم عقلاً.

﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يعنون: القرآن. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَاحِرٌ) بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء، يعني: محمداً ﷺ^(١).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٠٣).

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ٱلْأَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ أي : أجل محدود، وأصل الأمة : الجماعة، فكأنه قال : إلى انقراض أمة ومجيء أخرى .
﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ﴾ المعنى : أي شيء يمنع العذاب من النزول؟
يقولونه استهزاء .

﴿ ٱلْأَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ كيوم بدر ﴿ لَيْسَ ﴾ العذاب ﴿ مَصْرُوفًا ﴾ مدفوعاً ﴿ عَنْهُمْ وَحَاقَ ﴾ وأحاط ﴿ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : نزل بهم جزاء استهزائهم .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ ٱلْكَفُورُ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ ﴾ المراد : الجنس ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة .
﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ﴾ أزلناها عنه ﴿ إِنَّهُ لَيَكُوفُ ﴾ شديد اليأس أنها لا تعود إليه ﴿ ٱلْكَفُورُ ﴾ أنعم الله عليه .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَّاءَ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ ﴾ صحة وسعة ﴿ بَعْدَ ضِرَّاءَ ﴾ شدة .
﴿ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ﴾ الإنسان ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ ﴾ المصائب ﴿ عَنِّي ﴾ ويتجبر .
﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ ﴾ بطر .

﴿فَخُورٌ﴾ والفرح: لذة في القلب بنيل المشتهى، والفخر: هو التطاول على الناس بتعديد المناقب، وذلك منهى عنه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو (عني) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١١).

[١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء متصل على ما تقدّم من أن (الإنسان) عام، ويراد به الجنس. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: تارك تبليغ ما يسوؤهم رجاء توبتهم، وذلك أن كفار مكة لما قالوا: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ [يونس: ١٥] ليس فيه سب آلهتنا، هم النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم ظاهراً، فأنزل الله الآية^(٢).

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٥٣٩/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٩٠/٢).

﴿وَضَاقُ بِهِ﴾ أي : بما كُلفت ﴿صَدْرُكَ﴾ بأن تتلوهُ عليهم مخافة ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ مكذِّبين ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ ينفقه ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدِّقه .
﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فأدِّ النذارة .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي : حافظٌ وشهيدٌ .

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣] .

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي : اختلق محمدٌ الموحى إليه ، وهو القرآن .

﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ مختلقاتٍ من عند أنفسكم ، قال هنا : عشر ، وفي يونس : (بسورة) ؛ لأن هذه نزلت قبل تلك ، لأنهم تحدُّوا أولاً بالإتيان بعشر ، فلما عجزوا ، تحدُّوا بسورةٍ واحدةٍ ، المعنى : إن كان ما جئتُ به مفترىً كما تزعمون ، فعارضوا بعضه .

﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ للمعارضة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الكهنة والأعوان ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم .

﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٤] .

[١٤] ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ في المعارضة ، ولم تنهياً لهم ، خوطب جمعاً ؛ تعظيماً لقدره ، أو الخطابُ له ولأصحابه .

﴿ فَاعْلَمُوا ﴾ خطابٌ للمؤمنين ، أو للمشركين ﴿ أَمَّا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ ﴾ أي :
وهو عالمٌ بإنزاله وبجميع ما فيه ﴿ وَأَنْ لَا ﴾ أي : واعلموا أن لا ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر ؛ أي : أسلموا .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا
يُبْخَسُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ونزل في كلِّ مَنْ عملَ عملاً لغيرِ الله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ بإحسانه وبرّه .

﴿ نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : أُجورَ أعمالهم في الدنيا ؛ بسعةِ الرزقِ ،
وطيبِ العيش ﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : في الدنيا ﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا يُنقصون من
حظِّهم .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا
وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ لأنهم استوفوا
ما تقتضيه صورُ أعمالهم الحسنة ، وبقيت لهم أوزارُ العزائم السيئة .
﴿ وَحَبِطَ ﴾ بطلَ في الآخرة ﴿ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ أي : في الدنيا .

﴿ وَبَطِلَ ﴾ في نفسه ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لأنه عملٌ لغيرِ الله تعالى ، واختلف
في المعنى بهذه الآية ، فقليل : هم أهلُ الرياء من المؤمنين ، وقيل : هم
الكفار ، قال ابنُ عطية : وهو عندي أرجحُ التأويلات بحسبِ ذكرِ الكفارِ

والمنافقين في القرآن، وإنما قصد بهذه الآية أولئك^(١).

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرُ
مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ ابتداءً، والخبر محذوف؛ أي:
أفمن كان على بينة كمن كفر بالله وكذب أنبياءه؟ والمراد: أن النبي ﷺ على
بينة؛ أي: برهان وبيان من الله أن دين الإسلام حق.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾ أي: يتبع البرهان شاهد يشهد بصحته، وهو
القرآن.

﴿مِّنْهُ﴾ أي: من الله تعالى.

﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ أي: قبل القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ هو التوراة.

﴿إِمَامًا﴾ مؤتماً به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن تبعه.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: المؤمنون.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ﴾ وهم الفرق من أهل مكة ومن ضامهم من

الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ.

﴿فَالْتَأَرُ مَوْعِدُهُ﴾ مصيره.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١٥٦/٣).

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شَكٌّ ﴿ مِنْهُ ﴾ من الموعد ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ من قلة نظرهم ، واختلال فكرهم .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعم أن له ولداً وشريكاً؟ أي : لا أحد أظلم منه .

﴿ أُولَئِكَ ﴾ يعني : الكاذبين ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ في الموقف ، فيسألهم عن أعمالهم .

﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴾ جمع شاهد ، وهم الملائكة والنبيون ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ بُعْده وسخطه ﴿ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الذين وضعوا العبادة في غير موضعها .

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾ يمنعون ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عن دينه .

﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي : يعدلون بالناس عنها إلى المعاصي والشرك .
﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ أعاد لفظ (هم) تأكيداً لكفرهم .

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا
يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ثم قال الأشهاد: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الكاذبون.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله إذا أراد عذابهم.

﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ ناصرين يمنعونهم من
عذابه، ولكن أخرهم إلى يوم القيامة.

﴿يُضْعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يشدد حتى يكون ضعفي ما كان. قرأ ابن كثير،
وابن عامر، وجعفر، ويعقوب: (يُضْعَفُ) بتشديد العين مع حذف الألف،
والباقون: بإثبات الألف والتخفيف^(١).

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ أي: استماع الحق.

﴿وَمَا كَانُوا يَبْصِرُونَ﴾ محمداً؛ بغضاً له، ف(ما) نافية.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ غبنوا.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ باشتراء عبادة الأوثان بعبادة الله.

﴿وَضَلَّ﴾ ضاع.

﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من زعمهم أن الآلهة تشفع لهم.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدبياطي (ص: ٢٥٥-٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٠٥).

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ أي : حقاً .

﴿ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ﴾ أي : متحققٌ خسرانهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ صَدَّقُوا ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا ﴾ خَشَعُوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وأصل الإخبات : الخضوعُ ، من الخَبَتِ ، وهي الأرضُ المطمئنةُ .

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ هذه الآيةُ في الصحابةِ المؤمنين ، والتي قبلها في المشركين .

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ثم ضربَ للكافرينَ والمؤمنينَ مثلاً فقال : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿ كَالْأَعْمَى ﴾ أي : كمثل الأعمى .

﴿ وَالْأَصْمَى ﴾ هذا للكافرينَ ﴿ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ للمؤمنين ، شبهَ الكافرَ بالأعمى وبالأصمَّ ، وشبهَ المؤمنَ بالبصيرِ والسميعِ ، فهو على تمثيلِ مثالين ، وقال بعضُ المتأولين : التقديرُ : كالأعمى الأصمَّ ، والبصيرِ السميعِ ، فدخلتِ واوُ العطفِ كما تقولُ جاءني : زيدُ العاقلُ والكريمُ ،

وأنت تريده بعينه، فهو^(١) على هذا تمثيلٌ بمثالٍ واحد.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي: الفريقان ﴿مَثَلًا﴾ تمييز.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تذكرون) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد^(٢).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (إنِّي) بكسر الهمزة؛ أي: فقال: إني؛ لأن في الإرسال معنى القول، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة؛ أي: بـ(أني)^(٣)، والنذر والمنذر هو المحذر.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ﴾

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ﴾ هو يوم القيامة، وُصِفَ بذلك؛ لأن العذاب يكون فيه، وتقدم ذكر الاختلاف في عمره حين بعثه الله إلى قومه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية: ٥٩]، ولبت يدعو قومه تسع مئة وخمسين

(١) في «ت»: «فهى».

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٥-١٠٦).

سنة، وعاشَ بعدَ الطوفانِ مئتي سنةٍ وخمسينَ سنةً، وماتَ وله ألفٌ وأربعُ مئةٍ وخمسونَ سنةً.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنِكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [٢٧]

[٢٧] ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ والملاؤ: هم الأشراف والرؤساء ﴿ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا ﴾ آدمياً ﴿ مِثْلَنَا ﴾ لا مزية لك علينا.

﴿ وَمَا نَرْنِكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ ﴾ الناقصون الأقدار فينا.

﴿ بِادِّىَ الرَّأْيِ ﴾ قرأ أبو عمرو: (بادىء) بالهمز؛ أي: أول الرأي، يريدون: أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير رؤية وتفكير، ولو تفكروا ما اتبعوك، وقرأ الباقون: بياء مفتوحة بغير همز^(١)؛ أي: ظاهر الرأي، معناه: اتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبروا ويتفكروا باطناً، ونصبه على القراءتين ظرفاً.

﴿ وَمَا نَرَى لَكُمْ ﴾ لك ولمتبعيك ﴿ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ أي: زيادة شرف علينا نؤهلکم بها للنبوۃ ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ الخطاب لنوح ولمن آمن به.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٦).

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِّن رَّبِّيَّ وَءَاثَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ
فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ مَّوَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاثِرُونَ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أَخْبِرُونِي .

﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ ﴾ حُجَّة ﴿ مِّن رَّبِّيَّ ﴾ شاهدة بصحة دَعْوَاي .

﴿ وَءَاثَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ أي : النبوة ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ قرأ حمزة ،
والكسائي ، وخلف ، وحفص عن عاصم (فَعُمِّيَتْ) بضم العين وتشديد
الميم ؛ أي : شُبِّهَتْ وَلُبِّسَتْ ، وقرأ الباقون : بفتح العين وتخفيف الميم ؛
أي : خَفِيَتْ (١) .

﴿ أَنْزِلْكُمْ مَّوَاهَا ﴾ أَنْزِلْكُمْ الهداية ﴿ وَأَنْتُمْ لَهَا كَاثِرُونَ ﴾ لا تريدونها؟
استفهام بمعنى الإنكار .

﴿ وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْكُمُ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ وإيمانكم ﴿ مَا لَّا ﴾
أَجْرًا .

﴿ إِنْ أَجْرِي ﴾ ما ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير ، وحمزة ،

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٤) ،
و«تفسير البغوي» (٢/٣٩٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٨٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٠٧) .

والكسائي، وخلف عن عاصم: (أَجْرِي) بإسكان الياء حيث وقع: والباقون بفتحها^(١).

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وذلك أنهم قالوا له: اطرّد عنك المؤمنين؛ حَسَدًا لَهُمْ ﴿إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: صائرون إليه، فيجزّي من طردهم.

﴿وَلَكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ أمر الله ولقاءه. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب، وقبل عن ابن كثير: (وَلَكِنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[٣٠] ﴿وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من يمنعني من عذابه.

﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ لأجل إيمانهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. قرأ أبو عمرو: (وَيَا قَوْمَ مَنْ) بإدغام الميم في الميم^(٣).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٠٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٠٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٠٩).

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ فآتي منها ما تطلبون .

﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ فأخبركم بما تريدون .

﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي ﴾ تحتقر ﴿ أَعْيُنُكُمْ ﴾ من المؤمنين ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ أي : إيماناً وتوفيقاً ؛ لجهلي بحالهم ، وذلك أنهم قالوا : هم أراذلنا ، ولن يؤتيهم الله خيراً .

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ إن أذيتهم . قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر : (إِنِّي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿ قَالُوا يَسُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ قَالُوا يَسُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا ﴾ خاصمتنا ﴿ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾ فأطنبته .

﴿ فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب .

﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في الدَّعْوَى .

(١) المصادر السابقة .

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [٣٣].

[٣٣] ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ﴾ عاجلاً أو آجلاً.

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين.

﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٣٤].

[٣٤] ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ﴾ نصيحتي.

﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾ أي: نصحكم.

﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ يُضِلَّكُمْ، تقديرُ الكلام: إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ، فَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ، لَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي. قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: (نُصْحِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ هُوَ رَبُّكُمْ ﴾ فإليه الإغواء والهداية ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إخبارٌ في ضمنه تهديدٌ ووعدٌ. قرأ يعقوب: (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء، والباقون: بضمها^(٢).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٠).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا
تُجْحِرُونَ ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ هؤلاء الكفرة ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ افترى نوحٌ هذا التوعّد بالعذاب، وأراد الإرهابَ علينا بذلك، وقيل: إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح، وهي في شأنِ محمدٍ ﷺ مع كفار قريش، وذلك أنهم قالوا: افترى القرآن، وافترى هذه القصة عن نوح، فنزلت الآية في ذلك، والأول هو قول ابن عباس^(١)، قال القرطبي: وهو أظهر؛ لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكرُ نوح وقومه، فالخطاب منهم ولهم^(٢).

﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي ﴾ المعنى: إن صحَّ أنني افتريته، فعلي جزاء افترائي.

﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْحِرُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب. قرأ أبو جعفر بخلاف عنه: (بريئ) و(بريئون) حيث وقع بتشديد الياء بغير همز، والباقون: بالهمز والمد.

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴾ معنى الكلام: الإياسُ من إيمانهم، واستدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٢/١٢ - ٣٣)، و«تفسير البغوي» (٣٩٨/٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٩/٩).

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا تحزن ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ فإني مهلكهم ، فحينئذ دعا عليهم فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] ، ورؤي أنهم كانوا يبیطشون بنوح فيخنقونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق ، قال : رَبِّ اغْفِرْ لقومي فإنهم لا يعلمون .

﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٣٧) .

[٣٧] ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بمنظرٍ مِنَّا ؛ أي : اصنعها محفوظاً أن تنال بسوء ، وأن يُحال بينك وبين عملها ، وأن تُخطيء في عملها ؛ لأنه لما أمر بعمل السفينة ، لم يدر كيف يصنعها ، فأوحى إليه أن اصنعها كجَوْجُؤ الطائر ، فإنك بعيني ، فأخذ القدوم ، وجعل يضرب ولا يخطيء ، ورؤي أن السفينة كان طولها ثلاث مئة ذراع ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وقيل غير ذلك ، وكانت من خشب الساج ، وجعل لها ثلاثة بطون ، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام ، وفي البطن الوسط الدواب والأنعام ، وركب هو ومن معه البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد .

﴿ وَوَحِينَا ﴾ وتعليمنا لك صورة العمل بالوحي .

﴿ وَلَا تَخْطِبْنِي ﴾ تراجعني .

﴿ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ في إهلاك الكفار وابنيك كنعان وامراتك واعلة .

﴿ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ محكوم بغرقهم .

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ﴾ أي : وطَفِقَ يصنع ﴿الْفُلْكَ﴾ رُوي أن نوحاً عليه السلام لبث يغرُسُ الشجرَ مئةَ عامٍ، ثم جعلَ يقطعُ الخشبَ ويضربُ الحديدَ ويهييءُ عدةَ الفلكِ من القارِ وغيره .

١ ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ فكانوا يتضحكون ويقولون : يا نوحُ ! صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً !

﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ في المستقبلِ عند رؤية الهلاك .
﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا الآن .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يُذِلُّه ، وهو الغرقُ .
﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذابُ الآخرة ، فصنع نوحُ السفينةَ في سنتين ، وقيل غير ذلك .

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي : وقتُ الوعدِ بإهلاكهم . واختلافُ القراء في حكم الهمزتين من قوله (جاءَ أمرُنَا) في هذا الحرف وجميع ما في

السورة كاختلافهم فيها من قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [الآية: ٥] في سورة النساء.

﴿وَفَكَارَ التَّنُورُ﴾ أي: جاش بالماء، وهو تنور الخبز في قول الأكثر، وكان هو الآية بين نوح وبين ربه، واختلف في موضع التنور، فقيل: بالكوفة، وقيل: بالشام بموضع يُقال له عَيْنُ وردة، وقيل غير ذلك. ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة.

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ صنفين من الحيوان.

﴿اثنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وقيل لهما: زوجان؛ لأن كل واحد منهما يُقال له: زوج؛ لأنه لا بد لأحدهما من الآخر. قرأ حفص عن عاصم: (مِنْ كُلِّ) بالتنوين؛ أي: من كل صنف زوجين، اثنين ذكره تأكيداً، والباقون: بغير تنوين على الإضافة على معنى: احمل اثنين من كل زوجين، والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد^(١).

وعند فوران التنور حُشِرَ الحيوان لنوح عليه السلام، فجعل يضربُ بيديه فيقع الذكر في اليمنى، والأنثى في اليسرى، فيلقيهما في السفينة، ورؤي أن أول ما أدخل السفينة الدُّرَّةُ، وآخر ما أدخل الحمارُ، فتمسك الشيطانُ بذنبه، فزجره نوحٌ فلم ينزجر، فقال له: ادخل ولو كان معك الشيطانُ، قال ابن عباس: «زَلَّتْ هذه الكلمة على لسانه، فدخل الشيطانُ حينئذٍ»، وكان عند مؤخر السفينة، فلما كثرت أرواث الدوابِّ، تأذى نوحٌ من رائحتها، فأوحى إليه أن امسح على ذنب الفيل، ففعل، فخرج منه

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٠-١١١).

خنزيرٌ وخنزيرةٌ، فكفيا نوحاً وأهله ذلك الأذى، فلما وقع الفأرُ يخربُ السفينةَ ويقرِضُ حبالها، أوحى إليه أن يضربَ بينَ عيني الأسدِ، ففعلَ، فعطسَ، فخرجَ منه هِرٌّ وهرّةٌ، فكفياهم الفأرَ، وروي أن الحيةَ والعقربَ أتيا نوحاً، فقالتا: احملنا، فقال: إنكما سببُ الضررِ والبلاءِ فلا أحملُكما، قالتا: احملنا ونحن نضمنُ لك ألا نضرَّ أحداً ذكرك^(١)، فمن قرأ حينَ خاف مضرتهما: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضرَّتاهُ.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحملْ أهلكَ من النسبِ ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بالهلاكِ، وهو كنعانُ، وامراتك واعلةٌ مستثنى من الأهلِ.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: واحملْ مَنْ آمَنَ بك، قال الله تعالى:

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وهم بنوه الثلاثة سامٌ وحامٌ ويافثُ، وثلاثُ نسوةٍ لهم، وامرأةُ نوحٍ غيرُ الهالكةِ، وتقدّم في سورة الأعراف أن مَنْ آمَنَ به كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأةً، وهم الذين نجوا معه في السفينة، وفي ذلك خلاف، والله أعلم.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾.

[٤١] فلما دهمهم الماء، ندبهم إلى الركوبِ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ فركبوا في السفينة يومَ الجمعةِ لعشرٍ مضيّنٍ من رجبٍ من عينِ وردةٍ، فأتتِ

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٩٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٢٨).

البيتَ فطافَتْ به أسبوعاً، وقد رفعَهُ اللهُ مِنَ الغرقِ وبقيَ موضعه .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَنَهَا ﴾ أي: اركبوا مُسَمِّينَ أو قائلين: باسم الله عند مجراها ومرساها، فكان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله، فرست. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مَجْرَاهَا) بفتح الميم؛ أي: جَرَّيْهَا، والباقون: بضمِّها؛ أي: إجرائها، وأمالَ الرءاء أبو عمرو والأربعة المذكورون، ولم يملْ حفص غيرَ هذا الحرف، واختلفَ عن ابنِ ذكوان، فروي عنه الإمالةُ والفتحُ، قال ابنُ الجزري: وقد غلطَ مَنْ حكى فتحَ الميمِ عن ابنِ ذكوان من المؤلفين، وشبَّهْتُهُمْ في ذلك والله أعلم: أنهم رأوا فيها عنه الفتحَ والإمالةَ، فظنوا فتحَ الميم، وليسَ كذلك، إنما أريد فتحُ الرءاء وإمالتها، انتهى. ورُوي عن ورشٍ الفتحُ والإمالةُ بينَ بين^(١).

﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ تنبيهٌ لهم على نعمةِ الله عليهم ورحمته لهم.

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ﴾ في اضطرابِ الماءِ وارتفاعه ﴿ كَالْجِبَالِ ﴾ عِظْماً وارتفاعاً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤٠٣/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١١-١٠٩/٣).

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان، وكان كافراً ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ معزلاً عن أبيه.

﴿يَبْنَى﴾ قرأ عاصم: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء، والباقون: بالكسر مشدداً^(١)، وقوله: (بُنَيَّ) مصغراً ليكون أعطف له ﴿أَرْكَبْ مَعَنَا﴾. قرأ أبو عمرو والكسائي، ويعقوب: (ارْكَبْ مَعَنَا) بإدغام الباء في الميم؛ لقرب المخرج، واختلف عن ابن كثير وعاصم وقالون وخلاّد، وقرأ الباكون، وهم: ابن عامر، وأبو جعفر، وخلف لنفسه^(٢)، وعن حمزة، وورش عن نافع: بإظهار الباء على الأصل^(٣)، تلخيصه: اركب معنا تنج.

﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ فتهلك.

﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ﴾ له ابنه ﴿سَآوِيَ﴾ سألتجىء.

﴿إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يمنعني من الغرق.

﴿قَالَ﴾ له نوح ﴿لَا عَاصِمَ﴾ لا مانع ﴿الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ من عذاب الله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٣/٣).

(٢) في «ن»: «بنفسه».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٤/٣).

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ استثناءً متصلٌ .

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ أي : بين نوح وابنه ﴿الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرَقِينَ﴾
بالماء ، رُوي أن الماء علا على رؤوس الجبال أربعين ذراعاً ، وعقمت
النساء أربعين سنةً ، وأدرك الصغار على دين آبائهم ، وماتت البهائم
بأجلها .

﴿وَقِيلَ يَتَّارِضْ أُبْلَىٰ مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَىٰ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

[٤٤] ﴿وَقِيلَ﴾ بعد ما تناهى أمر الطوفان :

﴿يَتَّارِضْ أُبْلَىٰ مَاءَكَ﴾ الذي خرج منك ؛ أي : اشربه .

﴿وَيَسْمَاءُ أَقْلَى﴾ أُمِسْكِي عن إنزال القطر ؛ لأن الأرض كانت تنبع
الماء ، والسماء تمطر بأجمعها .

﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ نقص . قرأ الكسائي ، وهشام عن ابن عامر ، ورويس
عن يعقوب : (وَقِيلَ) (وَغِيضَ) بإشمام الضم للقاف والغين ، واختلاف
القراء في الهمزتين من قوله : (وَيَا سَمَاءُ أَقْلَى) كاختلافهم فيهما من قوله :
(السُّفْهَاءُ أَلَا) في سورة البقرة [الآية : ١٣] .

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فُرِغَ من إهلاك قوم نوح .

﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ يعني : استقرت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ اسم جبل بالجزيرة
بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هلاكاً لهم .

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وَعَدْتَنِي بِنَجَاةِ أَهْلِي ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لَا خُلْفَ فِيهِ ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ أَعَدْلُهُمْ .

﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ اللهُ ﴿يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: أَهْلِ وَلَايَتِكَ وَلَا دِينِكَ، وهو وَلَدُهُ مِنْ صُلْبِهِ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِ ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب: (عَمَل) بكسر الميم وفتح اللام (غَيْرَ) بنصبِ الراء؛ أي: عَمَلٌ شُرْكَاءَ، وقرأ الباقون: بفتح الميم ورفع اللام مَنْوَنَ ورفعِ الراءِ تعليلٌ لانتفاءِ الأَهْلِيَّةِ^(١)، وجُعِلَتْ ذَاتُهُ عَمَلًا غَيْرَ صَالِحٍ مَبَالِغَةً فِي ذَمِّهِ .

﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما لَا تَعْلَمُ أَصَوَابٌ هُوَ أَمْ لَيْسَ صَوَابًا . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (تَسْأَلْنِ) بفتح اللام وكسر النون وتشديدِهَا، وابنُ كثيرٍ كذلك، إِلَّا أَنَّهُ يَفْتَحُ النونَ، والباقون: بِإِسْكَانِ اللامِ وكسرِ النونِ وتخفيفِهَا، وأثبتَ الياءَ بَعْدَ النونِ وصلًا أَبُو عَمْرٍو، وأبو جعفر، وورشٌ، وأثبتَهَا فِي الْحَالِينِ يَعْقُوبُ^(٢) ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنْ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)،

و«تفسير البغوي» (٢/٤٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١١٤-١١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، =

الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ يعني : أن تدعو بهلاك الكفار ، ثم تسأل نجاة كافرٍ

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] وَحُكِيَ أَنَّ نوحاً كَانَ لَا يَعْلَمُ بِكُفْرِ ابْنِهِ ﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ ﴾ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ﴿ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ مَا لَا عِلْمَ لِي بِصَحَّتِهِ ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ أَعْمَالاً ، وَكَانَ ﷺ عَلَى قَدَمِ الْإِسْتِغْفَارِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ . قَرَأَ نَافِعٌ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَابْنُ كَثِيرٍ : (إِنِّي أَعِظُكَ) (إِنِّي أَعُوذُ) بِفَتْحِ الْيَاءِ فِيهِمَا ، وَالْبَاقُونَ : بِإِسْكَانِهَا ^(١) .

﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ ﴾ انْزَلْ مِنَ السَّفِينَةِ ﴿ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾ أَي : سَلَامَةٍ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴿ وَالْبَرَكََةُ : الْخَيْرُ التَّامُّ ﴾ وَعَلَى أُمَمٍ ﴿ أَي : ذُرِّيَّةِ أُمَمٍ ﴾ مِمَّنْ ﴿ كَانَ ﴾ مَعَكَ ﴿ فِي السَّفِينَةِ ، يَعْنِي : عَلَى قُرُونٍ تَجِيءُ بَعْدَكَ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ مَعَكَ مِنْ وَلَدِكَ ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴿ فِي الدُّنْيَا . ﴾ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ فِي الْآخِرَى ، وَهُمْ الْكَافِرُونَ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ ،

= و«تفسير البغوي» (٢/٤٠٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١١٥-١١٦) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١١٦) .

وتقدّم أن نوحاً ركب السفينة بعشر مضت من رجب، وجرت بهم ستة أشهر، وخرجوا منها يوم عاشوراء، فصام نوح ومن معه شكراً لله عز وجل، وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفين ومئتين واثنين وأربعين سنة، وبين الطوفان والهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثلاثة آلاف وتسع مئة وأربع وسبعون سنة

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٩).

[٤٩] ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا ﴾ أي: آيات القرآن ﴿ إِلَيْكَ ﴾ بأخبار الأمم الماضية.

﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ أي: من قبل نزول القرآن.

﴿ فَاصْبِرْ ﴾ على أذى قومك؛ كنوح.

﴿ إِنَّ الْعَقِيبَ ﴾ آخر الأمر ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بالسعادة والنصر.

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ (٥٠).

[٥٠] ﴿ وَإِلَىٰ ﴾ أي: وأرسلنا إلى ﴿ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ في النسب، لا في الدين، وتقدّم ذكره في سورة الأعراف.

﴿ قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحّدوه ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي: (غَيْرِهِ) بخفض الراء حيث وقع إذا كانت قبل (إِلَهٍ) (مِنْ) التي

تخفّض، والباقون: بالرفع^(١).

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ باتخاذ الأوثان شركاء.

﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥١).

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا﴾ جُعلاً.

﴿إِنْ أَجَرْتُكُمْ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والبزّي عن ابن كثير: (فَطَرَنِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾^(٥٢).

[٥٢] ولما حُبِسَ القطرُ عن قومِ هودٍ ثلاثَ سنينَ، وعقمتُ أرحامُ نسائِهِمْ، فلم يلدنَ، قالَ لَهُمُ هودُ: ﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّكُمْ﴾ من الذنوبِ السالفةِ، وآمنوا ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ من عبادةِ العجلِ وغيره.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ مُتتابعاً ﴿وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً﴾ في العددِ والمالِ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦-١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٧-١١٨).

والبدن ﴿إِلَى قُوتِكُمْ﴾ الموجودة ﴿وَلَا تَنۡتَوِلُواْ جُرۡمِيۡنَ﴾ لا تدبروا مشركين .

﴿قَالُوا يٰ هُوۡدُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيۡ ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوۡلِكَ
وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِيۡنَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿قَالُوا يٰ هُوۡدُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ دليل على قولك ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيۡ
ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوۡلِكَ﴾ أي : بقولك ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِيۡنَ﴾ بمصدقين .

﴿إِن نَّقُوۡلُ إِلَّا اَعۡتَرٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوۡءٍۭ۟ قَالَ اِنِّیۡۤ اَشۡهَدُ اللّٰهَ وَاَشۡهَدُوۡا اَنِّیۡ
بَرِیۡءٌۭ۟ مِّمَّا تُشۡرِكُوۡنَ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿إِن نَّقُوۡلُ إِلَّا اَعۡتَرٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوۡءٍۭ۟﴾ يعني : لست تتعاطى
ما تتعاطى من مخالفتنا وسب آلہتنا إلا لأن بعض آلہتنا اعتراك ؛ أي :
أصابك بسوء ؛ أي : بخبل وجنون لسبك إياها ، فثم استخفافاً بهم
وبآلہتهم .

﴿قَالَ اِنِّیۡۤ اَشۡهَدُ اللّٰهَ﴾ على نفسي . قرأ نافع ، وأبو جعفر : (إِنِّي) بفتح
الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿وَأَشۡهَدُوۡا﴾ أنتم أيضاً على ﴿أَنِّیۡ بَرِیۡءٌۭ۟ مِّمَّا تُشۡرِكُوۡنَ﴾ .

﴿مِنۡ دُوۡنِہٖۤ اَفۡكِدُوۡنِیۡ جَمِیۡعًا ثُمَّ لَا تُنۡظِرُوۡنَ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿مِنۡ دُوۡنِہٖۤ﴾ يعني : الآلہة ﴿اَفۡكِدُوۡنِیۡ﴾ احتالوا في أمري أنتم وهم

(١) المصادر السابقة .

﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ لَا تُمْهَلُونَ. قرأ يعقوب: (تَنْظَرُونِي) بإثبات الياء بعد النون، والباقون: بحذفها^(١).

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥٦).

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ اعتمدت عليه ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: مالكها وقادرٌ عليها، والناصية: شعْرُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ، وَخُصَّتْ بالذكر؛ لأنَّ العربَ كانتَ تَجُرُّ بِنَاصِيَةِ الْأَسِيرِ الممنون عليه؛ لتكونَ تلكَ علامةً أَنَّهُ قُدِرَ عَلَيْهِ، وَقُبِضَ عَلَى نَاصِيَتِهِ، والدَّابَّةُ: جميعُ الحيوانِ، وَخُصَّ بالذكرِ إِذْ هُوَ صَنَفُ الْمُخَاطَبِينَ والمتكلم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: إن أفعالَ الله عز وجل هي في غايةِ الإحكام، وقوله الصدق، ووعده الحق، فجاءتِ الاستقامةُ في كلِّ ما ينضافُ إليه سبحانه.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾^(٥٧).

[٥٧] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تتولوا؛ يعني: تُعْرِضُوا عما دعوتكم إليه. قرأ البرزّي عن ابنِ كثيرٍ: (فَإِنْ تَوَلَّوْا) بتشديدِ التاء^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ فَقَدْ أَبْلَعْتُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ المعنى : ما عليّ كبيرُ همٍّ منكم إن تولّيتُمْ ، فقد برئتُ ساحتِي بالتبليغ ، وأنتم أصحابُ الذنبِ في الإعراضِ عن الإيمانِ .

﴿ وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أطوعَ منكم يُوحِده .
 ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ بإِشْرَاكِكم ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ (على) بمعنى اللام ؛ أي : لكلِّ شيءٍ حفيظٌ ، فهو يحفظُني ويجازيكم .

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨ ﴾ .

[٥٨] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا ، وهو السَّمُومُ ، كانتْ تدخلُ أنوفَ الكفارِ وتخرجُ من أدبارِهِم ، فتقطعُ أعضاءَهُم .

﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ من العذابِ ، وكانوا أربعة آلافٍ ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمةٍ ﴿ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ ﴾ في الآخرةِ ﴿ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديدٍ ، المعنى : نجوا من عذابِي الدنيا والآخرةِ بسببِ إيمانِهِم

﴿ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ ﴾ .

[٥٩] ﴿ وَتِلْكَ ءَادٌ ﴾ إشارةٌ إلى قبورِهِم وآثارِهِم ﴿ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾

= (ص : ٢٥٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٨) .

رَبِّهِمْ ﴿كَفَرُوا بِهَا﴾ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴿يَعْنِي: هُودًا، ذَكَرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، لِأَنَّ مِنْ كَذَبَ رَسُولًا وَاحِدًا، كَانَ كَمَنْ كَذَبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ.

﴿وَاتَّبِعُوا﴾ يَعْنِي: السَّفَلَةَ ﴿أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ مُعَانِدٍ أَي: مُعَارِضٍ بِالْخِلَافِ، وَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ وَمُقَدِّمُوهُمْ.

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾.

[٦٠] ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أُرْدِفُوا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ تَلْحَقُهُمْ، وَاللَّعْنَةُ: الْإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ عَنِ الرَّحْمَةِ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أَيْضًا.

﴿إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ جَحَدُوا نِعْمَتَهُ ﴿إِلَّا بَعْدًا لِعَادٍ﴾ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ لِعَادٍ؛ لِيَتَمَيَّزُوا عَنْ عَادِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ عَادُ إِرَامَ.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ ﴿٦١﴾.

[٦١] ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ أَي: وَأَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ، وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ﴿أَخَاهُمْ﴾ فِي النَّسَبِ ﴿صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ ﴿مِنْ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أَي: خَلَقَكُمْ لِعِمَارَتِهَا، وَقِيلَ: أَطَالَ أَعْمَارَكُمْ، قِيلَ: كَانَتْ أَعْمَارُهُمْ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ إِلَى ثَلَاثِ مِئَةِ سَنَةٍ.

﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ ﴾ من المؤمنين ﴿ مُجِيبٌ ﴾ لدعائهم .

﴿ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ .

[٦٢] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني : ثمود ﴿ يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ للسيادة في ديننا ﴿ قَبْلَ هَذَا ﴾ القول .

﴿ أَتَنْهَانَا ﴾ استفهامٌ معناه الإنكار ﴿ أَنْ ﴾ أي : عن أن ﴿ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ من الآلهة ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد .
﴿ مُرِيبٌ ﴾ مُوقع في الريبة ، وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة .

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ .

[٦٣] ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ ﴾ بيان وبصيرة .
﴿ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ نبوة .

﴿ فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : يمنعني من عذابه ﴿ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي ﴾ بقولكم هذا ﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ أي : غير بصارة في خسارتكم .

﴿ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرْوَهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ .

[٦٤] ﴿ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ نصبٌ على الحال

والقطع ، وذلك أَنَّ قَوْمَهُ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَ نَاقَةً عُشْرَاءَ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ،
وأشاروا إلى صخرةٍ ، فدعا صالحٌ ، فخرجت منها ناقةٌ ، وولدت في الحال
ولداً مثلها ، فهذه معنى قوله ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ .

﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ من العشب ، فليس عليكم مُؤْنَتُهَا .
﴿ وَلَا تَمْسُوهَا ﴾ جزم بالنهاي ﴿ بِسُوءٍ ﴾ بعقرٍ ﴿ فَيَأْخُذْكُمْ ﴾ جوابُ النهي
﴿ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ مِنْ عَقْرِهَا ، وهو ثلاثة أيام .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ
مَكْذُوبٍ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾ .

[٦٥] ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ ﴾ لهم صالحٌ : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ﴾ عيشوا في
دياركم ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ ثم تهلكون ﴿ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ فيه ، تقدّم
ذكرُ القصة في الأعراف .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنَ
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ .

[٦٦] ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمة
﴿ مِنَّا وَمِنَ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ عطفٌ على (نَجَّيْنَا) ؛ أي : ونَجَّيْنَاهُمْ مِنْ ﴿ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ أي :
عذابهم في الدنيا . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، والكسائيُّ (يَوْمِئِذٍ) بفتح الميم ،
والباقون : بكسرهما على إضافة (يَوْمٍ) إلى (إِذْ) ، وأبو عمرو يدغمُ الياء في
الياء^(١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٥) ، =

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ القادرُ على كلِّ شيءٍ .

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمًا﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿الصَّيْحَةُ﴾ في اليومِ الرابعِ ، وذلك أن جبريلَ عليه السلام صاحَ صيحةً واحدةً ، فهلكوا .

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمًا﴾ تقدَّمَ تفسيرُهُ في سورةِ الأعرافِ [الآية: ٥] .

﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ يقيموا في ديارهم .

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ قرأ حمزة ، ويعقوب ، وحفص عن عاصم : (ثمود) غير منوّن ، والباقون : بالتنوين ^(١) .

﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ قرأ الكسائي : (لِثمود) بالخفض والتنوين ، والباقون : بنصب الدال ، فمن أجاز الصرف لأنه اسمٌ مذكّر ، ومن لم يُجزه جعله اسماً للقبيلة ^(٢) .

= و«تفسير البغوي» (٢/٤١١) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٩) ، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٢٠) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧) ، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥) ، و«تفسير البغوي» (٢/٤١٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٩-٢٩٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٢١) .

(٢) المصادر السابقة .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ (٦٩) .

[٦٩] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ هم جبريلُ ومن معه من الملائكة .

﴿ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾ بالبشارة بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، وبإهلاكِ قومِ لوطِ .

﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ نصبٌ على المصدرِ ، والعاملُ فيه مضمرٌ من لفظه ؛ كأنه قال : أسلم سلاماً .

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ ﴿ سَلَامٌ ﴾ مبتدأ وخبرٌ ، أي : سلامٌ عليكم . وقرأ حمزةٌ ، والكسائيُّ : (سِلْمٌ) بكسرِ السينِ بلا ألفٍ وسكونِ اللامِ ، بمعنى : السلام ، كما يقال : حلٌّ وحلالٌ^(١) .

﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ ﴾ أي : فما أبطأ بمجيئه ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ مشويٌّ بالحجارة المحمّاة في حفيرة ، وكان سميناً يسيل دَسَماً .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٠) .

[٧٠] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ إلى العجلِ . قرأ أبو عمرو : (رَأَى)

بإمالةِ الهمزةِ فقط ، وقرأ حمزةٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وابنُ ذكوانٌ عن ابنِ عامرٍ : بإمالةِ الراءِ تبعاً للهمزة ، واختلفَ عن هشامٍ وأبي بكرٍ^(٢) .

(١) المصادر السابقة .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٤-٤٥) ، و«الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٥١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٢٢) .

﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ ﴾ أَضْمَرَ ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ خوفاً ظهر أثره عليه، وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم، ظنوا أنه لم يأت بخير، وإنما جاء لشر.

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ يا إبراهيم.
﴿ إِنَّا ﴾ ملائكة الله ﴿ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾.

﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١).

[٧١] ﴿ وَأَمْرَاتُهُ ﴾ سارة بنت هاران بن ناحور، وهي ابنة عم إبراهيم ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ خلف الستر تسمع كلامهم.

﴿ فَضَحِكْتُ ﴾ أي: تبسمت سروراً بزوال الخيفة، وهو قول الجمهور، قيل: ضحكت؛ أي: حاضت، قال ابن عطية: وهو ضعيف قليل التمكن^(١).

﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ ﴾ أي: بعد ﴿ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ فَبَشَّرْتُ أَنَّهَا تعيش حتى ترى ولد ولدها. قرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: (يَعْقُوبَ) بنصب الباء عطفاً على (إِسْحَاقَ)، والباقون: بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف^(٢)؛ أي: ويعقوب مولود من بعده، واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (وَرَاءِ إِسْحَاقَ) كاختلافهم فيهما من قوله: (هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ) في سورة البقرة [الآية: ٥].

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٤).

﴿قَالَتْ يَوَئِلَيَّ ءَالِدُ وَاَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوَئِلَيَّ﴾ أي: يا عجباً، وتقال هذه اللفظة عند ورود أمر عظيم.

﴿ءَالِدُ وَاَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا﴾ وكانت ابنة تسعين سنة، وقيل غير ذلك. واختلاف القراء في قوله: (ءَالِدُ) كاختلافهم في قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) في سورة البقرة [الآية: ٦].

﴿بَعْلِي﴾ بعل المرأة: زوجها ﴿شَيْخًا﴾ نصبٌ حالٌ، وكان سن إبراهيم مئة وعشرين سنة، وقيل غير ذلك، فأنكرت ذلك عادة، وقالت: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: وجود الولد من كبيرين ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهو استعجابٌ من حيث العادة دون القدرة، وكان بين البشارة والولادة سنة.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكة منكرين: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بإيجاد الولد من كبيرين؟

﴿رَحِمْتُ اللَّهُ﴾ نُبُوَّتُهُ، و(رَحِمْتُ) رُسِمَتْ بالتاء في سبعة مواضع، وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، والكسائي^(١).

(١) انظر: الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿وَبَرَكْنَاهُ﴾ الأسباطُ من بني إسرائيل؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منهم، وكلُّ الأسباطِ من ولدِ إبراهيمَ، وقيل: المعنى: حقيقةُ الرحمةِ والبركةِ حالتانِ.

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصبٌ نداءٌ؛ أي: بيتَ إبراهيمَ، وفيه دليلٌ أن زوجةَ الرجلِ من أهلِ بيته؛ لأنها خوطبتُ به، فيقوى القولُ في زوجاتِ النبي ﷺ بأنهنَّ من أهلِ بيته الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ، بخلافِ ما تذهبُ إليه الشيعةُ من قولهم: أهلُ بيته الذين حُرِّموا الصدقةُ، فيدفعون الزوجاتِ؛ بغضاً في عائشة رضي الله عنها.

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمودٌ في أفعاله.

﴿مَجِيدٌ﴾ كثيرُ الرفعةِ والشرفِ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤).

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوفُ.

﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوبَ.

﴿يُجَادِلُنَا﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: أخذَ يجادلُنَا، ومعناه: يجادلُ رُسُلَنَا.

﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ في إهلاكهم، ومجادلته إياهم أن قال لهم: أَتُهْلِكُونَ قوماً فيهم خمسون مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقصُ حتى قال: واحد؟ قالوا: لا ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ غيرُ عَجُولٍ .

﴿ أَوَّهٌ ﴾ كثيرُ التأوُّهِ من الذُّنُوبِ ﴿ مُنِيبٌ ﴾ تائبٌ .

﴿ يَتَابَرَهُمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَاتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٧٦) .

[٧٦] وكان في قرى لوطٍ أربعُ مئةٍ ألفٍ، فقالتِ الرسلُ عندَ ذلك :

﴿ يَتَابَرَهُمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا ﴾ الجدالِ .

﴿ إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بإهلاكِهِمْ .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَاتِهِمْ ﴾ نازلٌ بِهِمْ ﴿ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ عنهم .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ (٧٧) .

[٧٧] ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ يعني : هؤلاءِ الملائكةُ .

﴿ لُوطًا ﴾ على صورةِ غُلَّامٍ مُرْدٍ حَسَانِ الوجوهِ .

﴿ سِئَاءَ بِهِمْ ﴾ أي : حزنَ لوطٌ بمجيئِهِمْ . قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ،

والكسائيُّ، ورويسٌ عن يعقوبَ : (سِئَاءَ) و(سِئَتْ) بإشمامِ السينِ الضَّمَّ حيثُ وقعَ^(١) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٠٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٥) .

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضيقُ الذَّرْعِ: عبارةٌ عن ضيقِ الوُسْعِ، وهو كنايةٌ عن شِدَّةِ الانقباضِ، المعنى: اغتمَّ غمًّا شديدًا خشيةً من قومِهِ أن يقصِدُوهم بالفاحشةَ لَمَّا رأى جمالَهُم، فيحتاجُ إلى المدافعةِ عنهم.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديدٌ.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٧٨).

[٧٨] رُوي أنهم جاؤوا منزلَ لوطٍ سرًّا، ولم يعلمَ بهم إلا أهلُ بيتِ لوطٍ، فخرجتِ امرأتهُ فأخبرتِ قومَهَا، وقالت: إِنَّ فِي بَيْتِ لوطٍ رجالاً ما رأيتُ مثلَ وُجُوهِهِمْ قَطُّ.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يُسرِعُونَ، وقيل: يُسْتَحْثُونَ.

﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ أي: ومن قبل ذلك الوقتِ.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ إتيانَ الذكورِ في أدبارِهِم.

﴿قَالَ﴾ لهم لوطٌ حينَ قصدوا أضيافَهُ: ﴿يَنْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: بالنكاحِ أحلُّ، وقى أضيافَهُ ببَنَاتِهِ، وكان في ذلك الوقتِ تزويجُ المسلمةِ من الكافرِ جائزاً كما رَوَّجَ النبي ﷺ ابنتيه من أبي العاصِ بنِ وائلٍ، وعُتْبَةُ بنِ أبي لهبٍ قبلَ الوحيِ وهما كافرانِ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركِ الفواحشِ ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ تَفْضَحُونَ.

﴿ فِي ضَيْفِي ﴾ بفعلكم الخبيث؛ لأنَّ العارَ يلزمني بذلك. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (تُخْزُونِي) بإثبات الياء حالة الوصل، ويعقوبُ بإثباتها وصلًا ووقفًا^(١)، وقرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (ضَيْفِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ صالحُ يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكر؟

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [٧٩].

[٧٩] ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: حاجة، فلا ننكحهنَّ.

﴿ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ من إتيان الذكور

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [٨٠].

[٨٠] ﴿ قَالَ ﴾ لهم لوطٌ عند ذلك: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ أنصاراً وأعواناً ﴿ أَوْ آوِي ﴾ أنضمَّ.

﴿ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ عشيرةٍ منيعةٍ، وجوابُ (لو) محذوفٌ؛ أي: لقاتلتكم وحُلْتُ بينكم وبينهم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦-١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبَاهُ لِكَيْ يُقْطَعَ مِّنَ آلِئِلٍ وَلَا يَلْتَفِتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (٨١).

[٨١] وكان لوط قد أغلق عليه وعلى أضيافه بابه، وهو يناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون في تسوّر الجدار، فلما رأت الملائكة ما يلقي لوط منهم.

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ بسوء، وإن ركنك لشديد، فخل بيننا وبينهم، ففتح الباب، فصفق جبريل وجوههم بجناحه، فأعمى أبصارهم، فذهبوا يتهدّدون لوطاً يقولون: مكانك حتى نصبح.

﴿ فَأَسْرِبْ ﴾ يا لوط ﴿ يَاهْلِكَ ﴾ بابتك وامراتك. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: (فأسر) بوصل الألف من سرى، والباقون: بقطعيها من أسرى، ومعناها واحد، وهو سير الليل^(١).

﴿ بِقُطْعِ مِّنَ آلِئِلٍ ﴾ بطائفة منه، قيل: إنه السحر الأول.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (امراتك) برفع التاء على الاستئناف، من الالتفات؛ أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، فإنها تلتفت فتهلك، وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من تبعه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)،

و«تفسير البغوي» (٢/٤١٧-٤١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٧-١٢٨).

التفتت، وقالت: واقوماه! فأدركها حجرٌ فقتلها. وقرأ الباقر: بنصب التاء على الاستثناء من الإسراء^(١)؛ أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها، وخلفها مع قومها؛ فإن هَواها إليهم، قال القرطبي: وهي القراءة البينة الواضحة المعنى^(٢).

﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ من العذاب، فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟ فقالت الملائكة: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ قال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾؟

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴾^(٨٢).

[٨٢] فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم عليهما السلام ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا.

﴿ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام حمل مدائنهم، الخمس، وهي سدوم، وهي القرية العظمى، وعمُورا، وأدم، وأصبؤين، ولُوشع بمن فيها على جناحه، وكانوا أربع مئة ألف، ورفعها حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح الديكة، لم يكفأ لهم إناء، ولم ينتبه نائم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي: على شذاذ القرى، وهم من لم يكن فيها.

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٨٠/٩).

﴿حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ سَجِيلٌ وَسِجِّينٌ: الصلب من الحجارة والطين
﴿مَنْضُودٍ﴾ متتابع يتبع بعضها بعضاً.

﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ٨٣.

[٨٣] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ نعتُ الحجارة؛ أي: مُعَلَّمَةٌ، عليها أمثال الجبال
لا تشبه حجارة الدنيا ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه.

﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني: تلك الحجارة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: مشركي مكة
﴿بِبَعِيدٍ﴾ أي: بمكان بعيد.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِمَ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ
غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ ٨٤.

[٨٤] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي: وأرسلنا إلى مَدْيَنَ ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ قَالَ يَنْقُورِمَ
آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴿وكان قومُ شُعَيْبٍ يُطْفِقُونَ مَعَ شُرَكَهْمَ،
فقال: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي: لا تَبَخَّسُوا.

﴿إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ﴾ سَعَةٍ وَخَصْبٍ، فلا حاجة لكم إلى التَّطْفِيفِ
﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يحيطُ بكم فيهلكُكم، والمرادُ:
يومُ القيامة. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَاكُمْ) (إِنِّي
أَخَافُ) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وافقَهُمُ الْكَسَائِيُّ فِي (إِنِّي أَرَاكُمْ) ^(١).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ وَيَقَوْمٍ أَوفُوا الْمَكِّيَّاتِ وَالْمِيزَاتِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿ وَيَقَوْمٍ أَوفُوا ﴾ أَتَمُّوا ﴿ الْمَكِّيَّاتِ وَالْمِيزَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل .
﴿ وَلَا تَبْخَسُوا ﴾ لا تُنْقِصُوا ﴿ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي : لا تَسْعُوا في فسادٍ .

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾ أي : ما أبقاه الله لكم من الحلال . وقف ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، ويعقوب على (بَقِيَّة) بالهاء ^(١) ، ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من التطفيف .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ لأنه لا ينتفع بالشواب إلا مؤمنٌ .
﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ أحفظكم من القبائح ، إِنْ عَلَيَّ إِلَّا الْبَلَاغُ .

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ نَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] وكان شعيب عليه السلام كثير الصلاة ﴿ قَالُوا ﴾ له سُخْرِيَّةٌ واستهزاء :

= (٢/ ٢٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١١) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٥٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص : ٢٥٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٩) .

﴿ يَشْعِبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ من الأوثان.

﴿ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا ﴾ من البخس والتطيف.

﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ قالوه استهزاء به، وأرادوا: الضالَّ السَّفِيهَ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (أَصْلَاتُكَ) بحذف الواو على التوحيد، والباقون بإثباتها على الجمع^(١)، واختلافهم في الهمزتين مِنْ (نَشَاءُ إِنَّكَ) كاختلافهم فيهما من (يَشَاءُ إِلَى) في سورة البقرة [الآية: ١٤٢].

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

[٨٨] ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ ﴾ بصيرة.

﴿ مِنْ رَبِّي ﴾ وهو ما آتاه الله من العلم والنبوة.

﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ مالا حلالاً، وجواب الشرط محذوف تقديره:

فهل يسع لي مع هذا الإنعام أن أشوب الحلال بالحرام.

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ ﴾ المعنى: ما أريد أن أنفرد

بشهواتكم اللاتي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٩).

﴿إِنْ أَرِيدُ﴾ فيما أمرُكم به وأنهاكم عنه .

﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ مُدَّة استطاعتي .

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي : لا أقدرُ على توفيقِ نفسي ، فكيف توفيق

غيري؟ والتوفيقُ : تسهيلُ سُبُلِ الخيرِ . قرأ الكوفيون ، وابنُ كثيرٍ ، ويعقوبُ

(تَوْفِيقِي) بإسكانِ الياء ، والباقون : بفتحها^(١) ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدتُ .

﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجعُ في جميعِ أموري .

﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ

هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ٨٩ .

[٨٩] ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ خلافي . قرأ الكوفيون ، وابنُ عامرٍ ،

ويعقوبُ : (شِقَاقِي) بإسكانِ الياء ، والباقون : بفتحها^(٢) .

﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ أي : على فعلٍ يصيبكم .

﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرقِ .

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الريحِ ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من الصَّيْحَةِ .

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ لأنهم قريبو المنازلِ والهلاكِ منكم .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٧) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٣٩) ، و«معجم

القراءات القرآنية» (٣/ ١٣١) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢) ، والمصادر السابقة .

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ .

﴿إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ﴾ عَظِيمُ الرَّحْمَةِ لِلتَّائِبِينَ ﴿وَدُودٌ﴾ مُحِبُّ أَوْلِيَائِهِ .

﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٩١﴾ .

[٩١] وجاء في الخبر: «أَنَّ شُعَيْبًا كَانَ خَطِيبَ الْأَنْبِيَاءِ»^(١) ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ﴾ لَا نَفْهَمُ ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ احْتِقَارًا بِكَ .

﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ عاجزاً عن التصرف، وذلك أنه كان ضَرِيرَ البصر .

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عَشِيرَتُكَ ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لَقَتَلْنَاكَ بِالْحِجَارَةِ، وَالرَّجْمُ: أَقْبَحُ الْقَتْلِ، وَقَالُوا ذَلِكَ تَأْلُفًا لِقَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِهِمْ لَا خَوْفًا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الرِّهْطَ مَا دُونَ الْعَشِيرَةِ .

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ تَمْنَعُنَا عِزَّتَكَ عَنِ الرَّجْمِ، بَلْ قَوْمُكَ الْأَعْزَةُ .

﴿قَالَ يَنْقُومِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾
﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] ﴿قَالَ يَنْقُومِ أَرْهَطِي﴾ أَتُرُونَ رَهْطِي .

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٧١)، عن محمد بن إسحاق . وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠/١٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥٠٤/٣) .

﴿أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: أهيَّبُ عندكم من الله. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وهشام عن ابن عامر: (أَرْهَطِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ أي: كالمنبوذ وراء ظهوركم. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام^(٢).

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خبرٌ في ضمنه توعدٌ، ولفظ الرجال والرهط لا يعمُّ النساء، ويعمُّ الناس ونحوه الكلُّ بالاتفاق، والقوم للرجال، ولهنَّ تبعاً.

﴿وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

[٩٣] ﴿وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ قوتكم طالبين هلاكي. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ) بالألف على الجمع، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٢).

﴿إِنِّي عَلِمْتُ﴾ بقوة الله ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيْنَا الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ،
والمخطيء في فعله، فذلك قوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يُذِلُّهُ.

﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ فسيعلم كذبه ويزوق وبال أمره.

﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ انتظروا العذاب.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أرقب نزول عذابكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ ﴿٩٤﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ قيل: صاح بهم جبريل صيحة، فخرجت أرواحهم من
أجسادهم، أنث الفعل على لفظ الصيحة، وقال في قصة صالح: ﴿وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ فذكر على معنى الصياح، قال ابن عباس: «ما
أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب أهلكهم الله
بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب من
فوقهم»^(١).

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ ميتين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ﴿٩٥﴾.

[٩٥] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ لم يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في الأرض ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ هلاكاً.

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٩٢).

﴿لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ﴾ هَلَكْتُ ﴿ثُمُودُ﴾ شَبَّهَهُم بِهِمْ؛ لِأَن عَذَابَهُمْ كَانَ شَبِيهَاً بِعَذَابِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٦﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بالتوراة.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حُجَّةٍ بَيْنَهُ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ﴿٩٧﴾.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ والملاؤ: الجمعُ من الرجال.

﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ بالكفرِ بِمُوسَى ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ليسَ بِمُصِيبٍ فِي مَذْهَبِهِ، وَلَا مُفَارِقٍ لِلْسَفَاهَةِ.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ ﴿٩٨﴾.

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ المَغْرَقِينَ مَعَهُ؛ أَي: يَتَقَدَّمُهُمْ.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أَدْخَلَهُمْ.

﴿النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ أَي: الْمَدْخَلُ الْمَدْخُولُ فِيهِ، وَأَوْقَعَ الْفِعْلَ الْمَاضِي فِي (أَوْرَدَهُمْ) مَوْقِعَ الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِلإِذَانِ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَاضِيَ مُتَيَقَّنُ الْوُجُودِ.

﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (٩٩).

[٩٩] ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ يُلْعَنُونَ أيضاً بدخولهم في

جهنم.

﴿ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ أي: بَسَّ العونُ المعانُ، وقيل: بَسَّ العطاءُ

المعطى لهم، والرَّفْدُ في كلام العرب: العَطِيَّةُ.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (١٠٠).

[١٠٠] ﴿ ذَلِكَ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا ﴾ من

القرى ﴿ قَائِمٌ ﴾ ما بقي حيطانهُ وسقطتْ سُقُوفُهُ ﴿ وَحَصِيدٌ ﴾ انمحق أثره.

قرأ أبو عمرو: (المرْفُودُ ذَلِكَ) بإدغام الدال في الذال^(١).

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي

يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴾ (١٠١).

[١٠١] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ لم نُهْلِكْهُمْ ظلماً ﴿ وَلَكِنْ ﴾ كانوا أَنْفُسَهُمْ

يُظْلَمُونَ ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالشَّركِ.

﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾

أي: نزل عذابه ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ أي: الأصنامُ بعبادتهم.

﴿ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴾ تخسير.

(١) ذكرها الصفاقسي في «الغيث» (ص: ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية»

(١٣٣/٣)، عن حمزة والكسائي وورش.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ .

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ﴾ أي : مثل ذلك الأخذِ أَخْذُ رَبِّكَ .
﴿الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي : وأهلها ظالمون، فحذف المضاف ؛ مثل :
﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ .

﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وجميعٌ، وهو مبالغة في التهديد، قال ﷺ :
«إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ الآية» (١) .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ .

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة .
﴿لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ يعتبره عظة .
﴿ذَلِكَ﴾ يومُ القيامةِ ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ﴾ المعنى : يُجْمَعُ الأولون
والآخرون جميعاً ثمَّ ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ فيه على جميع الخلق ولَهُمْ .

(١) رواه البخاري (٤٤٠٩)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾، ومسلم (٢٥٨٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - .

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

[١٠٤] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ ﴾ أي : ذلك اليوم . قرأ يعقوبُ : (يُؤَخِّرُهُ) بالياء ، والباقون : بالنون ، وأبو جعفرٍ ، وورشُ : بفتح الواوِ بغيرِ همزٍ^(١) .

﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ معلوم عند الله .

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ﴿١٠٥﴾ .

[١٠٥] ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ الضميرُ عائِدٌ إلى (يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ) . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، وأبو عمرو ، والكسائيُّ : (يَأْتِي) بإثباتِ الياءِ وصلًا ، وابنُ كثيرٍ ، ويعقوبُ : بإثباتِها في الحالينِ ، والباقون : بحذفها في الحالينِ ، فالقراءةُ بالإثباتِ على الوصلِ ، وبالحذفِ اكتفاءً بالكسرة^(٢) .

﴿ لَا تَكَلَّمُ ﴾ لا تَكَلَّمُ ﴿ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ في الشفاعةِ ، وكُلُّ الخلائقِ سُكُوتٌ إِلَّا مَنْ أذنَ له في الكلامِ . قرأ البزِّيُّ عن ابنِ كثيرٍ : (لا تَكَلَّمُ) بالمدِّ وتشديدِ التاءِ .

﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ﴾ بالعذابِ ﴿ وَسَعِيدٌ ﴾ بالنعيمِ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٧) ، و«تفسير البغوي» (٢/٣٢٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٤ أو ١٣٥) .

(٢) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٥٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٦٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٥) .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (١٠٦) .

[١٠٦] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا ﴾ باستحقاقهم النار بالكفر والمعصية ﴿ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ هو تردُّد النفس من شِدَّةِ الحزن ﴿ وَشَهِيقٌ ﴾ صوت مُمتدِّ .

﴿ خَلِيدٍ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٠٧) .

[١٠٧] ﴿ خَلِيدٍ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ أي : سمواتُ الآخرة وأرضها ؛ فَإِنَّ لهما سماءً وأرضاً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ، وتلك دائمةٌ أبداً ، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [الزمر: ٧٤] ، ولأنه لا بدَّ لأهلِ الآخرة مما يُقْلَهُمْ وَيُظْلَلُهُمْ إما سماءٌ يخلقها الله ، أو يظللهم العرشُ ، وكلُّ ما أَظْلَكَ ، فهو سماءٌ .
﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ استثناءٌ من الخلودِ في النارِ ؛ لأنَّ بعضهم ، وهم فُسَّاقُ الموحِّدين ، يخرجون منها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ من غيرِ اعتراضٍ .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (١٠٨) .

[١٠٨] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ﴾ باستحقاقهم الجنة بالإيمان والطاعة .
قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص عن عاصم : (سَعِدُوا) بضم السين ، من سَعِدَ بمعنى أَسْعَدَ ، والباقون : بفتحها من سَعِدَ ، وهما لغتان^(١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٦) ، =

﴿ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ دَخَلَ
النَّارَ مِنْ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُمْ مَفَارِقُونَ الْجَنَّةِ أَيَّامَ عَذَابِهِمْ ، وَهُمْ الْمُرَادُّ
بِالاسْتِثْنَاءِ الْأَوَّلِ ، تَلْخِيصُهُ : عَذَابُ الْفَرِيقَيْنِ وَنَعِيمُهُمْ دَائِمًا أَبَدًا إِلَّا قَدَرُ
مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ ﴾ ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴾ ﴿ مَقْطُوعٌ .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ
قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴾ ﴿ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾ .

[١٠٩] ثم قال تعالى مُخَاطَبًا نَبِيَّهُ ﷺ ، والمرادُ غيرُهُ : ﴿ فَلَا تَكُ فِي
مِرْيَةٍ ﴾ ﴿ شَكٌّ .

﴿ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ ضَالٌّ .

﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا ﴾ ﴿ كَانَ .

﴿ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿ تَقْلِيدًا لِآبَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ .

﴿ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴾ ﴿ نَصِيبُهُمْ ﴾ ﴿ حَظُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ ﴿ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ ﴿ أَي : وَافِيًا .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ
رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ ﴿ ١١٠ ﴾ .

[١١٠] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ ﴿ التَّوْرَةَ .

﴿ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ ﴿ فَمِنْ مُصَدِّقٍ بِهِ وَمَكْذُوبٍ كَمَا فَعَلَ قَوْمُكَ بِالْقُرْآنِ .

= و«تفسير البغوي» (٢/٤٢٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٥) .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب عنهم .

﴿ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ بإهلاك الكفار ، وإنجاء الأبرار .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ ﴾ من القرآن .

﴿ مُرِيبٌ ﴾ موقع الريبة ، وهي قلق النفس .

﴿ وَإِنَّ كَلَّا لَلْأَيُّوفِيِّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١١١﴾ .

[١١١] ﴿ وَإِنَّ كَلَّا ﴾ أي : وإن كلاً من الأمم التي عدّناهم المختلفين ،

المؤمنين منهم والكافرين . قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو بكر عن عاصم :
(وإن) بإسكان النون على إعمال المُخَفَّفَةِ عمل الثِقِيلَةِ اعتباراً لأصلها الذي
هو التثْقِيلُ ، وقرأ الباقون : بتشديدها^(١) .

﴿ لَمَّا ﴾ قرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة : بتشديد الميم ،

والباقون : بالتخفيف^(٢) ، ووجه تخفيف (لما) أن اللام هي الداخلة في خبر
(أَنَّ) المَخَفَّفَةِ والمَشْدَدَةِ ، و(ما) زائدة ، واللام في ﴿ لَيُؤْفِقِيَنَّهُمْ ﴾ جوابُ قسمٍ
محذوفٍ ، وذلك القسم في موضع خبر (إن) ، و(لَيُؤْفِقِيَنَّهُمْ) جوابُ ذلك
القسم المحذوف ، والتقدير : وإن كلاً لأُقْسِمُ ليُؤْفِقِيَنَّهُمْ ، ووجه تشديد (لَمَّا)
الجازمة حذف الفعل المجزوم ؛ لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : وإن كلاً لما
ينقص من جزاء عمله ، ويدلُّ عليه قوله :

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٦) ،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٦) .

(٢) المصادر السابقة .

﴿لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ لما أخبر [بعدم] ^(١) انتقاص جزاء أعمالهم، أكدّه بالقسم، قالت العرب: قاربت المدينة ولما؛ أي: ولما أدخلها، فحذف أدخلها؛ لدلالة المعنى عليه، والله أعلم، تلخيصه: وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح، وإيمان وجحود.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تهديد ووعد.

﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[١١٢] قال ﷺ: «شَيَّبَنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا»، قيل: أَشَيَّبَكَ مِنْهَا قِصْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ قَوْلُهُ: ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ﴾» ^(٢) أي: افتقر إلى الله تعالى بصحة العزم، والاستقامة: التبرؤ من الحول والقوة، وقيل: هي الميل إلى العدل.

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ أي: وليستقم المؤمن معك.

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تخرجوا عن حدود الله.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

(١) (بعدم) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٣٩)، عن أبي علي السري: أنه رأى النبي ﷺ في رؤيا فقال: يا رسول الله! روي عنك أنك قلت: شيبني... فذكره.

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتُمْسِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [١١٣].

[١١٣] ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ تَطْمِئِنُّوا وتسكنوا إلى قولهم، والركون: هو المحبة والميل بالقلب ﴿ فْتُمْسِكُمُ ﴾ فتصيبكم.

﴿ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: أعوانٍ يحفظونكم من العذاب ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

عن بعضهم: أنه سمع هذه الآية، فغشي عليه، فلما أفاق، قيل له في ذلك، فقال: هذا لمن ركن، فكيف بمن ظلم.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [١١٤].

[١١٤] ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ أوله وآخره، يعني: صلاة الصبح والمغرب، قاله ابن عباس، والحسن، ورجحه الطبري، وقيل غير ذلك^(١). قرأ أبو عمرو: (الصَّلَاةَ طَرَفِي) بإدغام التاء في الطاء^(٢).

﴿ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ ساعاته، واحدها زُلْفَةٌ. قرأ أبو جعفر: (وَزُلْفًا) بضم اللام، والباقون: بالفتح^(٣).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/١٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٨/٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ .

﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الْخَطِيئَاتِ ، نَزَلَتْ فِيمَنْ أَلَمَ بِمَا لَمْ يَحِلَّ .

عن ابن مسعودٍ أن رجلاً أصابَ من امرأةٍ قبلَةً حراماً ، فأتى النبي ﷺ ، فسأله عن ذلك وكفارتها ، فنزلت الآية ، فقال الرجلُ : ألي هذه يا رسول الله ؟ فقال : «لَكَ وَلِمَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»^(١) .

^١ وقال ﷺ : «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ»^(٢) .

﴿ذَلِكَ﴾ أَي : الْمَذْكُورُ مِنَ الْوَصِيَّةِ بِالْإِسْتِقَامَةِ وَتَرْكِ الطَّغْيَانِ وَالْمِيلِ إِلَى الظَّالِمِينَ ﴿ذِكْرِي﴾ مَوْعِظَةٌ ﴿لِلذَّكْرِينَ﴾ أَي : لِمَنْ ذَكَرَهُ ، وَخَصَّصَهُم بِالذِّكْرِ ؛ لِأَنَّهُم الْمُتَنَفِّعُونَ بِهِ .

﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١١٥) .

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَلْقَى مِنْ أَذَى قَوْمِكَ .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِي أَعْمَالِهِمْ .

= (٢/٢٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٨) .

(١) رواه البخاري (٥٠٣) ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : الصلاة كفارة ، ومسلم

(٢٧٦٣) ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

(٢) رواه مسلم (٢٣٣) ، كتاب : الطهارة ، باب : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى

الجمعة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [١١٦]

[١١٦] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي : فهلاً ﴿ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ التي أهلكناهم .

﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ والآية للتوبيخ .

﴿ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾ أي : ذوو جودٍ وخيرٍ ، وَسُمِّيَ الفضلُ والجودةُ بَقِيَّةً ؛ لأنَّ الرجلَ يستبقي أفضلَ ما يخرجُه ، يقالُ : هو من بَقِيَّةِ الناسِ ؛ أي : خيارِهِمْ . قرأ ابنُ جَمازٍ عن أبي جعفرٍ (بَقِيَّةٌ) بكسرِ الباءِ وسكونِ القافِ وفتحِ الياءِ مخففةً ، والباقون : بفتحِ الباءِ وكسرِ القافِ وتشديدِ الياءِ^(١) ، معناه : فهلاً كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ مِنْ خَيْرٍ .

﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : يقومون بالنهي عن الفسادِ ، ومعناه جَحْدٌ ؛ أي : لم يكنْ فيهِمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ استثناءً منقطعٌ ؛ أي : لكنَّ قَلِيلًا .

﴿ مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ نهوا عن الفسادِ ، وهم أتباعُ الأنبياءِ ، و(مِنْ) في (مِمَّنْ) للبيانِ لا للتبعيضِ ، تقديرُهُ : لكنَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ أَنْجَيْنَاهُمْ ؛ لأنَّهُمْ كانوا كذلك .

﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا ﴾ نَعَّمُوا ﴿ فِيهِ ﴾ من الشهواتِ .

﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ كافرينَ .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٣٨) .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ .

[١١٧] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ منه لهم ، تعالى عن ذلك .

﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ لأعمالهم مؤمنون .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ .

[١١٨] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ مسلمين كلهم .

﴿ وَلَا يَزَالُونَ ﴾ أي : أهل الباطل ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ على أديان شتى ؛ من بين يهودي ، نصراني ، ومجوسي ، ومشركي .

واختلف الأئمة في حكم الملل ، فقال أبو حنيفة : الكفر ملّة واحدة ؛ لأنه ضلال ، وهو ضدّ الإسلام ، ويتوارثون ، وإذا تنصّر يهودي ، أو عكسه ، ترك على حاله ، ولا يُجبر على الإسلام .

وقال مالك : الكفر ملل شتى ، فلا توارث بين اليهودي والنصراني ، وأما إذا انتقل الكافر من ملّة إلى أخرى ، أقرّ على كفره ، وأخذت منه الجزية ، كقول لأبي حنيفة .

وقال الشافعي : الكفر ملّة واحدة ، ويتوارثون ؛ كقول أبي حنيفة ، لكن لا توارث بين ذمي وحربي ، وأما إذا تنصّر يهودي ، أو عكسه ، أو تهوّد وثني ، أو تنصّر ، فلا يُقبل منه بعد انتقاله إلا الإسلام ، أو القتل .

وقال أحمد : الكفر ملل شتى مختلفة ، فلا يتوارثون مع اختلاف مللهم ؛ كقول مالك ، وأما إذا تهوّد نصراني ، أو عكسه ، لم يُقبل منه إلا الإسلام ، أو

الدينُ الذي كانَ عليه، وإن انتقلَ كتابيُّ أو مجوسيُّ إلى غيرِ دينِ أهلِ الكتابِ، لم يُقَرَّر، ويؤمرُ أن يسلمَ، فإن أبى، قُتِلَ وإن انتقلَ غيرُ الكتابيِّ إلى دينِ أهلِ الكتابِ، أُقِرَّ وكذا الوثنيُّ إذا تمجَّسَ، والله أعلم.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩).

[١١٩] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: لكن من رحم ربك، فهداهُ إلى الحقِّ فهم لا يختلفون ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: للرحمة، يعني: الذين رحمهم، وقيل: معناه: للاختلافِ خلقهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبَ حكمه، وهو.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: من عُصَاتِهِمَا.

﴿أَجْمَعِينَ﴾ واللام في (لأملأن) لامُ القسم، إذ الكلمةُ تتضمنُ القسمَ، والجنُّ جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، والجنةُ للمبالغة، وإن كانَ الجنُّ يقعُ على الواحدِ، فالجنةُ جمعةُ.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠).

[١٢٠] ﴿وَكُلًّا﴾ أي: كلَّ نبأٍ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ أخبارِهم.

﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: لنثبت، أي: نسكن به فؤادك؛ لتزدادَ يقيناً،

ويقوى قلبك. قرأ ورش عن نافع (فَوَادَكَ) بفتح الواو وبغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ أي: السورة ﴿الْحَقُّ﴾ صدق الأنبياء.
﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيتعظون بما جرى للأمم.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾^١

[١٢١] ثم تهددهم بقوله ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ على حالنا. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ) على الجمع، والباقون على الأفراد.

﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾^٢

[١٢٢] ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ حلول النقم بكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^٣

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب عن العباد

فيهما.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٠).

﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ في المعاد. قرأ نافع، وحفص عن عاصم:
(يُرْجَعُ) بضم الياء وفتح الجيم؛ أي: يُرَدُّ، والباقون: بنصب الياء وكسر
الجيم؛ أي: يعود حتى لا يكون للخلق أمر^(١).

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثِقْ بِهِ؛ فإنه كافيك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر،
ويعقوب، وحفص عن عاصم: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون:
بالغيب^(٢).

وتقدّم في أول سورة الأنعام ما روي عن كعب أنه قال: «فاتحة التوراة
فاتحة الأنعام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إِلَى ﴿يَعْدِلُونَ﴾ وخاتمة التوراة خاتمة هود
﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾»^(٣).

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا رَسُولَ اللَّهِ! شَبْتُ، قال: «شَبَّيْتَنِي
هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»^(٤)،
والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)،

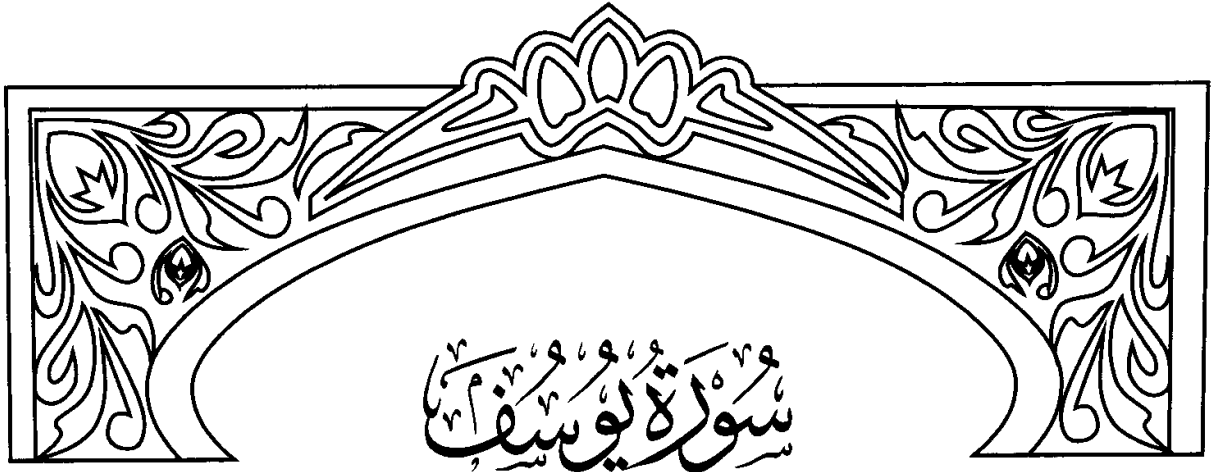
و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٠-١٤١).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الترمذي (٣٢٩٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، وقال:

حسن غريب، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٧)، والحاكم في «المستدرک»
(٣٣١٤)، وغيرهم.



مكية، آيها مئة وإحدى عشرة آية، وحروفها سبعة آلاف وثلاثة وأربعون حرفاً، وكلمها ألف وست وسبعون كلمة.

عن ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استروح^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رُوي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام، فنزلت السورة، ولم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء عليهم السلام^(٢).

﴿الرَّتْلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

[١] قوله عز وجل: ﴿الرَّتْلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تقدم الكلام عليه، ومذاهب القراء فيه في أول سورة يونس.

﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه السورة ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: البين حلاله

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٣٤).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/١١٨).

وحرامه وحدوده وأحكامه ؛ من أبان بمعنى : أظهر .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ أي : الكتاب المتضمن قصة يوسف وغيرها .

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ بلغتكم . قرأ ابن كثير (قُرْآنًا) بالنقل^(١) ، و(قرآنًا) حالٌ و(عربياً) صفةٌ له .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لكي تعلموا معانيه ، وتفهموا ما فيه ، والعقل : إدراكٌ معنى الكلام .

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ نبين لك خبر من تقدمك أحسن بيان .

﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا ﴾ بإيحائنا ﴿ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ أي : هذه السورة .

﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي : وقد كنت قبل القرآن .

﴿ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ أي : الساهين عن قصة يوسف لا تعلموها .

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٢٥٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٦٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ١٤٥) .

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [٤]

[٤] ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ ﴾ أي : واذكرْ إذ قال يوسف .

﴿ لِأَبِيهِ ﴾ ويوسف اسمٌ عبرانيٌّ لا يجري فيه الإعرابُ .

﴿ يَتَابَتِ ﴾ قرأ أبو جعفر ، وابنُ عامرٍ : (يا أَبَتَ) بفتح التاء حيثُ وقعَ على تقديرٍ : يا أبتاهُ ، ووقفاً (يا أَبَهُ) بالهاء الساكنة ، ووافقهما على الوقف ابنُ كثيرٍ ، ويعقوبُ ، وقرأ الباقر ، ومنهم ابنُ كثيرٍ ، ويعقوبُ : بكسر التاء ؛ لأن أصله (يا أَبَهُ) ، والجزمُ يحركُ إلى الكسر^(١) .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ قرأ أبو جعفر : (أَحَدَ عَشَرَ) بإسكانِ العين ، والباقر : بفتحها^(٢) .

﴿ كَوْكَبًا ﴾ أي : نجماً من نجوم السماء .

﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ولم يقل : رأيتها لي ساجدةً ، جمعهم جمعَ العقلاء ؛ لوصفهم بالسجود .

وكان يوسفُ قد رأى في نومِهِ وهو ابنُ اثنتي عشرة سنةً ليلةَ القدرِ ، ورأى أن أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ قد نزلوا فسجدوا له .

روي عن جابرٍ : أن يهودياً جاءَ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : يا محمدُ !

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٤٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٧) ، و«تفسير البغوي» (٣٤٣/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١ ، ٢٩٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٦) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧) .

أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف، فسكت رسول الله ﷺ، فنزل جبريل فأخبره بذلك، فقال عليه السلام لليهودي: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ هَلْ تُسَلِّمُ؟»، قال: نعم، قال: «جَرَبَانُ؛ وَالطَّارِقُ، وَالذَّيَالُ، وَقَابِسُ، وَعَمُودَان، وَالْفَلَيْقُ، وَالْمُصْبِحُ، وَالصَّروخُ، وَالْفَرْعُ، وَوَثَّابُ، وَذُو الْكَتِفَيْنِ رَأَاهَا يُوسُفُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَجَدْنَ لَهُ»، فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماءها^(١).

وكان النجوم في التأويل إخوته، وكانوا أحد عشر؛ لأنه يُستضاء بالإخوة كما يُستضاء بالكواكب، وَالشَّمْسُ أُمُّهُ، وَالْقَمَرُ أَبُوهُ.

﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

[٥] فلما ذكر ذلك لأبيه ﴿قَالَ يَبْنَى﴾ قرأ حفص عن عاصم: (يَا بَنَى) بفتح الياء، والباقون: بكسرهما، وتصغير (بني) للشفقة^(٢).

﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أَنَّ الله يصطفيه لرسالته، ويفوق على إخوته، فخاف عليه حسدهم، فأمره

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٠١/٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٥٩/١)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٥٠/١)، والحاكم في «المستدرک» (٨١٩٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٨٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٧/٣).

بالكتمان . قرأ الكسائي بخلافٍ عنه : (رُؤْيَاكَ) بالإمالة^(١) .

﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالون في هلاكك ؛ لأنهم يعلمون تأويلها .

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ﴾ يحملهم على الحسد والكيد .

﴿مُبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوةِ بينها .

قال عليه السلام : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ ، فَلَا يُحَدِّثُ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ ، فَلَا يُحَدِّثُ بِهِ ، وَلْيَتَّقِلْ عَنْ يَسَارِهِ ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ شَرِّ مَا رَأَى ؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»^(٢) .

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٦) .

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ يقولُه يعقوبُ عليه السلام ليوسفَ ؛ أي : كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا ، فكذلك ﴿يَجْنِيكَ﴾ يصطفيك ﴿رَبُّكَ﴾ بما هو أعظم منها .

﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ أي : وهو يعلمُكَ ﴿مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبيرِ الرؤيا ، وما يؤولُ أمرها إليه ، وكان يوسفُ أعبرَ الناسِ للرؤيا .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٤٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٧/٣) .

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٧) ، كتاب : التعبير ، باب : إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها ، ومسلم (٢٢٦١) ، كتاب : الرؤيا ، عن أبي سلمة - رضي الله عنه - .

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة وباحتياج إخوتك إليك ﴿وَعَلَىٰ آلٍ﴾ أي :
أولادٍ ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنبوة أيضاً ؛ لأنهم كانوا أنبياء .

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي : أبيك وجدك ؛ فَإِنَّ الْجَدَّ أَبٌ فِي
الأصالة ، يقالُ : فلانُ بنُ فلانٍ ، وبينهما عدةٌ آباءٍ ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ بجعلهما
نَبِيِّنِ .

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الاجْتِبَاءَ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنِيعِهِ ، وكان
بينَ رؤيا يوسفَ وتحقيقها بمصيرِ أبيه وإخوته إليه أربعونَ سنةً في قولِ
الأكثرِ .

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ أي : في خبره وخبرِ إخوته ، وهم
روبيلُ ، وهو أكبرهم ، وشمعون ، ولاوى ، ويهودا ، وزلون ، ويساخر
وأُمُّهم لِيَا بِنْتُ لِيَانَ ، وهي ابنةُ خالِ يعقوبَ ، وولد له من سُرِّيَّتَيْنِ اسمُ
إحداهما زُلْفَى ، والأخرى بُلْهَةُ أربعةٌ ، وهم : دان ، ونَفْتَالِي ، وكاد ، وأشر ،
ثم توفيت ليا ، فتزوج يعقوبُ أختها راحيلَ ، فولدت له يوسفَ وبنيامينَ ،
فكان بنو يعقوبَ اثني عشرَ رجلاً .

﴿ءَايَاتٌ﴾ عِظَاتٌ ﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾ عنها ، وغير السائلين ، وذلك أن
اليهود لما سألوا رسولَ الله ﷺ عن قصةِ يوسفَ ، فذكر لهم القصةَ ،
فوجدوها موافقةً لما في التوراةِ ، فعجبوا منه ، فهذا معنى قوله تعالى :
(لآيَاتُ) ؛ أي : دلالةٌ على نبوةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ . قرأ ابنُ كثيرٍ : (آيَةٌ)

على التوحيد، والباقون: (آيات) على الجمع^(١).

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٨).

[٨] ﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ ﴾ اللام فيه جوابُ القسم، تقديره: والله ليوسف وأخوه بنيامين.

﴿ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا ﴾ وكان يعقوب شديد الحب ليوسف، فكان يرى منه الميل إليه ما لا يرى لإخوته.

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ جماعة عشرة تُعَصَّبُ بنا الأمور، وفيها كفاية، ويفضّلُهما علينا، ولا كفاية فيهما؛ لصغرهما، وأصل العصبه والعصابة التَّعَصُّبُ والشَّدُّ، وتطلق على الثلاثة أو العشرة إلى الأربعين.

﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: خطأ من رأيه ظاهر؛ لاختيارهما علينا، وليس المراد الضلال عن الدين. قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: (مُبِينٍ اقْتُلُوا) بكسر التنوين في الوصل لالتقاء ساكن التنوين والقاف، وقرأ الباكون: بكسر النون وضمّ التنوين إتباعاً لضمّة التاء ومراعاة لها، واختلف عن ابن ذكوان في الكسر والضمّ، والوجهان صحيحان عنه^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/٤٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٤٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٥٠).

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ كانت هذه مقالة شمعون، أو دان .
﴿ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ أي : أَبْعِدُوهُ إِلَى أَرْضٍ بَعِيدٍ مِنْ أَبِيهِ .
﴿ يَخْلُ ﴾ أي : يَخْلُصُ ﴿ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ فَيُقْبَلُ بِكُلِّيَّةٍ عَلَيْكُمْ .
﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ بَعْدَ يُوسُفَ وَالْفَرَاغِ مِنْ أَمْرِهِ .
﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ يَصْلُحُ حَالُكُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ ، وَقِيلَ : مَعْنَى (صَالِحِينَ) ؛
أي : تَائِبِينَ ، تَحْدِثُوا بَعْدَ ذَلِكَ تَوْبَةً ، فَيَقْبَلُهَا اللَّهُ مِنْكُمْ .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ هُوَ يَهُودَا عَلَى الْأَصَحِّ .
﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ نَهَاهُمْ عَنْ قَتْلِهِ ، وَقَالَ : الْقَتْلُ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ .
﴿ وَالْقَوَّةَ ﴾ اطْرَحُوهُ ﴿ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾ قَعْرِهِ ، وَالْغِيَابَةُ : مَا غَابَ عَنِ الْعَيْنِ ، وَالْجُبُّ : الْبُئْرُ الَّتِي لَمْ تُطَوَّ ؛ لِأَنَّهَا جُبَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ؛ أَي : قُطِعَتْ ، وَالْبُئْرُ بَيْنَ مِصْرَ وَمَدْيَنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَنْزِلِ يَعْقُوبَ . قَرَأَ نَافِعٌ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ : (غِيَابَاتٍ) عَلَى الْجَمْعِ ^(١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٤٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٧) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٠) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٠) .

في الموضوعين ، والباقون : (غِيَابَة) على الواحدِ فيهما .

﴿ يَلْقَظُهُ ﴾ يأخذه من غير طلبٍ ولا قصدٍ ﴿ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ المسافرين .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ما عَزَمْتُمْ عليه من القتلِ ؛ فَإِنَّ القتلَ عَظِيمٌ ، وهم كانوا يومئذٍ بِالْغَيْنِ ، ولم يكونوا أنبياءَ بعدُ .

أما حكمُ اللقيطِ ، وهو الطفلُ المنبوذُ ، فالتقاطُهُ مندوبٌ عندَ أبي حنيفة ، وعندَ الثلاثةِ فرضٌ كفايةً ، وهو حرٌّ مسلمٌ إِنْ وُجِدَ في بلدٍ فيه مسلمٌ يولدُ لمثله عندَ الثلاثةِ ، وقال أبو حنيفة : إِنْ التَّقِطَ من بَيْعَةٍ أو كَنِيسَةٍ أو قريةٍ من قُرَاهِمَ ، فيكونُ ذِمِّيًّا ، وأما حضانتُهُ ، فلواجِبُهُ إِنْ كَانَ عدلاً بالاتفاق ، وما وُجِدَ معه فنفقتهُ منه ، وإِلَّا من بيتِ المالِ بالاتفاق ، ومن ادَّعاهُ لحقٍّ به نَسَباً لا ديناً عندَ الثلاثةِ ، وعن مالكٍ في استِلْحَاقِ الملتقطِ المسلمِ بغيرِ بينةٍ قولان ، وفي مسلمٍ غيرِ الملتقطِ أقوالٌ ، ثالثُها : إِنْ أَتَى بوجهه ، لحقَّ ؛ كمن زعمَ أَنه طرَحَه ؛ لأنَّه لا يعيشُ له ولدٌ ، وسمعَ أَنه إذا طرَحَهُ عاشَ ، وأما الذميُّ ، فإنه لا يلحقُهُ إلا ببينةٍ ، وميراثُهُ وديتُهُ لبيتِ المالِ بالاتفاق .

وأما اللُّقْظَةُ ، وهي المالُ الضائعُ من رَبِّه ، فقال أبو حنيفة : أَخْذُهَا أَفْضَلُ ، وقال مالكٌ : يُسْتَحَبُّ أَخْذُهَا بنيةٍ حفظِها إِنْ كانتُ مما لَهُ خَطَرٌ ، وقال الشافعيُّ : يُسْتَحَبُّ لوائقُ بأمانةٍ نَفْسِهِ ، وقال أحمدٌ : تركُها أَفْضَلُ ، ويجوزُ أَخْذُهَا لمن أَمِنَ نَفْسَهُ .

فمن وجدَ ما تقلُّ قيمتهُ ، ولا تتبعُهُ الهِمَّةُ ، ملكه بغيرِ تعريفٍ بالاتفاق ، وأما الحيوانُ الممتنعُ بنفسِهِ ؛ كبعيرٍ وفرسٍ ونحوِهما ، فيجوزُ التقاطُهُ عندَ

أبي حنيفة، وعند الشافعيّ إن وُجدَ بمفازةٍ، جازَ التقاطُه للحفظِ، ويحرمُ للتملُّكِ، وإن وُجدَ بقريّةٍ، جازَ التقاطُه للتملُّكِ، وقالَ مالكٌ: لا يلتقطُ الإبلُ في الصحراءِ، وعنه في غيرِ الإبلِ خلافٌ، وقالَ أحمدٌ: لا يجوزُ التقاطُها، ولا يبرأ مَنْ أخذَها إلا بدفعِها إلى الإمام، وما عدا ذلكَ من سائرِ الأموالِ، فقال أبو حنيفة: يُعرِّفُها مدةٌ يغلبُ على ظنِّه أن صاحبَها لا يطلبُها بعدَ ذلكَ الزمانِ الذي عرِّفَ فيه، قال: وتعريفُ ما دونَ عشرةِ دراهمٍ أياماً بلا تقديرٍ، وما فوقَها حولاً، ثم يتصدَّقُ بها إن شاء، فإن جاءَ صاحبُها، فأَمْضَى الصدقةَ، وإلا ضمنَها الملتقطُ أو المسكينُ إن شاء، وإن كانتَ قائمةً، أخذَها منه، ولا تُدفعُ إليه إلا ببينةٍ، ويحلُّ للملتقطِ دفعُها بذكرِ علامةٍ، ولا يُجبرُ على ذلكَ، وقالَ مالكٌ: يُعرِّفُها سنةً، فإذا جاءَ طالبُها، فعَرَّفَها بعلامتها، دفعَها إليه بلا بينةٍ، وإن لم يأتِ لها طالبٌ، فإن شاءَ تركَها في يده أمانةً، وإن شاءَ تصدَّقَ بها بشرطِ الضمانِ، وإن شاءَ تملَّكها على كراهةٍ، وقال الشافعيُّ: يعرِّفُها سنةً، والحقيرُ زمنًا يظنُّ أن فاقده يُعرضُ عنه غالباً، وإذا عرِّفَ سنةً، لم يملكها حتى يختارَهُ بلفظٍ؛ كتملكتُ، فإذا ظهرَ المالكُ، أخذَها، وإن تلفتُ، غرمَ مثلَها أو قيمَتَها يومَ التملُّكِ، وإن وصفَها، وظنَّ صدقَه، جازَ الدفعُ، ولا يجبُ، وقالَ أحمدٌ: يعرِّفُها سنةً، ثم تدخلُ في ملكه بعدَ الحولِ حكماً كالْميراثِ، فمتى جاءَ طالبُها، فوصفَها، لزَمَ دفعُها إليه أو مثلُها إن هلكَتْ بلا بينةٍ.

ولا فرقَ بينَ لُقطةِ الحرمِ وغيرِه عندَ الثلاثةِ، وعند الشافعيّ لا تحلُّ لقطةُ الحرمِ للتملُّكِ، ويجبُ تعريفُها قطعاً، والله أعلم.

﴿ قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُون ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] فلما أجمع إخوة يوسف على التفريق بينه وبين والده بضرب من الحيل .

﴿ قَالُوا ﴾ ليعقوب :

﴿ يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ لِمَ تخافنا عليه؟ بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم . وأجمع القراء على قراءة (مالك لا تأمنا) بإدغام النون الأولى في الثانية، واختلفوا في اللفظ به، فقرأ أبو جعفر بإدغامه محضاً من غير إشارة، بل يلفظ بنون مفتوحة مشددة، وهو على أصله في إبدال الهمز حرف مد، وقرأ الباقر بالإشارة، واختلفوا فيها، فبعضهم جعلها رَوْماً، فيكون حينئذ إخفاء، ولا يتم معها الإدغام الصحيح، وبعضهم جعلها إشماماً، فيشير إلى ضم النون بعد الإدغام، فيصح معه حينئذ الإدغام، قال ابن الجزري: وبالقول الثاني قطع سائر أئمة أهل الأداء من مؤلفي الكتب، وحكاها أيضاً الشاطبي، قال: وهو اختياري؛ لأنني لم أجذ نصاً يقتضي خلافه، ولأنه الأقرب إلى حقيقة الإدغام، وأصرح في اتباع الرسم، انتهى (١).

﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُون ﴾ قائمون بمصلحته وحياطته حتى نردّه إليك .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٤٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٥١-١٥٢)، وذكر البغوي أن قراءة أبي جعفر هي رواية عن نافع أيضاً.

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ [١٢].

[١٢] ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا ﴾ إلى الصحراء .

﴿ يَرْتَع وَيَلْعَب ﴾ نُنَعَّم ونَلْهُو . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر : بالنون فيهما، وابن كثير : بكسر العين من (نَرْتَع)، ورواية قبل يثبت الياء بعد العين وصلأ ووقفأ، وقرأ نافع، وأبو جعفر : بالياء فيهما مع كسر العين من (يَرْتَع)، وقرأ الباقون، وهم : الكوفيون، ويعقوب : بالياء فيهما مع إسكان العين من (يَرْتَع)؛ كأبي عمرو وابن عامر، فالقراءة بالنون فيهما أسند الفعل إلى جميعهم، ولم يكونوا أنبياء يومئذ، وبالياء فيهما أسند الفعل إلى يوسف، وبكسر العين من (نَرْتَع) من الرعي، فلامه ياء حذفت للجزم، وبقيت الكسرة تدلُّ عليها، وبإسكان العين جزماً جواباً (لأرسله) (١).

﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ أن يناله مكروه.

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ قَالَ ﴾ لهم يعقوب : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي ﴾ قرأ نافع (لَيَحْزُنُنِي) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون : بفتح الياء وضم الزاي، وفتح أبو جعفر،

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٤٤١/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٥٢-١٥٤).

ونافع، وابن كثير ياء الإضافة، وأسكنها الباقون^(١).

﴿أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: ذهابكم به، والحزن هاهنا ألم القلب بفراق المحبوب.

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾، وكان يعقوب قد رأى في منامه أن الذئب قد شدَّ على يوسف، فكان يخاف من ذلك ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون بعملكم. قرأ أبو جعفر، والكسائي، وخلف، وورش عن نافع: (الذَّيْبُ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز^(٢).

﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ﴾.

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ﴾ التقدير: والله لئن ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ عشرة، وجواب القسم ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ﴾ ضعفاء مغبونون.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[١٥] ثم قالوا ليوسف: أما تحبُّ الخروج معنا؟ قال: بلى، قالوا:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٩٦، ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١-٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٥).

فسل أباك، قال: يا أبي! إني أرى من إخوتي اللطف فأحب أن ترسلني معهم إلى الصحراء، فأرسله.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ جعلوا يحملونه على عواتقهم إكراماً له، وسروراً به، فلما أبعادوا به عن العيون، ألقوه، وجعلوا يضربونه، وكلما لجأ إلى واحد منهم، ضربه، ولا يزداد عليه إلا غلظة وحنقا، وجعل يبكي بكاء شديداً، وينادي: يا أبتاه! يا يعقوب! ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك، لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء! قالوا: فأخذه روبيل فجلده به الأرض، وثبت على صدره، وأراد قتله، فقال: مهلاً يا أخي، لا تقتلني، فقال له: قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه ليكسرهما، فنادى: يا يهودا! وكان أرفقهم به اتق الله وحل بيني وبين من يريد قتلي، فأخذته رقة ورحمة، فقال يهودا: ألستم قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ قالوا: بلى، قال: فأنا أدلكم على ما هو خير لكم من القتل، ألقوه في الجب، قالوا: نفعل.

﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾ عزموا على إلقائه.

﴿فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ تقدّم تفسيره، واختلاف القراء فيه، ومحل الجب عند تفسير الحرف المتقدم، وجعل يوسف يتعلّق بشياهم، فنزعوها من يديه، فتعلّق بشفير البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من الكذب، فقال: يا إخوتي! ردوا عليّ ثوبي أستر به عورتي في حياتي، ويكون كفنًا لي بعد مماتي، فلم يفعلوا، وألقوه، وكان يعقوب قد جعل قميص إبراهيم الذي كسّيه لما ألقى في النار في قصبة، وشدّ رأسها، وعلّقها في عنق يوسف؛ لما كان يخاف عليه من العين، وكان لا يفارقه، فأخرج جبريل وألبسه إياه، وقام على صخرة بجانب البئر، فأرادوا رضحته بحجر، فمنعهم

يهودا، وجاءه جبريلُ ليؤنسه، وقال له: إذا هبتَ شيئاً، فقل: يا صريخَ المستصرخين، ويا غياثَ المستغيثين، ويا مفرجَ كربِ المكروبين، قد ترى مكاني، وتعلمُ حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، فلما قالها، حَقَّتْهُ الملائكةُ، فأنسَ بهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ وكان ابنَ ثمانِي عشرة سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك ﴿لَتُبَيِّنَهُمْ﴾ فيما يُستقبل ﴿بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ الذي فعلوا بك. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْكَ يوسُفُ؛ لعلَّوْ قدرِكَ، وبعدَ عهدِهِم عنكَ.

﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

[١٦] ثم نَحَرُوا سَخْلَةً، وَلَطَّخُوا قَمِيصَهُ بدمِهَا، ولم يَشْقُوهُ ﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ أي: مُتَبَاكِينَ وقتَ المساء؛ ليكونوا أَجْرَأَ على الاعتذارِ بالكذب.

﴿قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾.

[١٧] فرُوي أن يعقوبَ سَمِعَ صياحَهُم وعويلَهُم، فخرجَ فقال: مالكم يا بني؟ أصابَكُمْ في غنمِكُم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابَكُمْ؟ وأين يوسفُ؟

﴿قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ من السَّباقِ في الرَّمْيِ بالسَّهام. ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا﴾ ثيابنا.

﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ ﴾ بمصدقٍ .

﴿ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ لسوء ظنك بنا ، وفرط محبتك ليوسف .

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أي : مكذوب فيه ؛ لأنه لم يكن دم يوسف ، فقال يعقوب : كيف أكله الذئب ، ولم يشق قميصه ؟ فاتهمهم ، ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي : زينت ﴿ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وهشام (بل سَوَّلَتْ) بإدغام اللام في السين ، والباقون : بالإظهار^(١) .

﴿ فَصَبْرٌ ﴾ أي : فأمر صبر .

﴿ جَمِيلٌ ﴾ والصبر الجميل : ما لا شكوى فيه إلى مخلوق .

﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ﴾ أي : أطلب منه العون .

﴿ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ من شأن يوسف .

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوُهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩) .

[١٩] ولبت في البئر ثلاثة أيام ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ جماعة يسرون من مدين إلى مصر ، أخطأوا الطريق ، فنزلوا قريباً من الجب ، وكان في قعر بعيد

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٢٥٨) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص : ٢٦٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٦) .

من العمران، وكان ماؤه ملحاً، فعذب حين أُلقي يوسف فيه .

﴿فَازْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي لهم منه، وهو مالك بن ذعر الخزاعي .

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ ليملاًها، فتعلق يوسف بالحبل، فلما خرج، إذا هو بـغلام أحسن ما يكون من الغلمان، قال النبي ﷺ: «قَدْ أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ، وَالنِّصْفُ الْآخَرُ لِسَائِرِ النَّاسِ»^(١)، فلما رآه مالك بن ذعر .

﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب: (يَا بُشْرَايَ) بياء مفتوحة بعد الألف؛ أي: بشّر المستقي نفسه وأصحابه، يقول: أبشروا بـغلام، وقرأ الباقر، وهم الكوفيون: (يَا بُشْرَى) بغير ياء إضافة على وزن فُعْلَى^(٢)، يريد: نادى المستقي رجلاً من أصحابه اسمه بُشْرَى، وأمال حمزة، والكسائي، وخلف فتحة الراء، وقرأ ورش الراء بين اللفظين، والباقر: بإخلاص فتحها،

(١) رواه مسلم (١٦٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - في حديث الإسراء الطويل، وفيه: «... ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطي شطر الحسن». وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٣٦/٧) عن ربيعة الجرشي قال: قسم الحسن نصفين، فجعل ليوسف وسارة النصف، والنصف الآخر لسائر الناس.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٤٤٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٧/٣).

واختلفَ عن أبي عمرو، وابن ذكوان^(١).

﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ﴾ الضميرُ للواردِ وأصحابه؛ أي: أخفوا أمرَ يوسفَ، وقالوا: دفعه لنا أهلُ الماءِ لنبيعه لهم بمصرَ؛ لئلا يطالبهم رُفقتُهم بالشركة فيه، ورُوي أنَّ إخوةَ يوسفَ أخفوا شأنه؛ لأنه لما أخذهُ المدلي، علم به يهودا؛ لأنه كان يأتيه بطعامه، فذهب وإخوته إلى السيارة، فقالوا: هذا عبدٌ لنا أبقَ، فاشتروه منا، ويوسفُ ساكتٌ لا يتكلَّمُ مخافةَ القتلِ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم تخفَ عليه أسرارُهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ السيارةُ من إخوته. قرأ ابنُ كثيرٍ: (وَشَرَوْهُ) بواو يصلُّها بهاء الكناية في الوصلِ، وتقدَّم التنبيهُ عليه أولَ سورةِ البقرة^(٢) ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقصٍ عن القيمةِ.

﴿دَرَاهِمَ﴾ لا دنانيرَ ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة؛ لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ أوقيةً، وهو أربعون درهماً، ويعُدُّون ما دونها، وكانت الدراهمُ عشرين درهماً، فاقْتَسَمَهَا إخوةُ يوسفَ درهمين درهمين.

﴿وَكَانُوا﴾ إخوةُ يوسفَ ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ لبعده عنهم.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥-٣٦)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) عند تفسير الآية: (٢).

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢١].

[٢١] فلما قدمت السيارة بيوسف مصر، دخلوا به السوق يعرضونه للبيع، وكانت قوافل الشام تنزل بالناحية المعروفة اليوم بالموقف، وهي ظاهر مصر خارج كوم الجارج بالقرب من الجامع الطولوني، فوقف الغلام، ونودي عليه، فاشتراه قطفير صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يُسمَّى العزيز، واشتراه بعشرين ديناراً وزوج نعل، وثوبين أبيضين، وقيل غير ذلك.

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ هو قطفير المذكور ﴿ لِامْرَأَتِهِ ﴾ واسمها زليخا، وقيل: راعيل ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ منزله؛ أي: أحسني تعهده.

﴿ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فيما نحتاج إليه، وكان العزيز لا يولد له فقال:

﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ نبتناه؛ لما رأى فيه من مخايل الفلاح.

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي: وكاننا يوسف من الشدائد وعطف قلب العزيز عليه.

﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض مصر؛ بأن جعلناه حاكماً عليها.

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ وهي تعبیر الرؤيا.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ الهاء في (أمره) لله تعالى؛ أي: لا مانع

لقضائه، وقيل: ليوسف؛ أي: إنه يدبره، ولا يَكُلُّه إلى سواه.
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مراد الله تعالى.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ^{٢٢} ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ^{٢٢}﴾ منتهى شبابه وقوته، جمعُ شدٍّ، وهو ثلاثٌ وثلاثون سنةً في أظهر الأقوال.

﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ نبوةٌ ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَرَوَدَتْهُ﴾ أي: طالبتَه مرةً بعدَ مرةٍ برفقٍ وسهولةٍ.

﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ وهي زليخا احتالت عليه، وأرادتُ خدعه ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ لتنالَ غرضها منه، وكانت تكتُمُ حُبَّهُ، فخلتُ به، وترَيَّنتُ له، وعَرَفْتُهُ أنها تحبُّه، وأنه إن واثاها على ما تريده منه، حَبَّتُهُ بمالٍ عظيمٍ، فامتنعَ من ذلك، ورامتُ أن تغلبه.

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ عليها وعليه، وكانت سبعةً.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: (هَيْتَ) بفتح الهاء والتاء من غيرِ همزٍ؛ أي: هَلُمَّ وأقبلْ إلى ما أدعوك إليه، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ

(هِيتَ) بكسرِ الهاءِ وفتحِ التاءِ من غيرِ همزٍ، واختلَفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامرٍ، فرويَ عنه وجهان: بكسرِ الهاءِ وضمُّ التاءِ وفتحِها مهموزاً في الوجهين، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بفتحِ الهاءِ وضمُّ التاءِ من غيرِ همزٍ، ومعناه تَهَيَّأتُ لك^(١).

﴿قَالَ﴾ يوسفُ لها عندَ ذلك: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِمَّا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ.

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ المعنى: زوجُكِ قَظْفِيرُ سَيْدِي.

﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ حينَ أوصاكِ بإكرامي، فما جزاؤه أن أخونه، وقيل: المرادُ (بربي): اللهُ سبحانه، أحسنَ إليَّ بما أعطاني. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرو، وابنُ كثيرٍ: (رَبِّي) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها^(٢)، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (مَثْوًى) بالإمالة^(٣).

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ لا يسعدُ الزُّناةُ؛ فَإِنَّ الزَّنى ظلمٌ على الزاني والمزنيِّ بأهله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٤٤٨/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٣-٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨-١٦٠/٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦١/٣).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦١/٣).

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، ﴾ أي: بمخالطته، والهمُّ: هو المقاربةُ من الفعلِ من غير دخولٍ فيه.

﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ بخطرَاتِ القلبِ الذي لا يقدرُ البشرُ على التحقُّظِ منه، ورجعَ عندَ ذلك ولم يتجاوزَه.

﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ رُوي أنه رأى صورةَ يعقوبَ عاضاً على أصبعه، وبه كان يُخَوِّفُ صغيراً، وقيلَ غيرُ ذلك، وجوابُ لولا محذوفٌ، تقديرُه: لولا أن رأى برهانَ رَبِّهِ، لواقعَ المعصيةَ، وقيل: في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ولقد همتُ به، ولولا أن رأى برهانَ رَبِّهِ، لَهَمَّ بها.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ فعلنا مثلَ ذلك ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ الزنى.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ قرأ الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ (المُخْلَصِينَ) بفتح اللامِ حيثُ وقعَ؛ أي: المختارين، وقرأ الباقون: بكسرِها^(١)؛ أي: المخلصين لله الطاعةَ، واختلافُهم في الهمزتين من (الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ) كاختلافِهم فيهما من (شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/٤٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٦٢).

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥).

[٢٥] ورؤي أنها سترت صنماً كان عندها، فقال: لِمَ سترته؟ قالت: أَسْتَحْيِي أَنْ يراني على معصية، فقال: أَسْتَحْيِينَ مِمَّنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ، وأنا أحقُّ أن أَسْتَحْيِيَ من ربي؟ وهرب^(١).

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ وَحَدَّ الْبَابَ، وَأَرَادَ: الْجَنَسَ؛ أَي: تَسَابَقَا إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ فَرَّ مِنْهَا لِيُخْرِجَ، وَأَسْرَعَتْ وَرَاءَهُ لَتَمْنَعَهُ الْخُرُوجَ، فَأَدْرَكَتْهُ، فَلَزِمَتْهُ.

﴿وَقَدَّتْ﴾ شَقَّتْ ﴿قَمِيصَهُ﴾ نِصْفَيْنِ ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾ مِنْ خَلْفِهِ.
﴿وَأَلْفَيَا﴾ وَجَدَا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زَوْجَهَا قُطْفِيرَ، وَكَانَ عَيْنِيًّا لَا يَأْتِي النِّسَاءَ
﴿لَدَا الْبَابِ﴾ عِنْدَ الْبَابِ جَالِسًا، فَلَمَّا رَأَتْهُ.
﴿قَالَتْ﴾ سَابِقَةً بِالْقَوْلِ لَزَوْجِهَا:

﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أَي: زَنًا، ثُمَّ خَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ
فَقَالَتْ: ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ أَي: يُحْبَسَ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يَضْرِبُ بِالسَّيَاطِ.

(١) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٢/١٩١): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جلَّ ثَنَاهُ أخبر عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة. وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعدر قاطعة بأي ذلك من أي. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] فلما عَرَضَتْهُ لِلْهَلَاكِ ﴿ قَالَ ﴾ يوسفُ دفعاً عن نفسه، وتنزيهاً لِعرضه: ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ يعني: طلبتُ مني الفاحشة، فأبيتُ وفررتُ.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ كَانَ طفلاً في المهد، وهو ابنُ خالها، أنطقه الله، وقد وردَ عن ابنِ عباسٍ عن النبي ﷺ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةَ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»^(١)، وقيل: كان رجلاً حكيماً ذا رأي، وهو ابنُ عمِّها. قرأ أبو عمرو (وَشَهِدَ شَاهِدٌ) بِإِدْغَامِ الدَّالِ فِي الشَّيْنِ^(٢).

﴿ إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ لَأَنَّهُ إِذَا طَلَبَهَا، دَفَعَتْهُ عَنْ نَفْسِهَا، فَشَقَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ قُدَّامٍ، أَوْ يَسْرِعُ لِيَدْرِكَهَا فَيَعَثَرَ فِي ثَوْبِهِ فَيَنْشَقُّ.

﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ﴾ لَأَنَّهَا إِذَا تَبَعَتْهُ هِيَ، تَعَلَّقَتْ

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٠٩/١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٣٦)، وغيرهم.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٣).

بَقْمِصِهِ لَتَلْحَقَهُ فَتَشَقُّهُ ﴿ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فِي قَوْلِهِ ، وَإِنَّمَا أَلْقَى اللَّهُ الشَّهَادَةَ عَلَى لِسَانِ أَهْلِهَا ؛ لِتَكُونَ أَلْزَمَ عَلَيْهَا ، وَسُمِّيَ قَوْلُ الشَّاهِدِ شَهَادَةً ؛ لِأَنَّهُ قَائِمٌ مَقَامَ الشَّهَادَةِ فِي ثَبُوتِ صَدَقِ يُوسُفَ وَكَذِبِهَا .

﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [٢٨]

[٢٨] ﴿ فَلَمَّا رَأَى ﴾ زَوْجُهَا ﴿ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴾ عَرَفَ بَرَاءَةَ يُوسُفَ .
﴿ قَالَ ﴾ لَهَا : ﴿ إِنَّهُ ﴾ أَي : قَوْلِكَ : مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً ؟ ﴿ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴾ حِيلِكُنَّ .

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ ﴾ مَعَاشِرَ النِّسَاءِ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ وَسُمِّيَ كَيْدُ الشَّيْطَانِ ضَعِيفاً ؛ لِأَنَّهُ وَسُوسَةٌ ، وَكَيْدُ النِّسَاءِ عَظِيمٌ ؛ لِأَنَّهُ مُوَاجِهَةٌ . قَرَأَ حَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَخَلَفٌ ، وَابْنُ ذَكْوَانَ : (رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (رَأَى قَمِيصَهُ) بِإِمَالَةِ الرَّاءِ تَبْعاً لِلْهَمْزَةِ ، وَاخْتَلَفَ عَنْ هِشَامٍ وَأَبِي بَكْرٍ ، وَأَمَالَ أَبُو عَمْرٍو الْهَمْزَةَ فَقَطْ ^(١) .

﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [٢٩]

[٢٩] ثُمَّ أَقْبَلَ مُخَاطَباً لِيُوسُفَ حَازِئاً حَرْفَ النِّدَاءِ فَقَالَ : ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٢٥٨) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِيَاطِي (ص : ٢٦٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ١٦١) .

عَنْ هَذَا ﴿الْأَمْرِ، لَا تَذْكُرُهُ لِأَحَدٍ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ﴾ تَوْبِي مِنْ صَنِيعِكَ.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ المتعمدين للذنوب، وقيل: هذا من قول الشاهد لهما، وقوله: (من الخاطئين)، ولم يقل: من الخاطئات؛ لأنه لم يقصد الخبر عن النساء، وإنما قصد القوم الخاطئين، وكان العزيز حليماً، قليل الغيرة.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٠).

[٣٠] واتصل خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة، فعيرتها بذلك، فذلك قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هي مدينة مصر.

﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ ورُسمت (امْرَأْتُ) بالتاء في سبعة مواضع، وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(١).

﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ غلامها ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ لتنال شهوتها منه.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أصاب حُبُّه شغاف قلبها. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (قَدْ شَغَفَهَا) بإدغام الدال في الشين، والباقون: بالإظهار^(٢).

(١) وانظر: الآية (٣٥) من سورة آل عمران.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣٠١/٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٦٤).

﴿ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ خطأ بيِّن من حبِّ عبدها .

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣١) .

[٣١] ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ بِغَيْبَتِهِنَّ لها ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ دَعَتْهُنَّ إِلَيْهَا . قرأ يعقوبُ : (إِلَيْهِنَّ) بضمَّ الهاءِ حيثُ وقع (١) .

﴿ وَأَعْتَدَتْ ﴾ أَعَدَّتْ ؛ أَي : هَيَّأَتْ .

﴿ لَهُنَّ مُتَّكًا ﴾ مَا يُتَّكَأُ عَلَيْهِ ، وَقُرِئَ فِي الشَّوَادِ (مُتَّكًا) بضمِّ الميمِ وإسكانِ التاء (٢) ، وَهُوَ الْأَتْرُجُّ ، وَصَنَعَتْ لَهُنَّ طَعَامًا وَشَرَابًا ، وَعَمَلَتْ مَجْلِسِينَ مُذْهَبِينَ ، وَفَرَشَتْهُمَا بِدِيْبَاجٍ أَصْفَرَ مُذْهَبٍ ، وَأَرْخَتْ عَلَيْهِمَا سَتُورَ الدِّيْبَاجِ ، وَأَمَرَتْ الْمَوَاشِطَ بِتَزْيِينِ يَوْسُفَ وَإِخْرَاجِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ الَّذِي يُحَازِي الْمَجْلِسَ الَّذِي كَانَتْ مَعَ النِّسْوَةِ فِيهِ ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ مُحَازِيًا لِلشَّمْسِ ، فَأَخَذَنَّهُ الْمَوَاشِطُ ، وَنَظَّمْنَ شَعْرَهُ بِأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ ، وَالْبِسْنَةُ ثَوْبٌ دِيْبَاجٍ أَصْفَرَ قَدْ نُسِجَ بِدَارَاتٍ حَمْرٍ مُذْهَبَةٍ فِيهَا أَطْيَارٌ صَغَارٌ خَضِرٌ مَبْطُنٌ بِبِطَانَةٍ خَضِرَاءَ ، وَمِنْ تَحْتِهِ غِلَالَةٌ حَمْرَاءُ ، وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ قَدْ نَظَّمَ بِالذَّرِّ وَالْجَوْهَرِ ، وَأَخْرَجْنَ مِنْ تَحْتِ التَّاجِ أَطْرَارَ شَعْرِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ ، وَرَدَدْنَ ذَوَائِبَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، وَجَعَلْنَ جُمَّتَهُ مَكْشُوفَةً ، وَالتَّاجُ يُحِيطُ بِهَا ، وَفِي أُذُنَيْهِ قَرْطَيِ جَوْهَرٍ ،

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِيَاطِي (ص : ٢٦٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٦/٣) .

(٢) انظر : «المحتسب» لابن جني (١/٣٣٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٦/٣) .

ومن خلف طوقِ القباءِ شعرٌ مسبلٌ بينَ كتفيه منظومٌ مشبكٌ بالذهبِ والجوهرِ، وفي عنقه طوقٌ منظومٌ بذهبٍ مشدرٍ بجوهرٍ أحمرٍ ودُرٍّ فاخرٍ، وفي وسطه منطقةٌ ذهبٍ، فيها كواكبُ جوهرٍ ملوّنٍ، ولها معاليقُ منظومةٌ، وألسنه خُفّينِ أبيضينِ منقوشينِ بأخضرٍ على نقوشِ ذهبٍ، وجعلنَ للقباءِ الذي عليه وشاحينِ على كتفيه وكُمّيه من جوهرٍ أخضرٍ، وعقربنَ صُدْغيه على خَدَّيه، وكحلنَ عينيه، ودفعنَ إليه مِذْبَةَ مذهبةً شعرها أخضرٌ، وكان يوسفُ إذا سارَ في الأزقةِ رُئيَ تلالؤُ وجهه على الجدرِ، وحكيَ أنه ما زالَ النساءُ يملنَ إلى يوسفَ ميلَ شهوةٍ حتى نبأه الله، فألقى عليه هبةَ النبوة، فشغلتُ هيبته كلَّ من رآه عن حسنه.

﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ﴾ بعدَ الجلوسِ على المتكأ.

﴿سَيَكِينًا﴾ نصابها من جوهرٍ، وكُنَّ يأكلنَ اللحمَ حَزًّا بالسكين، وقيلَ: ليقطعنَ بها الفاكهة، فيقال: إنهن أخذنَ أترجًا، وهنَّ يقطعنه، فلما فرغَ النساءُ من طعامهنَّ، وشربنَ أقداحًا، قالت لهنَّ: قد بلغني حديثُكن في أمري مع عبدي، فقلنَ لها: الأمرُ كما بلغكِ لأنكِ أعلى قدرًا من هذا، ومثلكِ يرتفعُ عن أولادِ الملوكِ بحسبكِ وشرفكِ، فكيفَ رضيت^(١) بغلامكِ؟! قالت: لم يبلغكنَّ الصدقُ، ولا هو عندي بهذا.

﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ وأومأتُ إلى المواشطِ أن يُخرجنَ يوسفَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَقَالَتْ أَخْرِجْ) بضمِّ التاءِ في الوصلِ^(٢)، وقرأ يعقوبُ: (عَلَيْنَ) بضمِّ الهاءِ حيثُ

(١) في «ظ» و«ت»: «رضيتين»، والصواب ما أثبت.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، =

وقعَ مثل (إِلَيْهِنَّ)^(١)، فرفعنَ المواشيطَ الستورَ عن المجلسِ الذي فيه يوسفُ، وبرزَ منه محاذياً بوجهه الشمسَ، فأشرقَ المجلسُ وما فيه من وجهِ يوسفَ، وأقبلَ بالمذبةِ وهُنَّ يَرْمُقْنَهُ، فوقفَ على رأسِ زليخا يذُبُّ عنها.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمْنَهُ، وهالَهُنَّ حسنه، فاشتغلنَ برؤيته.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ موضعَ الفاكهةِ التي كانتَ معهنَّ؛ أي: جَرَحْنَهَا لَمَّا رَأَيْنَهُ دهشاً، وبقينَ لا يعينَ الكلامَ ذهولاً منهنَّ بما بهرهنَّ من حسنِ يوسفَ.

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ كلمةٌ تفيدُ معنى التنزيه. قرأ أبو عمرو، (حَاشَا لِلَّهِ) بإثباتِ الألفِ بعدَ الشينِ حالةَ الوصلِ في الموضعين، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً^(٢).

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ نصبٌ خبرٌ (ما)، وذلك أن زليخا قالتَ لهنَّ: ما لَكُنَّ قد اشتغلتنَ عن خطابي بالنظرِ إلى عبدي؟! فقلنَ: معاذَ الله! ما هذا عبدك.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مع علمِهِنَّ أنه بشرٌ؛ لأنه ثبتَ في النفوس أن لا أكملَ ولا أحسنَ خلقاً من الملكِ، ولم يبقَ منهنَّ امرأةٌ إلا حاضَتْ وأنزلتْ شهوةً من محبته.

= «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ قَالَتْ ﴾ زليخا عند ذلك ﴿ فَذَلِكُنَّ ﴾ (كُنَّ) للنسوة، و(ذا) ليوسف .

﴿ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ ﴾ فقلن : ما ينبغي لأحد أن يلومك في هذا، ومن لَامَكِ فقد ظلمك، فدونكه، ولم تقل : هذا مع حضوره؛ رفعا لمحله، فلما بانَ عذرُها لهنَّ، اعترفت ببراءته فقالت :

﴿ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ امتنع، فخاطبته لي، فكانت كلُّ واحدةٍ منهن تخاطبه وتدعوه سرا إلى نفسها، وتتبدلُ له، وهو يمتنعُ عليها فإذا يئست منه أن يجيبها لنفسها، خاطبته من جهة زليخا، وقالت : مولاتُك تحبُّك وأنت تكرهها، ما ينبغي أن تخالفها، فيقول : مالي بذلك حاجةٌ، فلما رأين ذلك، أجمعن على أخذه غصباً، فقالت زليخا : لا يجوزُ هذا .

﴿ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ ﴾ به من قضاء شهوتي ﴿ لَيَكُونَنَّ ﴾ بالسجن ﴿ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ الذليلين، ولأمنعته اللذات، وأنتزعُ جميع ما أعطيته، ونونُ التأكيد تُثَقِّلُ وتُخَفِّفُ، فالوقفُ على قوله : (لَيَكُونَنَّ) بالنون؛ لأنها مشددة، وعلى قوله : (وَلَيَكُونَنَّ) بالالف؛ لأنها مخففة، وهي شبيهة بنون الإعراب في الأسماء؛ كقولك : رجلاً، ومثله (لَنَسْفَعًا) .

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] فاخترَ يوسفُ السجنَ على المعصية، وأقسمت زليخا بإلهاها،

- وكان صنماً من زبرجد أخضر باسم عطارد - إن لم يفعل لتعجلن له ذلك،
ثم أمرت بنزع ثيابه، وألبسته الصوف.

﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ أي: يا ربَّ ﴿ السَّجْنُ ﴾ أي: المحبسُ. قراءة العامة بكسر
السين، وقرأ يعقوبُ: بالفتح على المصدر^(١).

﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ أحبُّ سُكْنَى السَّجْنِ على قضاء حاجتهنَّ،
وقيل: لو لم يقل: السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ، لم يُبْتَلْ بالسَّجْنِ، والأولى بالمرء أن
يسأل الله العافية.

﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ أي: وإن لم تُنَجِّنِي أنت، ومعناه:
الاستسلامُ لله تعالى والتوكُّلُ عليه ﴿ أَصْبُ ﴾ أَمِلُ ﴿ إِلَيْهِنَّ ﴾ مأخوذٌ من
الصَّبْوَةِ، وهي أفعالُ الصَّبَا.

﴿ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الذين لا يُراعون أوامر الله ونواهيه، وهو قولٌ يتضمَّنُ
التشكي إلى الله من حاله معهنَّ، والدعاء إليه في كشفِ بلواه.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٣٤].

[٣٤] فلذلك قال بعدَ مقالة يوسف: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ أي: أجابه إلى
إرادته ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ بأنَّ حالَ بينه وبين المعصية.

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ صفتان لا تفتان بقوله: (استجاب).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٦٨).

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ ﴾ أي: للعزيز وأصحابه في الرأي رأيي بخلاف الأول، وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من يوسف على الأمر بالإعراض، ثم بدا لهم .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ ﴾ الدالة على براءته من شقّ القميص وكلام الشاهد وقطع الأيدي .

﴿ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى مدة ينقطع كلام الناس في ذلك، روي أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم أني راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي فأعذر للناس، وإما أن تحبسه، وكان العزيز مطواعاً^(١) لها، وجُميلاً ذلولاً حتى أنساه ذلك ما رأى من الآيات، فأمر به فحبس^(٢) .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾ عبدان للملك، كان أحدهما ساقية، واسمُه مرطس، والآخر صاحب طعامة، واسمُه راسان، وكان المصريون قد بذلوا لهما رشوة ليسما الملك، فردّها الساقى، وقبلها الخباز، وسمّ

(١) في «ظ» و«ت»: «مطواعة» والصواب ما أثبت .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/٢١٣) .

طعامه، فعرف الساقى الملك بذلك، فقال لصاحب الطعام كل طعامك، فأبى فأكلت منه بهيمة فهلكت، فحبسهما الملك، وكان يوسف عند دخوله السجن قال: أنا أعبر الأحلام.

﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا ﴾ وهو الساقى ﴿ إِنِّي أَرِنِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أستخرجها من العنب؛ لأنه رأى في نومه أنه قد دخل بستاناً، فإذا بكرمة عليها ثلاثة عناقيد، فعصر العناقيد في زجاجة، فأتى به الملك فشربه.

﴿ وَقَالَ الْآخَرُ ﴾ وهو الخباز ﴿ إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا ﴾ لأنه رأى أنه خرج من مطبخ الملك وعلى رأسه ثلاث سلال فيها الخبز وأنواع الأطعمة. ﴿ تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ من ذلك الطعام، وكانا صادقين في قولهما. ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ أخبرنا ما قصصنا عليك، وما يؤول أمره إليه.

﴿ إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العالمين بتأويل الرؤيا. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ) (إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ) بإسكان الياء فيها، وافقهم ابن كثير في (إِنِّي) في الحرفين^(١)، وكان يوسف عليه السلام إذا مرض إنسان في السجن عاده، وقام عليه، وإذا ضاق، وسع له، وإذا احتاج، جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة، وقال لقوم في السجن انقطع رجائهم وحزنوا: أبشروا واصبروا تؤجروا؛ فإن لهذا آخراً، فقالوا له: بارك الله فيك ما أحسن خلقك وخلقك، لقد أحسنت إلينا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٦-٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٦٩).

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَني رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [٣٧].

[٣٧] ثم ﴿ قَالَ ﴾ للساقي والخباز.

﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ تأكلانه في اليقظة. قرأ قالون عن نافع، وعيسى عن أبي جعفر: (تُرْزَقَانِهِ) باختلاس كسرة الهاء بخلاف عنهما^(١) ﴿ إِلَّا نَبَأُكُمَا ﴾ أخبرتكما ﴿ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ بكيفيته وكميته.

﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ وإن رأيتما ذلك في النوم، أخبرتكما بما يؤول إليه، فقالا له: من أين لك ذلك؟ فقال:

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَني رَبِّي ﴾ بأن أوحاه إليّ، ولم أقله تكهنًا ولا تنجُمًا. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو (رَبِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢). ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ ﴾ رفضت.

﴿ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ وتكرار (هم) على التأكيد.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٠).

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أظهر أنه من ولد الأنبياء. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (آبَائِي) بإسكان الياء، والباقيون: بفتحها.

﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأننا معاشر الأنبياء معصومون من الشرك.

﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد والعلم ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ بذلك.

﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ بإرسالنا إليهم.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ المرسل إليهم.

﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضل الله عليهم، بل يكفرون.

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَازْبَابُ مُتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩).

[٣٩] ثم دعاهم إلى الإسلام فقال: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ أي: يا صاحبي فيه ﴿ءَازْبَابُ مُتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ﴾ أي: آلهة شتى عاجزة لا تضر ولا تنفع.

﴿أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ المنفرد بالالوهية ﴿الْقَهَّارُ﴾ الغالب على كل شيء.

واختلاف القراء في الهمزتين من قوله تعالى : (أَرْبَابٌ) كاختلافهم فيهما من (أَنْذَرْتَهُمْ) في سورة البقرة [الآية : ٦].

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[٤٠] ثم قال لهما ولمن على دينهما ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي : الله (١) ﴿ إِلَّا أَسْمَاءُ ﴾ أي : مسميات ؛ لأنَّ الاسم لا يُعبد ﴿ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ آلهة ﴿ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ ﴾ تخრُصاً ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ حجة وبرهان .
﴿ إِنْ الْحُكْمُ ﴾ في جميع الأشياء ﴿ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ ﴾ أي : التوحيد ﴿ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ الثابت المستقيم .
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيخبطون في جهالاتهم .

﴿ يَصْحَجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ .

[٤١] ثم شرع في تفسير رؤياهما وقال : ﴿ يَصْحَجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ ﴾ وهو الساقى ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ ﴾ يعني : الملك .

(١) «أي : الله» ليست في «ت» و«ظ» .

﴿ خَمْرًا ﴾ والعناقيد الثلاثة، فلبثك في السجن ثلاثة أيام ثمَّ خروجك منه وعودك إلى ما كنت عليه عند الملك .

﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ ﴾ وهو الخباز، فخرجوه من المطبخ خروجه من عمله، والسلال الثلاث، فلبثه في السجن ثلاثة أيام، ثم يُخرجه الملك .

﴿ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ فلما سمعا قول يوسف، قالا: إنما كنا نلعب، وما رأينا شيئاً، فقال :

﴿ قَضَى الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ ﴾ أي: في معناه ﴿ تَسْنَفَتَانِ ﴾ تسألان؛ أي: ما قلت واقع حتماً، صدقتما أو كذبتما .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [٤٢] .

[٤٢] ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف ﴿ لِلَّذِي ظَنَّ ﴾ أي: علم .

﴿ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ وهو الساقى . رُوي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (ناجي) .

﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي: سيدك الملك، فقل له: في السجن غلامٌ محبوسٌ ظلماً طال حبسه .

﴿ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ أي: فأنسى الساقى ذكر يوسف لسيده، فلم يذكره له، وقيل: أنسى الشيطان يوسف ذكر الله حتى استغاث بغيره، وتلك غفلة عرضت ليوسف .

﴿فَلَبِثَ﴾ مكث ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ وهي سبعُ سنينَ في قولِ الأكثرِ، وكانَ قد لبثَ قبلَه خمسَ سنينَ، فجملته اثنتا عشرةَ سنةً.

روى أن جبريلَ عليه السلام قال له: من الذي حبَّبَكَ إلى أبيكَ دونَ إخوتِكَ، وحفِظَكَ في الشدائدِ؟ فقال: الله، فقال: إنه يقولُ: أحسبتُ أني أنساكَ في السجنِ حتى استغثتُ بغيري وأنا أقربُ إليك وأقدرُ على خلاصِكَ؟ لتلبثَنَّ فيه بضْعَ سنينَ، قال: وربِّي عني راضٍ؟ قال: نعم، قال: فلا أبالي إذن^(١).

وروي أن يوسفَ لما قالَ ذلكَ، قيل له: اتَّخَذْتَ من دوني وكيلاً؟ لأطيلنَّ حبسَكَ، فقال: يا ربَّ! أنسى قلبي كثرةَ البلوى، قال ﷺ: «لَوْلَا كَلِمَةُ يُوسُفَ، مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ»^(٢).

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ يعني: ملكَ مصرَ الأكبرَ، وهو الريانُ بنُ الوليدِ، من العمالقةِ، وهو فرعونُ يوسفَ، والقبطُ تسميهِ نَهْرَاوُشَ، وكانَ عظيمَ الخلقِ، جميلَ الوجهِ، عاقلاً متمكناً، وهو جدُّ فرعونِ موسى، وكانَ أقوى

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٦٥).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٤٨/٧)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - . وفي الباب: عن ابن عباس، والحسن البصري، وغيرهما.

أهل الأرض في زمانه، وكان محل ملكه مدينة منف من أرض مصر، وكانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر المعروفة يومئذ بمصر القديمة، ومنف أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان، وكانت دار الملك بمصر في قديم الزمان، ولما دنا فرج يوسف، رأى الملك رؤيا عجيبة هالته، فجمع السحرة والكهنة والمعبرين، وقصّها عليهم فقال:

﴿إِنِّي أَرَى﴾ قرأ أبو عمرو، ونافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ خَرَجْنَ مِنَ الْبَحْرِ.

﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾ أي: وخرج عقبهن سبع بقرات عجاف، وهي التي بلغت من الهزال النهاية، فابتلعت العجاف السمان، فدخلت في بطونهن، ولم يتبين على العجاف منها شيء.

﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ﴾ قد انعقد حبها ﴿وَأُخْرَ﴾ أي: وسبعاً آخر ﴿يَابِسَتٍ﴾ قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، ولم يبق من خضرتها شيء، فقال لعرافيه ومنجميه:

﴿يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ عبّروها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ تفسّرون. قرأ الكسائي، وخلف: (لِلرُّؤْيَا) بالإمالة^(٢)، واختلاف القراء في الهمزتين من (الْمَلَأُ أَفْتُونِي)

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

كاختلافهم فيهما من (السُّفْهَاءُ أَلَا) في سورة البقرة [الآية: ١٣].

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾.

[٤٤] ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ أي: أخلاط رؤيا كاذبة، والأضغاث جمعُ ضِغْثٍ: وهو الحزمة من النبات، والأحلام جمعُ حلم، وهو ما يُرى في النوم.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ﴾ الباطلة كهذه الرؤيا ﴿بِعَالِمِينَ﴾ لاختلاطها.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ﴿٤٥﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من القتل، وهو الساقى.

﴿وَادَّكَرَ﴾ بدالٍ مهملة، أي: تذكَّر أمرَ يوسف.

﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: حين، وهو مدَّة لبث يوسف في السجن، وبالهاء والتخفيف (أُمَّة): بعد نسيان، والتلاوة بالأول.

﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أُنَبِّئُكُمْ) بالمد^(١)، وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك وقال: إِنَّ فِي السَّجْنِ رَجُلًا يَعْبُرُ الرُّؤْيَا.

= (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٣).

﴿فَارْسِلُونِ﴾ أي: فأرسلني أيها الملكُ إليه. قرأ يعقوبُ: (فَارْسِلُونِي) بإثباتِ الياءِ بعدَ النونِ، والباقون: بحذفها^(١).

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤٦).

[٤٦] فأرسلوه، فأتى السجنَ، ولم يكنِ السجنُ في المدينة، وإنما هو ببوصيرَ من عمل الجزيرة، وكان الوحيُ ينزلُ عليه فيه، وسطحُ السجنِ موضعٌ معروفٌ بإجابة الدعاء، فقال: ﴿يُوسُفُ﴾ يعني: يا يوسفُ.

﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ فيما عبرتَ لنا من الرؤيا، والصديقُ: الكثيرُ الصدقِ، ولذلك سُمِّي أبو بكرٍ صديقاً، وهو فعيلٌ للمبالغة والكثرة.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ﴾ فإن الملكَ رأى هذه الرؤيا.

﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملكِ وأصحابه؛ لاحتمالِ أنه يُخترَمُ في الطريق؛ لأنه لم يكنْ جازماً بالرجوع. قرأ الكوفيون، وابن عامرٍ، ويعقوبُ: (لَعَلِّي) بإسكان الياءِ، والباقون: بفتحها^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ منزلتك وتأويل الرؤيا فيخرجوك من السجن .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ [٤٧] .

[٤٧] ف ﴿قَالَ﴾ يوسفٌ معبراً: أما البقراتُ السمانُ، والسنبلاتُ الخضرُ، فسبعُ سنينَ مخصباتُ، والبقراتُ العجافُ، والسنبلاتُ اليابساتُ، فسبعُ سنينَ مجدباتُ، ثم قال مرشداً لهم:

﴿تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا، فهو خبرٌ بمعنى الأمر ﴿سَبْعَ سِنِينَ﴾ على عادتكم ﴿دَأْبًا﴾ قراءة العامة: (دأباً) بإسكانِ الهمز؛ أي: تلازمون ذلك .
وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الهمز^(١)؛ أي: بجدٍّ وتعِبٍ .

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ أي: اتركوه في أصله لئلا يفسد .
﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ أي: تدرسون قليلاً للأكلِ بقدرِ الحاجة .

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [٤٨] .

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعدَ السنينِ المخصبةِ .

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ صِعَابٌ .

﴿يَأْكُلْنَ﴾ أي: السنون يُفنينَ ويُهْلكنَ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٤) .

﴿ مَا قَدَّمْتُمْ لِهِنَّ ﴾ أي: يؤكلُ فيهن ما أعددتُم لهنَّ من الطعام، أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسُّع.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْتَسِبُونَ ﴾ تُحَرِّزُونَ وَتَدَّخِرُونَ.

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾.

[٤٩] ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي: بعد السنين المجدية.

﴿ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ يُمَطَّرُونَ، من الغيث.

﴿ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴾ العنب والزيت، والمراد: كثرة النعيم والخير. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تَعَصِرُونَ) بالخطاب؛ لأن الكلام كله بالخطاب، وقرأ الباقون: بالغيب ردًّا إلى (الناس) ^(١).

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥٠﴾.

[٥٠] ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ ﴾ وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك، وأخبره بما أفناه يوسف من تأويل رؤياه، عرف الملك أن الذي قاله كائن، فقال: عَلَيَّ بِهِ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٥).

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾ فقال: أَجِبِ الْمَلِكَ، فأبى أن يخرج حتى تظهر براءته، ثم ﴿ قَالَ ﴾ للساقى ﴿ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ﴾ يعني: سيدك الملك.

﴿ فَسَأَلَهُ ﴾ قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فسأله) بالنقل^(١).

﴿ مَا بَالُ ﴾ ما حال ﴿ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ ولم يذكر امرأة العزيز تأدباً ومراعاةً لحقها.

﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ حين قلن لي: أطع مولاتك، وأراد بذلك إظهار براءته بعد طول المدة حتى لا ينظر الملك إليه بعين التهمة، قال ﷺ: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(٢)، وروي أنه قال: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ إِنْ كَانَ إِلَّا ذَا أَنَاةٍ، لَوْ كُنْتُ أَنَا، لَأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ»^(٣)، يقول ذلك هضماً للنفس، في هذا دليل على وجوب الاجتهاد في نفي التُّهم، ونفي الوقوف في مواقفها، في الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَاقِفُ مَوَاقِفَ التُّهَمِ»^(٤).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدُمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله عز وجل: ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾، ومسلم (١٥١)، كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٦)، والحاكم في «المستدرک» (٢٩٤٨)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٣٦): غريب.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٥١]

[٥١] فجمعهنَّ الملكُ، وامرأةُ العزيزِ معهنَّ، ثم ﴿ قَالَ ﴾ مخاطباً للنسوة، والمرادُ: امرأةُ العزيزِ: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ أَمْرُكُنَّ ﴿ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ هل وجدتنَّ منه ميلاً إليكنَّ.

﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيهٌ له وتعجبٌ من عِفَّتِهِ ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ ريبةٌ، فثمَّ ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ معترفةٌ مخافةً أن يشهدنَ عليها ﴿ الْكُنْ حَصْحَصَ ﴾ وضح ﴿ الْحَقُّ ﴾ وتبيَّن ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في قوله، وتقدَّم التنبيهُ على (امرأت)، و(حاشَ لله)، واختلاف القراء فيهما.

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [٥٢]

[٥٢] فلما علمَ ذلك يوسفُ في السجنِ قال ﴿ ذَلِكَ ﴾ التَّثْبُتُ. ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ العزيز ﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ﴾ في زوجته ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ في حالِ غيبته. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ أي: وليعلمَ أن الله لا يهدي. ﴿ كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ العاصين.

﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٥٣]

[٥٣] رُوي أن يوسفَ لما قالَ هذه المقالةَ قالَ له جبريلُ عليهما السلام: ولا حينَ هممتَ؟ فقال: ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ﴾^(١) من الخطأ.

﴿ إِنَّ النَّفْسَ ﴾ أي: جميعَ النفوسِ ﴿ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ بنيلِ شهوتِها الرديّةِ. ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ أي: إلا البعضَ الذي رحمهُ ربي بالعصمة.

﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرو: (نَفْسِي) (رَبِّي) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها^(٢)، واختلافُهم في الهمزتين من قوله (بِالسُّوءِ إِلَّا) كاختلافِهم فيهما من ﴿ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في سورة البقرة [الآية: ٣١].

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾^(٥٤).

[٥٤] فلما ظهرتُ براءتُهُ للملكِ، عرفَ علمه ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصْهُ ﴾ أجعلهُ خالصاً.

﴿ لِنَفْسِي ﴾ دونَ غيره، ووجهُ إليه، فأخرج، وغُسِّلَ من دَرَنِ السجنِ، وألبَسَ ما يليقُ بالدخولِ على الملوكِ، ودعا لأهلِ السجنِ فقال: اللهم أعطفْ عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تُعمِّ عليهم الأخبار؛ فهم أعلمُ الناسِ بالأخبار، وكتبَ على بابِ السجنِ: هذا قبورُ الأحياء، وبيتُ الأحزان،

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٥٨/٧)، والحاترث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧١٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٦٠/٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٦-١٧٧/٣).

وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء، وجاء الملك، فلما دخل عليه قال:
اللهم إني أسألك من خيرهِ، وأعوذُ بعزتك وقدرتك من شرِّهِ، ثم سلّم عليه،
ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملكُ
يعرفُ سبعين لساناً، فكلّمه بها، فأجابه بجميعها، فتعجّب منه، وامتلاً قلبه
من حبه.

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ﴾ شفاهاً، فقال: أحبُّ أن أسمع رؤيائي منك، فحكاها،
ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها.
﴿ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴾ مُمَكِّنٌ.

﴿ أَمِينٌ ﴾ مؤتمنٌ على خزائني وأمري، فما ترى؟ قال: تزرعُ زرعاً
كثيراً، وتأخذُ من الناس خُمسَ زروعهم في السنين المخصبة، وتدّخرُ
الجميع في سُبله ليكونَ قصبه وسُبله علفاً للدواب، ويكفيك ولأهلِ
مصرَ السنين المجدبة، ويأتيك الخلقُ من النواحي، فتمتارُ منك في
حكيمك، ويُجمعُ عندك من الكنوز ما لم يُجمعَ لأحدٍ قبلك، فقال
الملك: ومن لي بذلك؟

﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْكَ ﴿ ٥٥ ﴾ .

[٥٥] ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ أي: أرضِ مملكتك.

﴿ إِنِّي حَفِيزٌ ﴾ حافظٌ عليها ﴿ عَلِيمٌ ﴾ عالمٌ بوجوه التدبير والتصرف،
وإنما طلبَ ذلكَ شفقةً على المسلمين، لا منفعةً لنفسه، فخلعَ عليه خلعَ
الملوك، وألبسه تاجاً، وأمرَ أن يُطافَ به، وركبَ الجيشُ معه، وعزلَ
قطيفيراً وجعله مكانه مستخلفاً على الملك، وتردّدَ إلى قصرِ الملك، وجلسَ

على سرير العزيز، وماتَ قَظْفِيرٌ، فزَوَّجَهُ امرأته زليخا، فوجدها عذراء، فقال لها يوسفُ: هذا خيرٌ مما أردتِ، فقالت: اعذرني؛ إنَّ زوجي كانَ عَيْنِيًّا، ولم تَرَ امرأةً إلا صَبا قلبُها إليك من حَسنِكَ.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ولم يزل يتلطفُ بالملكِ حتى آمنَ، واتبَعَ يوسفُ على دينه، وكثيرٌ من الناسِ، ويوسفُ عليه السلام هو الذي بنى مدينةَ الفيُومِ من أعمالِ مصرَ، واستوثقَ له ملكُ مصرَ، فأقام فيهم العدلَ، وأحبَّه الرجالُ والنساءُ، فذلك قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرضَ مصرَ ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾ أي: ينزل ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (نَشَاءُ) بالنون، ردًّا على قوله: (مَكَّنَّا)، وقرأ الباقون: بالياءِ ردًّا على قوله (يَتَّبِعُوا)^(١).

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ أي: بنعمتِنَا ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ في الدنيا والآخرة.
﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الصابرين.

﴿وَلَا جُرْ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا جُرْ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ الشرك، ثم جاء

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٧).

القحطُ، وكان يوسفُ لا يشبعُ مدةَ القحطِ مخافةَ نسيانِ الجِيعِ، فباعَ الطعامَ من أهلِ مصرَ في السنةِ الأولى بالدنانيرِ والدرهمِ، والثانيةِ بالحليِّ والجواهرِ، وفي الثالثةِ بالدوابِّ والمواشي، وفي الرابعةِ بالعبيدِ والإماءِ، وفي الخامسةِ بالضِّياعِ والعقارِ، وفي السادسةِ بأولادِهِم، وفي السابعةِ برقابِهِم، فقال يوسفُ للملكِ: كيف رأيتَ صنيعَ ربِّي فيما خَوَّلَني، فما ترى؟ قال: الرأيُ رأيُكَ، ونحنُ لكُ تَبَعٌ، قال: إني أُشهدُ اللهَ وأشهدُكَ أَنِّي قد أعتقتُ أهلَ مصرَ عن آخرِهِم، وردَدْتُ عليهم أُملاكَهُم.

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] وكان يوسفُ لا يبيعُ أحداً من المجتازين إلا حِمْلَ بعيرٍ تقسيطاً بينَ الناسِ، وتزاحمَ الناسُ عليه، وأصابَ أرضَ كنعانَ وبلادَ الشامِ ما أصابَ أرضَ مصرَ من القحطِ، ونزلَ بيعقوبَ ما نزلَ بالناسِ، وكان منزلهُ بأرضِ فلسطينَ بغورِ الشامِ، فأرسلَ بنيه العشرةَ إلى مصرَ للميرةِ، وأمسكَ بنيامينَ شقيقَ يوسفَ، فذلك قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ تقدَّمَ اختلافُ القراء في الهمزتين من قوله تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة [الآية: ١٣٣]، وكذلك اختلافُهُم في (وَجَاءَ إِخْوَةُ).

﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ﴾ أنهم إخوانه.

﴿ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ لبعدِ عهدِهِم، وقلةِ تأمليهِم في حِلالةِ من التَّهْيِيبِ والاستعظامِ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اثْنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ .

[٥٩] وكان بين أن قذفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعين سنة، فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال: أخبروني من أنتم؟ قالوا: قوم من أرض الشام، قال: بل أنتم جواسيس جئتم تطلعون على عورة بلادي، قالوا: لا والله! لسنا بجواسيس، وإنما جئنا نمتار، ونحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق نبي من أنبياء الله، وكان قد قال لنا: إن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه، وأقرؤوه مني السلام، وهو يُقرئك السلام، فبكى يوسف وعصر عينيه، وكنا اثني عشر، هلك منا واحد وبقي منا واحد عنده يتسلى به عن أخيه الهالك، قال: فاتركوا بعضكم رهينة عندي، وأتوني بأخيك من أبيكم، ويراسلني أبوكم على لسانه، ويخبرني أبوكم مم حزنه حتى أصدقكم، فتركوا عنده شمعون، وكان يوسف يحسن إليه .

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ أعطى لكل منهم حمل بعير، والجهاز: ما يُهيأ لمن يُشيع .

﴿قَالِ اثْنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ يعني: بنيامين .

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ﴾ أتمه، فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيك .

﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيفين، وكان قد أحسن ضيافتهم . قرأ نافع،

وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (أَنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٦)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٣/١٧٨) .

﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾^(٦٠) .

[٦٠] ثم قال تهديداً: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ﴾ أي: ليس لكم عندي طعامٌ أكيله لكم.

﴿ وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ في داري وبلادي، و(تَقْرَبُونِ) جزم نهي. قرأ يعقوب: (تَقْرَبُونِي) بالياء بعد النون، والباقون: بحذفها^(١).

﴿ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾^(٦١) .

[٦١] ﴿ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ سنطلبه منه باجتهادٍ ورفقٍ .
﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ما أمرتنا به .

﴿ وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٦٢) .

[٦٢] ﴿ وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (لِفَتْنَيْنِهِ) بآلفٍ بعد الياء ونونٍ مكسورة، جمعُ فتى جمعَ كثرة، وقرأ الباكون: (لِفَتْنَيْتِهِ) بتاءٍ مكسورة بعد الياء من غير ألفٍ، جمعُ فتى أيضاً جمعَ قَلَّةٍ^(٢)، معناه: قال لغلماحه:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٧٥)، والمصادر السابقة.

﴿ أَجْعَلُوا بِضَعْنَهُمْ ﴾ أي : أثمان ما أخذوه ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ أَوْعِيَتِهِمْ .
﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ أي : كرامتهم علينا .

﴿ إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إذا رأوا إحسانه إليهم ، وليعلموا
أنه لم يطلب عودهم لأجل الثمن ، وأنهم إذا رأوا الثمن عادوا ؛ لأنهم
لا يستحلون أكله .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَنَّا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

[٦٣] ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ ﴾ قرأ يعقوب : (أَبِيَهُمْ) بضم الهاء ، وابن
كثير ، وأبو جعفر ، وقالون بخلاف عن الثالث ، (أَبِيَهُمْ) بضم الميم
ووصلها بواو في اللفظ حالة الوصل .

﴿ قَالُوا يَتَابَنَّا مُنِعَ ﴾ أي : يُمنَعُ ﴿ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ إن لم نحمل أخانا إليه ،
وذكروا إحسانه ، وأنه قد ارتهن شمعون ، وأخبروه بالقصة ، والمراد
بالكيل : الطعام ؛ لأنه يُكَالُ .

﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا ﴾ بنيامين ﴿ نَكْتَلُ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ،
وخلف : (يَكْتَلُ) بالياء ؛ أي : يكتل لنفسه كما نكتل نحن ، وقرأ الباقر :
بالنون ، بمعنى نكتل نحن وهو الطعام^(١) ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ضامنون برده
إليك .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٥٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٩) ،
و«تفسير البغوي» (٢/٤٧٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٩٥-٢٩٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٩) .

﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ ﴾ يوسف .

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي : كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم؟

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم : (حَافِظًا) بـألفٍ بعدَ الحاءِ وكسرِ الفاءِ على التفسير ؛ كما يقال : هو خيرٌ رجلاً، وقرأ الباقون : بكسرِ الحاءِ وإسكانِ الفاءِ من غيرِ ألفٍ على المصدرِ، يعني : خيركم حفظاً^(١)، ونصبه تمييز في الوجهين، المعنى : ولكن حفظَ الله خيرٌ من حفظكم إياه، وحفظي، رُوي أنه لما قال ذلك، قال تعالى : وَعِزَّتِي لأردنَّ عليك كليهما .

﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ مَا نَبغِي هَذِهِ ۖ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۚ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ ﴾ الذي حملوه من مصر ﴿ وَجَدُوا

بِضَاعَتَهُمْ ﴾ ثمن الطعام ﴿ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾ فعند عودِ بضاعتهم إليهم .

﴿ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ مَا نَبغِي ﴾ من البغي ؛ أي : ما نكذبُ على هذا الملك ،

ولا في وصفِ إجماله وإكرامه .

(١) انظر : المصادر السابقة .

﴿ هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ فهذا هو العيان من الإحسان، أوفى لنا الكيل، ورد علينا الثمن، أرادوا تطيب نفس أبيهم.

﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ نجلب لهم الطعام ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ بنيامين في الذهاب والمجيء.

﴿ وَنَزِدَادُ كَيْلَ ﴾ أي: وقر ﴿ بَعِيرٍ ﴾ نصيب أخينا.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: حمل البعير ﴿ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أي: ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون: ما يُكَالُ لهم، وأرادوا أن يزدادوا إليه ما يُكَالُ لأخيهم.

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (٦٦).

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾ لهم يعقوب: ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ ﴾ أثبت أبو عمرو، وأبو جعفر الباء بعد النون في (تؤتونني) وصلاً، وأثبتها ابن كثير، ويعقوب في الحاليين^(١).

﴿ مَوْثِقًا ﴾ عهداً ﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ مؤكداً.

﴿ لَتَأْتُنِّي بِهِ ﴾ أي: تردونه إلي ﴿ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ أي: إلا أن تهلكوا جميعاً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٠-١٨١).

﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ ﴾ أعطوه عهدهم ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ: ﴿ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ شهيدٌ .

﴿ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ﴾ لهم يعقوبُ لما أرادوا الخروجَ من عنده: ﴿ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ خافَ عليهم العينَ ؛ لجمالهم ، والمدينةُ التي أمرهم أن يدخلوها من أبوابٍ متفرقةٍ هي الفرما ، وهي أولُ مدنِ مصرَ من جهةِ الشمالِ بالقربِ من قطيا ، وهي قريةُ أمِّ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما السلام ، وكان لها أربعةُ أبوابٍ ، فدخلوا منها .
﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ لا أقولُ ذلكَ دفْعاً لما قضي ، سواءَ دخلتُم متفرقين أو مجتمعين .

﴿ إِنْ الْحُكْمُ ﴾ أي : ما الحكمُ ﴿ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ اعتمدتُ .
﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ وإلى اللهِ فليفوضْ أمورهم المفوضون .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا ﴾ متفرقين ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ﴾ من الأبوابِ المتفرقةِ .

﴿ مَا كَانَتْ يُغْنِي ﴾ رَأْيِي يَعْقُوبَ ﴿ عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ ﴾ مِنْ قَضَائِهِ ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ لَّأَنَّهُمْ سُرِّقُوا وَافْتُضِحُوا، وَأَخِذَ أَخُوهُمْ مِنْهُمْ، وَازْدَادَ حَزَنُ أَبِيهِمْ ﴿ إِلَّا ﴾ لَكِنْ ﴿ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ هِيَ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ .
 ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ أَي : هُوَ عَالِمٌ عَامِلٌ بِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ .
 ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ مَا عِلْمَ يَعْقُوبَ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخِيهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ قَالُوا : هَذَا أَخُونَا الَّذِي أَمَرْتَنَا أَنْ نَأْتِيكَ بِهِ ، قَدْ جِئْنَا بِهِ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتُمْ وَأَصْبْتُمْ ، وَسَتَجِدُونَ ذَلِكَ عِنْدِي ، ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ وَأَجْلَسَ كُلَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ عَلَى مَائِدَةٍ ، فَبَقِيَ بَنِيَامِينُ وَحَدَهُ ، فَبَكَى وَقَالَ : لَوْ كَانَ أَخِي يُوسُفُ حَيًّا لَأَجْلَسَنِي مَعَهُ ، فَأَجْلَسَهُ يُوسُفُ مَعَهُ ، وَجَعَلَ يُوَاكِلُهُ ، وَأَنْزَلَ كُلَّ اثْنَيْنِ فِي مَكَانٍ ، فَلَمْ يَبْقَ لَبْنِيَامِينِ ثَانٍ ، فَقَالَ : هَذَا لَا ثَانِي لَهٗ ، فَيَكُونُ مَعِي ، فَبَاتَ عِنْدَ يُوسُفَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ ءَاوَىٰ ﴾ أَي : ضَمَّ ﴿ إِلَىٰ أَخِيهِ أَخَاهُ ﴾ فَلَمَّا خَلَا بِهِ ، قَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : بَنِيَامِينُ ، قَالَ : أَتَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَخَاكَ بَدَلَ أَخِيكَ الْهَالِكِ ؟ فَقَالَ : وَمَنْ يَجِدُ مِثْلَكَ ؟ وَلَكِنْ لَمْ يَلِدْكَ يَعْقُوبُ ، وَلَا رَاحِيلُ ، فَبَكَى يُوسُفُ وَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ ، وَ﴿ قَالَ ﴾ لَهُ : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾ يُوسُفُ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَنَافِعٌ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَابْنُ كَثِيرٍ : (إِنِّي) بفتح الياء ، والباقون : بِإِسْكَانِهَا^(١) ، وَقَرَأَ

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٣٠-١٣١) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أَخُوكَ) بالمد^(١).

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا يلحقك بؤسٌ، وهو الشدة.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى؛ فقد أحسنَ اللهُ إلينا، وجمعنا، فلا تُعلمهم بأمرنا، فقال: لا أفارقك، فقال: قد علمتَ اغتنامَ والدي بي، وإذا احتبستك، ازدادَ غمُّهُ، ولا يمكنني أخذك إلا بعد أن أرميك بالسرقة، فقال: افعل ما شئت.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

[٧٠] فوفى يوسفُ الكيلَ لكلِّ واحدٍ من إخوته حِمْلَ بعير، وحَمَلَ لبنيامينَ بعيراً باسمه كما حَمَلَ لهم ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ أي: هيأَ لهم أسبابَ الميرة.

﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ وهي مكيالٌ يُكَالُ به، ويشربُ فيه الملكُ.

﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ، فلما انفصلوا عن مصرَ نحوَ الشام، أرسلَ يوسفُ من استوقفهم فوقفوا.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (مُؤَذِّنٌ) بفتح الواوِ بغيرِ همزٍ^(٢).

= الجزري (٢/٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٨١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٨١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ ﴾ أي: القافلة، والمراد: أهلها، والأصل في العير أن تكون حميراً، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة: عير ﴿ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ وصفهم بالسرقة من حيث سرق في الظاهر أحدهم، وهذا كما تقول: بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما قتله أحدهم.

﴿ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ ﴿٧١﴾.

[٧١] ﴿ قَالُوا ﴾ إخوة يوسف ﴿ وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ ﴾ عطفوا على المؤذن وأصحابه:

﴿ مَاذَا ﴾ أي: ما الذي ﴿ تَفْقَدُونَ ﴾؟ والفقد: غيبة الشيء عن الحسّ بحيث لا يُعرف مكانه.

﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ ﴿٧٢﴾.

[٧٢] ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ ﴾ هو جامٌ كهية المكوك من فضة. قرأ أبو عمرو: (نَفَقْدُ صَوَاعَ) بإدغام الدال في الصاد^(١).

﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ ﴾ بالصَّوَاعِ ﴿ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ من طعام. ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ ضمينٌ لمن رده، يقوله المؤذن.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٢).

﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني : إخوة يوسف ﴿ تَاللّٰهِ ﴾ أي : والله ! وُخِصَّتْ هذه الكلمة بأن أُبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى .
﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ﴾ استشهدوا بعلمهم لما ظهر من دينهم وأمانتهم ﴿ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ما سرقنا قط .

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني : المنادي وأصحابه ﴿ فَمَا جَزَاؤُهُ ﴾ أي : السارق ، أو الصواع ، أي : جزاء سرقته ﴿ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ في قولكم ؟

﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿ مَن وُجِدَ ﴾ السَّرق ﴿ فِي رَحْلِهِ ﴾ فهو جَزَاؤُهُ ﴿ أي : جزاء السارق أن يسلم إلى المسروق منه ، فيسترقه سنة ، وهذا حكم السارق في شرع يعقوب ﴾ ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ بالسرقة .

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ﴾ المفتش، وقيل: يوسف؛ لأنهم رُدُّوا إلى مصر ﴿بِأَوْعِيَّتِهِمَّ﴾ لإزالة التهمة ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين، فلم يجد شيئاً.

﴿ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السرقة ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ واختلافُ القراء في حكم الهمزتين من قوله: (وِعَاءِ أَخِيهِ) كاختلافهم فيهما من (خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ) في سورة البقرة [الآية: ٢٣٥].

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُؤَسِّفَ﴾ أي: علَّمناه، وأوحينا إليه.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ أي: لم يكن له أخذ أخيه ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: حكم ملك مصر، وهو أن يغرم السارق مثلي ما أخذ، ويضرب، لا أن يستعبد، فأجرى الله على السنة إخوته حكم دينهم؛ ليصحَّ أخذه منهم.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الاستثناء في هذه الآية حكاية حال التقدير: إلا أن يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة.

﴿نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بالعلم والعمل؛ كيوسف. قراءة العامة: (نَزَعُ) و(نَشَأُ) بالنون فيهما، وأهل الكوفة ينونون (دَرَجَاتٍ)، وقرأ يعقوب: (يَزَعُ) و(يَشَأُ) بالياء فيهما^(١).

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من الخلق.

﴿عَلِيمٌ﴾ والله فوق كلِّ عالم، ولا يناسبه أحدٌ في علمه.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٨٤-١٨٥).

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (٧٧).

[٧٧] ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ ﴾ بنيامين ﴿ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أرادوا يوسف، وكان دخل كنيسة فأخذ صنماً صغيراً من ذهب فدفنه، وقيل غير ذلك.

﴿ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ أي: أضمر مقاتلتهم كأن لم يسمعها.

﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ﴾ أي: مكانة في السرقة حيث سرقتم أخاكم. ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ تقولون، والمشهور أنه ذكرها في نفسه، ولم يصرح بها لإخوته.

﴿ قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٧٨).

[٧٨] وفي القصة أنهم غضبوا غضباً شديداً، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يُطاقون، وكان منهم من إذا صاح غضباً أَلْقَتِ الحواملُ أَجِنَّتَهَا خوفاً، وهو روبيل وكان إذا مسه أحدٌ من ولد أبيه، سكن غضبه، فقال لإخوته اكفوني الملك، وأكفيكم الأسواق، أو اكفوني الأسواق وأكفيكم الملك، فدخلوا على يوسف، فقال روبيل: لتردَّن علينا أخانا، أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر حاملٌ إلا أَلْقَتْ ولدها، وقامت كلُّ شعرة في جسده

فخرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن له صغير اسمه أفرايين: قم إلى روبيل فمسه، ففعل، فسكن غضبه، فقال: إن هنا بذراً من بذر يعقوب، قال يوسف: ومن يعقوب؟ قال: أيتها الملك! لا تذكر يعقوب؟ إنه إسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله، ورؤي أنه غضب ثانية، فركضه يوسف برجله فوق على الأرض، فقال: أنتم معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم، فثم خضعوا.

﴿قَالُوا يَكَايُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا﴾ يحبه كثيراً يشق عليه فراقه ﴿فَخَذَا أَحَدَنَا عَبْدًا وَرَهِينَةً﴾ مكانه ﴿بدلاً منه﴾.

﴿إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا في الكيل والضيافة، فتمم إحسانك.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ إِنَّا إِذَا نَظَلِمُوكَ ﴿٧٩﴾.

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مصدر؛ أي: نعوذ بالله معاذاً من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ ولم يقل: من سرق؛ تحرّزاً من الكذب. ﴿إِنَّا إِذَا نَظَلِمُوكَ﴾ إن أخذنا بريئاً بمجرم.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ يئسوا من أخيهم. قرأ أبو جعفر، والبيزي

عن ابن كثير بخلافٍ عنهما (استأيسوا) و(لا تأسوا) (لا يأس) (استأيس) بالالف وفتح الياء من غير همز، والباقون: بالهمز، وإسكان الياء من غير ألف في اللفظ، وإذا وقف حمزة، ألقى حركة الهمزة على الياء على أصله^(١).

﴿ خَلَّصُوا نَجِيًّا ﴾ أي: تخلصوا من الناس يتناجون في تدبير أمورهم سرًّا؛ لأن النجى مَنْ تُسَارُهُ، وهو مصدرٌ يعمُّ الواحدَ والجمعَ، والذكرَ والأنثى.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ في السن، وهو روبيل الذي نهى عن قتل يوسف ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا ﴾ عهداً ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ ﴾ هذا ﴿ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ قصَّرتُم في شأنه، و(ما) مزيدة.

﴿ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ لن أفارق أرض مصر.

﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي ﴾ في الانصراف إليه.

﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ برد أخي، أو بوحى يُبرئني عند أبي.

﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ أعدل مَنْ فصل بين الناس. قرأ الكوفيون، وابنُ

عامر: (لي أبي) بإسكان الياء، وافقهم ابن كثير في (لي)، والباقون: بفتحها^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٠٥-٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٨٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٨٦).

﴿ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّا بِنُكْحَانِكَ سَرَقْنَا وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (٨١).

[٨١] ﴿ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ ﴾ هذا من قول كبيرهم ، وقيل : من قول يوسف عليه السلام ، والأول أظهر ﴿ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّا بِنُكْحَانِكَ ﴾ بنيامين .
﴿ سَرَقْنَا ﴾ أخذ ما لم يؤتمن عليه في خفية .

﴿ وَمَا شَهِدْنَا ﴾ بأن السارق يسترق ﴿ إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ من سنتك .
﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ أي : لم نعلم أنه يسرق ، وقيل : معناه : وما شهدنا عليه إلا بما علم ؛ نا أي : لانقطع عليه بالسرقة ، لكننا رأينا الصواع قد أخرج من رحله ، وما كنا لما غاب من أموره في نهاره وليله حافظين .

﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٨٢).

[٨٢] ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أي : أهل القرية ، وهي مصر . قرأ ابن كثير ، والكسائي ، وخلف : (وَسَلِّ) بالنقل ، والباقون : بالهمز^(١) .
﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي : الإبل التي عليها الأحمال ، والمراد : أصحابها ؛ لأنهم كانوا قد صاحبهم قافلة من كنعان من جيران يعقوب ، المعنى : أرسل إلى أهل مصر وأصحاب العير فاسألهم عن ذلك .
﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ في قولنا .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٥٩) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ٢٦٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦-١٨٧) .

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٨٣).

[٨٣] فرجعوا إلى أبيهم، وذكروا له ما قاله كبيرهم ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ زَيَّنَتْ ﴿ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أردتموه، وإلا فما أدرى الملك بِسُتِّي لولا فتواكم، والسُّولُ: ما يتمناه الإنسان ويحرصُ عليه. قرأ حمزة، والكسائي، وهشام: (بَلْ سَوَّلَتْ) بإدغام اللام في السين، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ليس فيه شكوى ولا ضجرٌ بقضاء الله، ثم تَرَجَّى من الله فقال:

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ يوسف وبنيامين وكبيرهم المقيم بمصر ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴾ بحالي ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ بتدبير خلقه.

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِیْضَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٨٤).

[٨٤] ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ أي: أعرض؛ كراهة لما صادف منهم. ﴿ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ ﴾ والأسف: شدة الحزن. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَا أَسْفِي) بالإمالة، ورؤي عن أبي عمرو: الفتح والإمالة بينَ بينَ، ووقف رويسٌ راوي يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يَا أَسْفَاهُ) بزيادة هاءٍ بعد الألف^(٢).

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٩-٥٠)، و«إتحاف فضلاء»

﴿وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ عَمِيَ بصرُهُ من ملازمة البكاء ، فلم يُبْصِرْ بهما سِتَّ سنين .

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ حابسٌ حزنه لا يظهره .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿قَالُوا﴾ أولادُ يعقوبَ : ﴿تَاللَّهِ﴾ بمعنى : والله !

﴿تَفْتَوُا﴾ أي : لا تزالُ ، وحُذِفَتْ (لا) في هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها ؛ تقديره : تالله لا تفتأ .

﴿تَذَكَّرُ يُونُسَ﴾ لا تفتُر من حُبِّه .

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ بالياً من المرض .

﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الميتين .

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي﴾ هو أشدُّ الحزن الذي لا يصبرُ عليه صاحبه حتى يَبْثُهُ أو يَشْكُوهُ .

﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ والحزنُ : هو أشدُّ الهمِّ . قرأ الكوفيون ، وابنُ كثيرٍ ،

= البشر» للدماطي (ص : ٢٦٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ١٨٧) .

ويعقوبُ: (حُزْنِي) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَالْباقون: بفتحها^(١).

﴿وَأَعْلَمُ﴾ يَا بَنِيَّ ﴿مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ وهو أن رؤيا يوسفَ صادقة وأنه حيٌّ، وأناي وأنتم سنسجدُ له.

رؤي أنه قيلَ له: يا يعقوبُ! ما الذي أذهبَ بصرَكَ، وقوَّسَ ظَهْرَكَ؟ قال: أذهبَ بصري بُكائي على يوسفَ، وقوَّسَ ظهري حُزْنِي على أخيه، فأوحى الله إليه: أَتَشْكُونِي؟! وَعِزَّتِي لَا أَكْشِفُ مَا بِكَ حَتَّى تَدْعُونِي، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى﴾ فأوحى الله إليه: وَعِزَّتِي لو كانا ميتينِ لَأَخْرَجْتُهُمَا لَكَ، وإنما وَجَدْتُ عَلَيْكُمْ أَنْكُمْ ذَبَحْتُمْ شاةً، فَقَامَ بِبَابِكُمْ مَسْكِينٌ فَلَمْ تَطْعَمُوهُ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِنَّ أَحَبَّ خَلْقِي إِلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْمَسَاكِينُ، فَاصْنَعْ طَعَاماً، فَادْعُوا عَلَيْهِ الْمَسَاكِينُ، فَصْنَعَ طَعَاماً، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ صَائِماً، فَلْيَفْطِرِ اللَّيْلَةَ عِنْدَ آلِ يَعْقُوبَ.

وقد حُكي أن ابتلاءَ يعقوبَ بيوسفَ كان سببهُ التفاتهُ في صلاتِهِ إليه ويوسفُ نائماً؛ محبةً له.

فإن قيل: كيف استجازَ يوسفُ أن يعملَ مثلَ هذا بأبيه، ولم يخبرهُ بمكانِهِ، وحبسَ أخاهُ معَ علمِهِ بشدةِ وَجْدِ أبيهِ؛ ففيهِ معنى العُقُوقِ، وقطيعةُ الرحمِ، وقلَّةُ الشفقةِ؟ فالجوابُ: أنه عملَ ذلكَ بأمرِ الله تعالى، أمرُهُ به ليزيدَ في بلاءِ يعقوبَ، فيضاعِفَ له الأجرَ، ويلحقَهُ في الدرجةِ بِآبائِهِ الماضينَ، واللهُ أعلم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٨٨).

﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيْهِ وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيْهِ﴾ أي: تطلّبوا خبرهما، والتحسّس بالحاء: طلب الشيء بالحاسّة في الخير، وبالجيم: في الشر، والتلاوة بالأول.

﴿وَلَا تَأْتِسُوْا﴾ تَقْنَطُوا ﴿مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ﴾ أي: رحمته التي يحيي بها العباد ﴿اِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ﴾ بالله.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يَتَايُهَا الْعَزِيْزُ مَسَّنَا وَاهْلَنَّا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَآوَفِ لَنَا الْكِلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِيْنَ﴾ ﴿٨٨﴾ .

[٨٨] فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها، فدخلوا على يوسف.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يَتَايُهَا الْعَزِيْزُ﴾ بلغة مصر: الملك. ﴿مَسَّنَا وَاهْلَنَّا الضُّرُّ﴾ الجوع والشدة ﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ﴾ رديئة أو قليلة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مُزْجَاة) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان^(١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٩).

﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾ الذي نستحقُّه ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ أي: تفضلْ بالمسامحة والإغضاء عن رداءة البضاعة، وكانت دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بنقصان، واستدلَّ مالكٌ وغيره من العلماء بقوله: ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾ على أن أجرَةَ الكَيْلِ على البائع، وكذلك الوزان، لأنَّ الرجلَ إذا باعَ عِدَّةً معلومةً من طعامٍ، أوجبَ العقدُ عليه أن يُفردَها بعينها، ويحوزها المشتري، والحكمُ كذلك بالاتفاق حيثُ كان المبيعُ مكيلاً أو موزوناً، أما إذا كان الثمنُ كذلك، فالأجرَةُ على المشتري عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وفي مذهب مالكٍ خلافٌ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ والتصدقُ: التفضل.

وسمعَ الحسنُ إنساناً يقولُ: اللهمَّ تصدَّقْ عليَّ، فقال: إن الله لا يتصدقُ، وإنما يتصدقُ مَنْ يبتغي الثوابَ، ولكن قل: اللهمَّ أعطني، أو تفضلْ عليَّ، أو ارحمني، ونحوه.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾.

[٨٩] فلما كلموه بهذا الكلام، أدركته الرقة، فافرض دمه، وباح بالذي يكتُم.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ إذ فرقتُم بينهما، وصنعتُم ما صنعتُم.

﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتُم عليه؟

﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠).

[٩٠] ثم تعرّف لهم فعرفوه، و﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: (إِنَّكَ) بهمزة واحدة على الخبر، والباقون: بهمزتين، على الاستفهام، وهم على أصولهم، فالكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين، وورش ورويس: يحققان الأولى، ويسهلان الثانية، وأبو عمرو، وقالون عن نافع: يسهلان الثانية، ويُدخلان بينهما ألفاً^(١).

﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ من أبي وأمي.

﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا.

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ ﴾ الله ﴿ وَيَصْبِرْ ﴾ على امثال الأمر واجتناب النهي. قراءة العامة: (يَتَّقِ) بحذف الياء في الحالين، جزم (بمَنْ)؛ لأنها شرط، وقرأ قبل عن ابن كثير: (يَتَّقِي) بإثبات الياء في الحالين لغة للعرب يُثبتون الياء في الجزم^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«الكشف» لمكي (١٤/٢)، و«تفسير البغوي» (٤٩٣/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٢/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٠/٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩١/٣).

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المتّصفين بهذه الصفات .

﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ .

[٩١] ﴿ قَالُوا ﴾ معتردين : ﴿ تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ ﴾ أي : فضّلكَ عَلَيْنَا بالصبر والحلم والعقل .

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ أي : وما كُنَّا في صنيعنا بك إلا مخطئين مُذنبين ، يقال : خطأ : إذا تعمّد ، وأخطأ : إذا كان غير متعمّد .

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] فلما اعترفوا بذنوبهم ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ ﴾ لا تقريع ولا توبيخ .
﴿ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ ولا أذكرُ لكم ذنبكم بعدَ اليوم ، ثم دعا لهم ؛ تطيباً لقلوبهم .

﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ما صدرَ منكم في حقِّي ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ولما عرفوه ، قالوا له : نستحي من الحضور لديك ؛ لإساءتنا إليك ، فقال : لقد شُرِّفْتُ بكم ؛ لأنّ المصريين وإن ملكتهم ما ينظرون إليّ إلا بالعين الأولى ؛ لأنني كنتُ عبداً فيهم .

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٩٣﴾ .

[٩٣] ثم سألهم عن أبيه فقالوا: عَمِي، فقال: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴾ هو قميصُ إبراهيمَ الذي ألبسه إياه جبريلُ حين أُلقي في النار، وكان معلقاً في عنق يوسفَ حين أُلقي في الجبِّ كما تقدّم في أول القصة، ففي هذا الوقتِ جاء جبريلُ عليه السلام، وقال: أرسلُ ذلكَ القميصَ؛ فإن فيه ريحَ الجنة، لا يقعُ على مبتلى ولا سقيمٍ إلا عوفي.

﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ ﴾ يعودُ ﴿ بَصِيرًا ﴾ حالٌ؛ أي: مُبْصِراً.
﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ ﴾ بأبيكم وأهله ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] فقال يهوذا: أنا أخزنته بالقميصِ الملطّخِ بالدم، فسأفرّحه بهذا القميصَ، فحمّله من مصرَ إلى كنعانَ، وبينهما ثمانونَ فرسخاً.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ أي: انفصلتْ، وخرجتْ من عمرانِ مصرَ.

﴿ قَالَ أَبُوهُمْ ﴾ يعقوبُ لحاضريه من حَفَدَتِهِ:

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ لأن الصِّبَا حملتْ ريحَ يوسفَ من ثمانينَ

فرسخاً، فأوجده الله ريحَ القميصِ من مسيرةِ ثمانِ ليالٍ.

﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ تَجَهَّلُونِ، والفندُ: الخَرْفُ، يُقال: شَيْخٌ مُفَنِّدٌ،

ولا يُقال: عجوزٌ مُفَنِّدَةٌ؛ لأنه لم يكن لها رأيٌ في شبَّيبتها فتفندَ في كبرها.

قرأ يعقوبُ: (تُفَنِّدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(١).

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾^(٩٥).

[٩٥] وكانوا يعتقدون موت يوسف، فلذلك ﴿قَالُوا﴾ يعني: أولاد أولاده.

﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي: في خطئك في حب يوسف قديماً، وتعتقد أنك تلقاه حديثاً، والضلال: هو الذهاب عن طريق الصواب.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٩٦).

[٩٦] ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ أي: المبشِّر عن يوسف، وهو يهوذا ﴿أَلْقَاهُ﴾ أي: القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ وجه يعقوب.

﴿فَارْتَدَّ﴾ فرجع ﴿بَصِيرًا﴾ فثم ﴿قَالَ﴾ لأولاد أولاده:

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف.

وروي أن يعقوب سأل البشير عن يوسف، قال: ملك مصر، قال: وما أصنع بالملك، على أي دين هو؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

النعمة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابن كثير: (إِنِّي أَعْلَمُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(٩٧).

[٩٧] ﴿قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ مذنيين. قرأ أبو جعفر: (خَاطِئِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز^(٢).

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِر لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٩٨).

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِر لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ آخرهم لوقت السحر؛ لأنه أرجى للإجابة، وهو الوقت الذي يقول الله: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟»^(٣). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٤)، ورؤي أن يعقوب استقبل القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمّن، وقاموا خلفه أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٩٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٩٢).

(٣) رواه البخاري (١٠٩٤)، كتاب: أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٩٢).

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَكَ فِي وَلَدِكَ ، وَعَقَدَ مَوَاقِفَهُمْ بَعْدَكَ عَلَى النَّبُوءَةِ .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ
اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (٩٩) .

[٩٩] وكان يوسفُ قد أرسلَ بمِثَّتِي راحلةٍ إلى أهله وجهازٍ ليرتحلوا
إليه ، وكانوا اثنين وسبعينَ إنساناً لما دخلوا مصرَ ما بينَ ذكرٍ وأنثى ، وكانوا
لما خرجوا منها هاربينَ من فرعونَ ستَّ مئةٍ ألفٍ وخمسةٍ مئةٍ وبضعةٍ
وسبعينَ رجلاً سوى الذريةِ والهَرَمَى ، وكانت الذريةُ والهَرَمَى ألفَ ألفٍ
ومِثَّتِي ألفٍ ، ولما دنا يعقوبُ وأهله من مصرَ ، خرجَ يوسفُ والملكُ الأكبرُ
في أربعةِ آلافٍ من الجندِ وعظماءِ المصريينَ يتلقَّونهم ، وكان يعقوبُ يمشي
وهو يتوكأُ على يهوذا ، فلما رأى الخيلَ ، قالَ ليهوذا : هذا فرعونُ مصرَ ؟
قالَ : هذا ابنُكَ ، فلما دنا كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه ، فذهبَ يوسفُ يبدؤه
بالسلام ، فقالَ جبريلُ : لا حتى يبدأَ يعقوبُ بالسلام ، فقالَ يعقوبُ : السلامُ
عليكَ يا مُذهِبَ الأحزانِ ، وتعانقَا ، وبكَّيا ، فقالَ يوسفُ : يا أبتِ ! بكيتَ
حتى ذهبَ بصرُكَ ، ألمَ تعلمُ أنَّ القيامةَ تَجْمَعُنَا ؟ قالَ : بلى يا بني ، ولكن
خشيتُ أن تُسَلِّبَ دينَكَ فيُحالَ بيني وبينكَ .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ ﴾ أي : ضمَّ ﴿ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ أباه وخالته ليًا ،
وكانت أمُّه راحيلُ قد ماتت ، والعربُ تسمي العمَّ أبا ، والخالَةَ أماً .

﴿ وَقَالَ ﴾ لهم لما قاربَ البلدَ ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ استثناءً
متعلِّقٌ بالدخولِ الموصوفِ بالأمنِ ؛ كأنه قال : إِسْلَمُوا وَأَمِنُوا في دخولِكُم
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

[١٠٠] فلما عاد إلى مصر، جلس على سريره، وجمع الناس، وإخوته حوله ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ﴾ معه ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وهو سريرُ الملك. قرأ ابنُ كثير: (أَبُوَيْهِ) وشبهه بياءٍ يصلُّها بهاء الكناية في الوصل حيث وقع. ﴿ وَخَرُّوا لَهُ ﴾ إخوته وأبواه ﴿ سُجَّدًا ﴾ كذلك كانت تحيتهم، فنهينا عنه في شريعة الإسلام.

﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ وكان بينهما نحوُ خمسين سنة، وقيل غير ذلك. قرأ الكسائي: (رُؤْيَايَ) بالإمالة^(١) ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ صدقاً.

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾ أنعم عليَّ ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ ولم يقل: من الجب؛ تكراً لثلاً يستحيي إخوته، ومن تمامِ الصِّفحِ ألا يذكر ما تقدَّم من الذنب. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو (بِي إِذْ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٣/٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٣/٣).

﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ البادية ؛ لأنهم كانوا أصحابَ ماشيةٍ وعمدٍ، وهي الخيامُ، ينتقلون في الماء والمرعى .

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ ﴾ أفسد ﴿ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ بوسوسته، وأصلُ النزغ: نحسُ الرائيضِ الدابةَ لتتحركَ .

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ﴾ أي: لطيفُ التدبير له، واللطيفُ: الذي يوصلُ الإحسانَ إلى غيره بالرفق ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴾ بوجوه المصالح ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فيما يفعل . قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (إِخْوَتِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)، واختلافُهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ) في سورة البقرة .

وأقامَ يعقوبُ بمصرَ عندَ يوسفَ أربعاً وعشرينَ سنةً، ثم ماتَ، فلما حضرتهُ الوفاةُ أوصى بحمله ودفنه عندَ أبيه إسحاقَ بمغارةِ حَبْرُونَ عندَ قبرِ إبراهيمَ عليه السلام، وتقدم ذكرُ ذلك في سورة البقرة .

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: لما ماتَ يعقوبُ، نقله يوسفُ في تابوتٍ من ساجٍ إلى بيت المقدسٍ، فوافقَ يومَ موتِ أخيه عيصٍ، فدفنَا في قبرٍ واحدٍ، وكانَا وُلداً في بطنٍ واحدٍ، وكانَ عمرُهما مئةً وسبعةً وأربعينَ سنةً^(٢) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٩٤) .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٥٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٥٨٩) .

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

[١٠١] فلما جمع الله تعالى ليوسفَ شمله، علمَ أن نعيمَ الدنيا لا يدومُ، فسألَ اللهَ حُسنَ العاقبةِ فقال: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ يعني: ملكَ مصرَ، والملكُ اتَّساعُ المقدورِ لمن له السياسةُ والتدبيرُ.

﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ تعبيرُ الرؤيا، و(مِنْ) للتبعية؛ لأنه لم يؤتَ كُلُّ الملكِ ولا كُلَّ التأويلِ.

﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مبدعهما، وانتصابُ (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ) على النداء.

﴿ أَنْتَ وَلِيِّ ﴾ أي: متولِّي أمري ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي ﴾ اقْبِضْنِي إِلَيْكَ ﴿ مُسْلِمًا ﴾ مَخْلَصًا ﴿ وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ من آبائي النبيين.

واختلفوا في مدة غيبة يوسفَ عن أبيه، فقليل: اثنتانِ وعشرونَ سنةً، وقيل: أربعونَ، وقيل: ثمانونَ، ولما ماتَ الملكُ الأكبرُ، وهو الريانُ بنُ الوليدِ المتقدم ذكره، خلفه ابنه دريموش، ويسميه أهلُ الأثر: دارمَ بنَ الريان، وهو الفرعونُ الرابعُ عندهم، فخالفَ سنةَ أبيه، وكانَ يوسفُ خليفةً، فيقبلُ منه بعضاً، ويخالفُ في البعض، فماتَ يوسفُ في أيامه وله مئةٌ وعشرونَ سنةً، فَكُفِّنَ وَحُمِلَ فِي تَابُوتٍ مِنْ رِخَامٍ، وَدُفِنَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَحْرِ النِّيلِ، فَأَخْصَبَ وَنَقَصَ الشَّرْقِيُّ، فَحُوِّلَ إِلَيْهِ، فَأَخْصَبَ وَنَقَصَ الْغَرْبِيُّ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي الشَّرْقِيِّ عَامًا، وَفِي الْغَرْبِيِّ

عاماً، ثم حدث لهم من الرأي أن يجعلوا له حِلَقاً وثاقاً، وشدُّوا التابوتَ في وسطِ النيلِ فأخصبَ الجانبانِ كلاهما، ولم يزلْ ثمَّ حتى كانَ زمنُ موسى عليه السلام وفرعون، فلما سارَ موسى ببني إسرائيل من مصرَ أخرجَهُ وهو في التابوت، وحمله على عجلٍ من حديدٍ، ودَفَنَهُ بحبرونَ في البقيعِ خلفَ الحيزِ السليمانيِّ حذاءَ قبرِ أبيه يعقوبَ، وجوارَ جدِّيه إبراهيمَ وإسحاقَ عليهما السلام، وتقدم ذكرُ ذلك ملخَّصاً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية: ٥٠]، ونزلَ عليه جبريلُ أربعَ مراتٍ، وبينه وبينَ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي، لَأَجَبْتُ»^(١).

وسئِلَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟» قَالَ: أَتَقَاهُمْ اللَّهُ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ بْنِ نَبِيِّ اللَّهِ بْنِ خَلِيلِ اللَّهِ»^(٢).

فهؤلاء الأنبياءُ الأربعةُ وهم: إبراهيمُ الخليلُ، وولدهُ إسحاقُ، وولدهُ يعقوبُ، وولدهُ يوسفُ، قبورُهم في محلٍّ واحدٍ، وعليهم من الوقارِ

(١) رواه الترمذي (٣١١٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يوسف، وقال: حسن، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٥٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٣٢٥)، وغيرهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) رواه البخاري (٣١٧٥)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم (٢٣٧٨)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

والجلالة ما لا يكادُ يُوصَفُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. ووُلدَ
ليوسفَ من امرأةِ العزيزِ ولدانِ: أفرايمُ والدُ رحمةَ زوجةِ أيوبَ، وميشا.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [١٠٢].

[١٠٢] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكورُ من نَبأِ يوسفَ ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾
لأنك لم تحضره، ولا قرأته في كتابٍ، وقد أُخْبِرْتَ به، كما جرى.
﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا ﴾ أَحْكَمُوا ﴿ أَمْرَهُمْ ﴾ على كيدِ يوسفَ.
﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ به. والإجماعُ لغةٌ: العزمُ والاتفاقُ، واصطلاحاً: اتفاقُ
مجتهدِي الأُمَّةِ في عصرٍ على أمرٍ ولو فعلاً بعدَ النبيِّ ﷺ، وهو حُجَّةٌ قاطعةٌ
بالاتفاقِ، ولا يختصُّ الإجماعُ بالصحابةِ بالاتفاقِ.

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٠٣].

[١٠٣] ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ﴾ يا محمدُ ﴿ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾ على إيمانِهِمْ
﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إنما يؤمن مَنْ شاءَ الله.

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٤].

[١٠٤] ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾ على إرشادِكَ إياهم ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ جُعِلَ.
﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني: القرآنُ ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ موعظةٌ ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ عامَّةً.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ .

[١٠٥] ﴿وَكَايْنٍ﴾ تقدّم اختلافُ القراء في (وَكَايْنٍ) في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: ١٤٦]؛ أي: وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على الوحداية.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يُشَاهِدُونَهَا ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتَعَبَّوْنَ بِهَا.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ .

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ بعبادتهم الوثن .
عن ابن عباس أنه قال: «نزلت في تلبية المشركين من العرب، كانوا يقولون: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكٌ»^(١).

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾ نِقْمَةٌ تَغْشَاهُمْ.

﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ يعني: الصواعق.

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٢/٨٤٣)، و«تفسير البغوي» (٢/٥٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٥٩٣).

﴿ أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بمجيء القيامة .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨) .

[١٠٨] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ طريقي ؛ يعني : الدعوة إلى التوحيد . قرأ نافع ، وأبو جعفر : (سَبِيلِي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ يقين ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي : ومن آمن بي أيضاً يدعو إلى الله .

﴿ وَسُبْحَنَ اللَّهُ ﴾ تنزيهاً له ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ورؤي أن هذه الآية ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ إلى آخرها كانت مرقومة على راية يوسف عليه السلام .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٩) .

[١٠٩] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَّا رِجَالًا ﴾ وليسوا بملائكة

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٥٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣١) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٩٦) .

﴿نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (نُوحِيَ) بالنون، وكسر الحاء، والباقون: بالياء وفتح الحاء^(١).

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار، قال الحسن: لَمْ يبعثِ اللهُ نبيّاً من البدو، ولا من الجن، ولا من النساء؛ لجفائهم وقسوتهم وجهلهم^(٢).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: هؤلاء المشركين ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عُقْبَةُ﴾ آخر أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم المكذبة فيعتبروا.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ حصّ على الآخرة والاستعداد لها، والاتقاء للموبقات فيها، ثمّ وبّخهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيؤمنون. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ لَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ (حَتَّى) متعلّقة بمحذوف دلّ عليه الكلام؛ كأنه قيل: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فتراخى نصرهم، حتى إذا استياسوا عن النصر.

﴿وَضَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)،

و«تفسير البغوي» (٢/٥٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٩٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٥٠٤ - ٥٠٥).

وأبو عمرو، ويعقوبُ: (كُذِّبُوا) بالتشديد، يعني: الرسل ظَنُّوا أَنَّ الأمم قد كَذَّبُوهم تكذيباً لا يُرْجى بعده إيمانهم، وَظَنُّوا بمعنى: أيقنوا، وقرأ الباقر: (كُذِّبُوا) بالتخفيف^(١)، معناه: ظنَّ الأمم أن الرسل كَذَّبُوا في وعيدِ العذاب.

﴿جَاءَهُمْ﴾ يعني: الرسل ﴿نَصَرْنَا فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (فَنَجَّى) بنونٍ واحدةٍ وتشديدِ الجيمِ وفتحِ الياءِ على ما لم يُسمَّ فاعلهُ، وقد أجمعتِ المصاحفُ على كتابتهِ بنونٍ واحدةٍ، وقرأ الباقر: بنونين، الثانيةُ ساكنةٌ مخفأةٌ عندَ الجيمِ، وتخفيفِ الجيمِ وإسكانِ الياءِ^(٢)؛ أي: نحنُ نُنَجِّي مَنْ نَشَاءُ عندَ نزولِ العذابِ، وهم المؤمنون. ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر يوسف وإخوته.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٥٠٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٧/٣)، وأنكرت عائشة رضي عنها قراءة التخفيف كما ذكر البغوي ذلك عنها.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٥٠٦/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٨/٣).

﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: اعتبارٌ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول.

﴿مَا كَانَ﴾ أي: القرآنُ ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يُخْتَلَقُ.

﴿وَلَكِنْ﴾ كانَ ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتبِ المنزلةِ
﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالِ
﴿وَرَحْمَةً﴾ نعمةً.

١ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *



مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَسْتُمْ مُرْسَلًا﴾ الآية، وقيل: مدنية إلا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآيتين نزلتا بمكة، وآيها ثلاث وأربعون آية، وحروفها ثلاثة آلاف وخمسة مئة وستة أحرف، وكلمها ثمان مئة وخمسة وخمسون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

[١] ﴿الْمَرَّةَ﴾ قال ابن عباس: «معناه: أنا الله أعلم وأرى» (١) وتقدم ذكر السكت والإمالة في أول سورة يونس (٢).

﴿تِلْكَ﴾ أي: أخبار الأمم المتقدمة ﴿ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾ أي: الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني: القرآن، مبتدأ، خبره ﴿الْحَقُّ﴾ فاعتصم به.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في الآية (١) منها.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾ يعني : مشركي مكة .
﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لعدم تأمّلهم فيه .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٢) .

[٢] ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ جمعُ أَعْمَدَةٍ ، وهي جمعُ عمود البيت ، يعني : السّواري ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ استشهادٌ برؤيتهم لها كذلك ، والمراد : نفى العمدة أصلاً ، وهو الأصحُّ ، فهي واقفةٌ كالقبة ، والقدرةُ أعظمُ من ذلك .

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بلا كيفٍ ، وتقدّم الكلامُ عليه في سورة الأعراف .
﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ ذلّلهما لمنافع خلقه على ما يريدّه تعالى .
﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لوقتٍ معلومٍ ، وهو انقضاء الدنيا .
﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ في خلقه من غير شريك له فيه .
﴿ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ يُبين البراهين .
﴿ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ لكي تصدّقوا وعده .

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .
[٣] ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ﴾ بسطها ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبالاتٍ ثوابتٍ ، قال

ابن عباس: «كَانَ أَبُو قُبَيْسٍ أَوَّلَ جَبَلٍ وُضِعَ عَلَى الْأَرْضِ»^(١) ﴿وَأَنْهَرًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا﴾ أي: خلق في الأرض حين بسطها من كل نوع من الثمرات ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: نوعين: حلو، وحامض، ونحوهما.

﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ يُلبِسه مكانه، فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (نُغْشِيَ) بالنون^(٢)، والباقون: بالياء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور.

﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، والتفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ متلاصقات مختلفات مع تلاصقها طيبة إلى سبخة، وكثيرة الريع إلى قليله، ونحو ذلك.

﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ هي النخلات يجمعهن أصل واحد، ومنه قول النبي ﷺ في العباس: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»^(٣).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٨٨٩).

(٢) «بالنون» ساقطة من «ت».

(٣) رواه مسلم (٩٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿وَعَثْرُ صِنَوَانٍ﴾ النخلة المنفردة بأصلها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ) بالرفع في الأربعة عطفاً على (جَنَاتٍ)، وقرأها الباقون: بالخفض عطفاً على (أَعْنَابٍ)^(١).

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ وهي متغايرة في الألوان والطعوم. قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (يُسْقَى) بالياء على التذكير؛ أي: يُسْقَى المذكور، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ أي: تُسْقَى الجنة بما فيها، وأمال حمزة، والكسائي القاف^(٢).

﴿وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ في الثمر والطعم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَيُفِضُ) بالياء؛ لقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾، وقرأ الباقون: بالنون على معنى: ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل^(٣)، وقرأ نافع، وابن كثير: (الأكل) بإسكان الكاف، والباقون: بضمها^(٤)، والأكلة بضم الهمزة: اللقمة، وبكسرهما: الحالة يؤكل عليها،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/٥٠٩-٥١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٠٤-٢٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/٥١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٠٦-٢٠٧).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٠٧).

وبفتحها: المرة الواحدة، كذلك بنو آدم من أب واحد، واختلفت خلقهم وأخلاقهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكير.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَكُنْ خَلْقًا جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ يا محمد من إنكارهم النشأة الآخرة، مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله عز وجل، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء.

﴿فَعَجَبٌ﴾ تصويب لعجبه ﷺ، والعجب: تغير النفس برؤية المستبعد في العادة. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلاد عن حمزة: (تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ) بإدغام الباء في الفاء، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ بعد الموت.

﴿أَلَمْ نَكُنْ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: أُنْبِئْتُ خَلْقًا جَدِيدًا بعد الموت؟ واختلاف القراء في (أئذا) (أئنا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٠٧).

وعكسه، والاستفهام فيهما، فقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ: (إِذَا) بالإخبارِ
(أَيْنَا) بالاستفهامِ، فابنُ عامرٍ يحققُ الهمزتين، وأبو جعفرٍ يسهِّلُ الثانيةَ،
ويفصلُ بينهما بـألفٍ، واختلفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامرٍ في الفصلِ مع
تحقيقِ الهمزتين، وقرأ نافعٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (أَيْذَا) بالاستفهامِ،
(إِنَّا) بالإخبارِ، فنافعٌ يسهِّلُ الهمزةَ الثانيةَ، وراويه قالونٌ يفصلُ بينهما
بـألفٍ، وافقه رويسٌ عن يعقوبٍ في التسهيلِ، والكسائيُّ يحققُ الهمزتين،
وافقه روحٌ عن يعقوبٍ، وقرأ الباقون: (أَيْذَا) (أَيْنَا) بالاستفهامِ فيهما، فابنُ
كثيرٍ، وأبو عمرو يسهِّلانِ الهمزةَ الثانيةَ منهما، وأبو عمرو يفصلُ بينهما
بـألفٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، وخلفٌ يحققون الهمزتين^(١)، فمن قرأ
بالاستفهامين، فذلك للتأكيد، ومن استفهم في الأولِ فقط، فإنما القصدُ
بالاستفهامِ الموضعُ الثاني، تقديرُه: أُنْبِئْتُ ونُحْشَرُ إِذَا، ومن استفهم في
الثاني فقط، فمعناه: إِذَا كُنَّا تَرَاباً أُنْبِئْتُ؟

﴿أُولَئِكَ﴾ أي: منكرو البعث ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ أَكْثَرُ الْأَغْلَالِ فِي
أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي: أعمالهم الخبيثة.

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يُنْقَلُونَ عنها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢-١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/ ٣٦٢-٣٦٤، ٣٧٢-٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢٠٧-٢٠٩).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ونزلَ فيمن طلبَ العذابَ قبلَ حينِه استهزاءً بالنبيِّ ﷺ :
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي : بالنَّقْمَةِ قبلَ العافية ،
والاستعجالُ : طلبُ تعجيلِ الأمرِ قبلَ مجيئِ وقته .

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جَمْعُ مَثَلَةٍ ؛ أي : عقوباتُ أمثالهم من
المكذِّبينَ ، المعنى : قد عرفوا ما نزلَ بالأممِ قبلهم من الهلاكِ ، فكيف
يستعجلونه ؟

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أي : يغفرُ ذنوبهم مع ظلمهم
أنفسهم بالمعاصي والشركِ إن تابوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للكفار .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عناداً :

﴿لَوْلَا﴾ أي : هلاً ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي : على محمد ﷺ .

﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي : حجةٌ على صدقِ نبوته ؛ كإحياءِ عيسى الموتى ،
وقلبِ عصا موسى حيةً ، قال اللهُ تعالى :
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ ما عليك إلا البلاغُ .

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبيٌّ يرشدهم . وقفَ ابنُ كثيرٍ (هادي) بإثباتِ الياءِ بعدَ

الدال، ورُوي ذلك عن يعقوبَ وقنبلٍ؛ لأنها الأصلُ، ولأن الذي حُذفتِ الياءُ لأجله، وهو التنوينُ، قد زالَ، وقرأَ الباكونَ: بحذفها وقفاً؛ لأن الأصلَ هو الوصلُ، وهي في الإمامِ بغيرِ ياءٍ، والحذفُ والإثباتُ جائزان^(١)، وكذلك حكمُ اختلافهم في (وَالِ) و(وَاقٍ) و(بَاقٍ).

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٨).

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذكرٍ وأنثى، وتامٌ وناقصٍ، وأبيضَ وأسودَ، وواحدٍ واثنين وأكثرَ.

﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ أي: تنقصُ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي: تأخذُه زائداً، فنقصانُ الأرحامِ: وضعُها لأقلَّ من تسعةِ أشهرٍ، وزيادتها: وضعُها لأكثرَ من تسعةِ أشهرٍ، وقيلَ غيرُ ذلك، وأقلُّ مدةِ الحملِ ستةُ أشهرٍ بالاتفاق، وغالبُها تسعةُ أشهرٍ، واختلفوا في أكثرِها، فقال أبو حنيفة: سنتان، وقال مالكٌ: خمسٌ، وهو المشهورُ عنه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: أربعٌ.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ في علمه ﴿بِمِقْدَارٍ﴾ بتقديرٍ معلومٍ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«الكشف» لمكي (٢/٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٠١-٢١٩)، قال مكي: والحذف والإثبات لغتان للعرب والحذف أكثر.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غابَ عن خلقه ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما شاهدوه .

﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي كُلُّ شيءٍ دونه .

﴿الْمُتَعَالِ﴾ عن صفات المخلوقين ، وقول المشركين . قرأ ابنُ كثيرٍ ويعقوبُ : (الْمُتَعَالِي) بإثبات الياء ، وحذفها الباقر^(١) .

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالَّيْلِ
وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ أي : استوى في علم الله خافي القول وظاهره ، ومُخْفِيهِ ومُظْهِرُهُ ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ﴾ مستترٌ يطلبُ الخفاء .

﴿بِالَّيْلِ﴾ بظلامه : رُوِيَ عن يعقوبَ وقنبلٍ : الوقفُ بالياءِ على (مُسْتَخَفِّي) .

﴿وَسَارِبٌ﴾ سالِكٌ في سَرَبِهِ ؛ أي : طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾ والسَّرْبُ بفتح السينِ وسكونِ الراءِ : الطريقُ ، قال ابنُ عباسٍ : «هُوَ صَاحِبُ رِيَّةٍ مُسْتَخَفٍّ

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ٢٧٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١١) .

بالليل ، وإذا خرجَ بالنهار ، أرى الناسَ أنه بريءٌ من الإثمِ»^(١) .

﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾^(١١) .

١ [١١] ﴿لَهُ﴾ أي : الإنسان المؤمن .

﴿مُعَقِّبَتٌ﴾ أي : الملائكة تتعاقبُ في حفظه .

﴿مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي : من قُدَّامِهِ ومن ورائِهِ ، والتعقيبُ : العودُ بعدَ البدءِ ، وإنما ذكر بلفظِ التأنِيثِ ؛ لأن المراد : الجماعاتُ التي يعقبُ بعضها بعضاً .

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي : بأمرِ الله ، فإذا جاءَ القدرُ ، خَلَّوْا عنه .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة .

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ بكثرةِ المعاصي .

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يَرُدُّهُ شيءٌ ﴿وَمَا لَهُمْ﴾

أي : المرادُ هلاكُهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دونِ الله ﴿مِنْ وَّالٍ﴾ وليٌّ . وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في (وَالٍ) عندَ (هَادٍ)^(٢) ، وفيه دليلٌ على أنَّ خلافَ مرادِ الله مُحالٌ .

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١٣/١٣) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٢٩/٧) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٩٨/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٧٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١١/٣) .

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ من الصاعقة ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الغيث ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ ﴾ الغيم المنسحب بالماء .
﴿ الثِّقَالَ ﴾ بالمطر، قال عليٌّ: «السَّحَابُ غِرْبَالُ الْمَاءِ»^(١) .

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ والرعد اسمُ مَلَكٍ يسوق السحاب، والصوت المسموعُ تسبيحه، فإذا سَبَّحَ، لم يبقَ مَلَكٌ إلا رفعَ صوته بالتسبيح، فينزلُ القطرُ، وعن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ أنه كان إذا سمعَ صوتَ الرعدِ، تركَ الحديثَ، وقالَ: «سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، والملائكةُ من خيفته، ويقولُ: إِنَّ هَذَا الْوَعِيدَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَشَدِيدٌ»^(٢) .

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ أيضاً تُسَبِّحُ ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ أي: خيفةِ الله تعالى .
﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ ﴾ جمعُ صاعقة، وهي العذابُ المهلكُ ينزلُ من البرق .

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٧/٨)، عن كعب . وانظر: «تفسير البغوي» (٥١٨/٢) .

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٩٩٢/٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٦٢/٣)، عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - .

﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهلكه .

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ بتكذيبهم عظمتَهُ وتوحيدهُ .

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ العقوبة، يقال: محل الرجل بالرجل: إذا مكر به وأخذَه بسعايةٍ شديدةٍ .

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٤) .

[١٤] رُوي أن عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله قاصدين قتله، فأخذهُ عامرٌ بالمجادلة، ودارَ أربدُ من خلفه ليضربه بالسيف، فتنبّه له رسولُ الله ﷺ، وقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ»، فأرسل الله على أربد صاعقةً فأحرقتهُ، وولّى عامرٌ هارباً، فنزل بيت امرأة سلولية، فرمى بغدّةٍ عظيمةٍ، فمات، وكان يقول: غُدّةٌ كغدّة البعير، وموتٌ في بيت سلولية؟! فنزلت الآية:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ (١) أي: هو المستحقُّ لها، وهي لا إله إلا الله.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الآلهة الذين يدعونهم الكفار .

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يريدونه .

﴿إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ أي: لا ينتفع عبدة الأصنام

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/١٢٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٤)،

و«تفسير القرطبي» (٩/٢٩٦ - ٢٩٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/٦١٦ -

٦١٧).

بدعائهم إلا كانتفاع عطشان يمدُّ يده إلى ماءٍ في حفيرة لا يصلُ إليه .
﴿ وَمَادُعَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ الْأَصْنَامَ ﴿ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ لا يفيدُ شيئاً ، ولا يُغنيهم .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : ينقادون .

﴿ طَوْعًا ﴾ هم المؤمنون .

﴿ وَكَرْهًا ﴾ هم المنافقون والكافرون الذين أُكْرِهوا على السُّجودِ
بالسيف .

﴿ وَظِلَالُهُمْ ﴾ جاء في التفسير أن الكافر يسجدُ لغير الله ، وظِلُّه يسجدُ لله
﴿ بِالْغُدُوِّ ﴾ الْبُكْرِ ﴿ وَالْأَصَالِ ﴾ الْعِشَاءِ ، جمعُ أَصْلٍ ، والأُصْلُ جمعُ أَصِيلٍ ،
وهو ما بينَ العصرِ وغروبِ الشمسِ ، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتفاق ، وتقدَّمَ
اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوة ، وحكمه ، وسجودُ الشكرِ آخرَ سورةِ
الأعرافِ مستوفى .

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ
وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
الْوَحِيدُ الْقَهَرُ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ قُلْ ﴾ للمشرَكين استفهام إنكارٍ ﴿ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خالقها

وَمُدَّبَرُهَا، فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِفُوا، فَأَنْتَ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ رَبُّ، هُمَا وَإِنْ اعْتَرَفُوا.
﴿قُلْ﴾ أَنْتَ إلِزَامًا لَهُمْ: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أَي: دُونَ اللَّهِ.
﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أَصْنَامًا.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا، فَلَا يَمْلِكُ
لْغَيْرِهِ، وَمَنْ هُوَ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ يُعْبَدُ وَيُتَّخَذُ وَلِيًّا. قرأ ابن كثير، وحفص عن
عاصم، ورؤيس عن يعقوب: (أَفَاتَّخَذْتُمْ) بإظهار الذال عند التاء،
والباقون: بالإدغام^(١)، ثم ضرب لهم مثلاً فقال:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني: الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الظُّلُمْتُ وَالنُّورُ﴾ يعني: الكفر والإيمان. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف،
وأبو بكر عن عاصم (أَمْ هَلْ يَسْتَوِي) بالياء على التذكير؛ لأنه تأنيث غير
حقيقي، والفعل مقدّم، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث^(٢)؛ لأنه مؤنث لم
يفصل بينه وبين فاعله شيء، ثم استفهم منكراً معجباً منهم فقال:

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: لم يَتَّخِذُوا آلِهَةً
يُخْلِقُونَ شَيْئاً فَيَشْتَبَهُ خَلْقُهُمْ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بلا شريك، فيعبد بلا شركة.
﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ المتوحد بالألوهية ﴿الْقَهَّارُ﴾ الغالب على كل شيء.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٤).

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرْدٍ كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ثم ضربَ مثلين للحقِّ والباطلِ ، فقال تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني : المطرَ .

﴿ فَسَالَتْ ﴾ من ذلك الماءِ ﴿ أَوْدِيَةٌ ﴾ جمعُ وادٍ ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ صغيراً وكبيراً .
﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا ﴾ هو ما علا وجهَ الماءِ من رغوةِ الماءِ وغيرها .
﴿ رَابِيًا ﴾ عالياً على الماءِ ، فالماءُ الصافي هو الحقُّ ، والذاهبُ الزائلُ الذي يتعلَّقُ بالأشجارِ وجوانبِ الأوديةِ هو الباطلُ ، فهذا أحدُ المثلين ، والمثلُ الآخرُ قوله تعالى :

﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ قرأ حمزةٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وحفصٌ عن عاصمٍ :
(يُوقِدُونَ) بالغيب ؛ لقوله تعالى : (مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) ، ولا مخاطبةَ هاهنا ،
وقرأ الباقون : بالخطاب^(١) ؛ أي : ومن الذي توقدون .

﴿ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ﴾ كالذهبِ والفضةِ ﴿ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ ﴾ طلبَ زينةٍ يُتَرَكَّنُ بها .
﴿ أَوْ مَتَاعٍ ﴾ وهو ما يُنْتَفَعُ به ؛ كالنحاسِ والرصاصِ يُذابُ فَيَتَّخَذُ منه
الأواني ، والإيقادُ : جعلُ النارِ تحتَ الشيءِ ليدوبَ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٥٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٣) ،
و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/ ٢٩٧-٢٩٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٤) .

﴿ زَبْدٌ مِّثْلُهُ ﴾ أي : إذا سُبِكَ بالنارِ ، كانَ له زَبْدٌ ، وهو خَبْثُهُ ، فالصافي يُنتفعُ به كالماءِ مَثَلُ الحقِّ ، وزبده يَبْطُلُ كزبدِ الماءِ مَثَلُ الباطلِ .

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ﴾ أي : يُمَثِّلُ ﴿ اللَّهُ الْحَقَّ ﴾ الذي يتقرَّرُ في القلوبِ .

﴿ وَالْبَاطِلُ ﴾ الذي يعتريها أيضاً .

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ ﴾ الذي علا السيلَ والفلزَّ ، وهو ما يَنْفِيهِ الكيرُ مما يُذاب من جواهر الأرضِ .

﴿ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ باطلاً ، والجفاءُ : هو ما يرمي به سيلُ الوادي إلى جنباته من الغُثاءِ ، وجَفَأَتِ القِدْرُ : إذا غَلَتْ وأَلْقَتْ زَبَدَهَا .

﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ من الماءِ وخلاصةِ الفلزِّ من الذهبِ والفضةِ والنحاسِ .

﴿ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ لمنافعهم .

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ فيظهرُ الحقُّ من الباطلِ .

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [١٨] .

[١٨] ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾ أجابوا ﴿ لِرَبِّهِمْ ﴾ وأطاعوه .

﴿ الْحُسْنَى ﴾ الجنةُ ، وكلُّ ما يختصُّ به المؤمنُ من نعمِ الله سبحانه ، و(السُّوءَى) النارُ .

﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ﴾ هم الكافرون ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۖ ﴿١٨﴾ لِبَذْلُوهُ افْتِدَاءً لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ.
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ هو المناقشة فيه، فَلَا يُغْفَرُ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

﴿وَمَا أُولَئِكَ فِي الْآخِرَةِ﴾ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمِهَادُ ﴿المستقرُّ﴾.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩).

[١٩] ثم أدخل همزة الإنكار على الفاء مبيناً أن لا مساواة بين حال المستجيب وضده فقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ ويؤمن به، وهو حمزة رضي الله عنه ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عن الحق لا يبصره، وهو أبو جهل وغيره ممن كان كذلك.

﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ﴾ يَتَعَطُّ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذُوو العقول فيستجيئون.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إذا عاهدوا.

﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ العهد الموثق.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ والمراد: صلة الرِّحِمِ

عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْقُرْآنُ يُحَاجُّ الْعِبَادَ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَالْأَمَانَةُ، وَالرَّحِمُ تُنَادِي: أَلَا مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»^(١).

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ سِرًّا وَعَلَانِيَةً.

﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ وهو عدمُ المسامحةِ فيه .

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ .

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على المكارِه ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غير ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في مواساة المحتاج .
﴿سِرًّا﴾ هو ما يُنْفَقُ تَطَوُّعاً ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ هي الزكاة المفروضة .

﴿وَيَدْرُءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ فيجازون الإساءة بالإحسان، وهذا بخلاف خُلُقِ الجاهليَّة، رُوي أنها نزلت في الأنصار، ثم هي عامَّة بعد ذلك في كلِّ مَنْ اتصف بهذه الصفة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا، وهي الجنة .

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ .

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٢/١٨٧)، عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - .

[٢٣] ثم بيّنه بقوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بساتين إقامة.

﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: من عمل صالحاً.

﴿مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ المعنى: يدخلون الجنة بجميع أهلهم؛ تكميلاً لفرحهم.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٤﴾.

[٢٤] ويقولون لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: هذا الثواب لكم بسبب صبركم على مشاق الدين، تلخيصه: تعبتم ثم، فاسترحتم هنا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٢٥﴾.

[٢٥] ونزل في الكفار صفة حالة مضادة للمتقدمة ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم بالطاعة.

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ فيؤمنون ببعض الأنبياء، ويكفرون ببعض ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والظلم.

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الإبعاد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ضدّ (عُقْبَى الدَّارِ)، والأظهر في الدار هنا أنها دار الآخرة.

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ ﴾ يُوسَّعُ .

﴿ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ يَهَبُ للكافر المالَ ليهلكه به .
﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضَيِّقُ على المؤمنِ ليعظمَ بذلكَ أجره ، فالكلُّ بمشيئةِ الله تعالى ،
ثم استجملهم في قوله : ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فرحَ بطَرٍ لا فرحَ شكرٍ للنعمة .
﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ كائنة ﴿ فِي ﴾ جنبِ ﴿ الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ ذاهبٌ
يُستمتعُ به قليلاً ، ثم يفنى .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَنَابَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من أهل مكة :
﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ تكونُ دليلاً على صدقه .
﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ إضلاله .
﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ ﴾ يرشدُ إلى دينه ﴿ مَن أَنَابَ ﴾ رجعَ عن مُنكَرٍ .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ ﴾ تسكنُ ﴿ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ إذا ذكروه ، أو
ذِكْرَ لهم .

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فيستقرُّ فيها اليقينُ.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي مَنَاقِبِهِمْ﴾.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، خبره ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾
أي: طيبُ العيشِ ﴿وَحَسُنَ مَا فِي مَنَاقِبِهِمْ﴾ مرجعٌ إلى الجنة. قرأ يعقوبُ: (مَا فِي)
بإثباتِ الياءِ في الحالين حيثُ وقعَ إذا لم ينون، والباقون: بحذفها^(١)، وقرأ
أبو عمرو: (الصَّالِحَاتِ طُوبَى) بإدغامِ التاءِ في الطاءِ^(٢).

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إرسالنا الرسلَ قبلكَ يا محمدُ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾
ثمَّ بينَ المرسلِ إليهم فقال: ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ علَّلَ ذلك فقال:
﴿لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ وشرائعِ الإسلامِ.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الواسعِ الرحمةِ.

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿هُوَ﴾ أي: الرحمنُ الذي كفرتمُ به.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢١٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣/٢١٦).

﴿رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدْتُ ﴿وَالِيَهُ مَتَابِ﴾ أي: توبتي .
قرأ يعقوبُ: (متابى) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(١).

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾
بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ
حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ .

[٣١] ولما اقترح مشركو مكة منهم أبو جهل بن هشام، وعبدُ الله بنُ
أبي أمية على النبي ﷺ إزالة جبال مكة لتتفَسَّحَ، وجَرِي مياهِ بأرضهم
ليغرسوا الأشجارَ ويزرعوا، وإحياء موتاهم، وأنه إن فعل ذلك، آمنوا به،
نزل:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ﴾^(٢) نُقِلَتْ ﴿بِهِ الْجِبَالُ﴾ عن أماكنها .
﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي: شُقَّتْ فَجُعِلَتْ أنهاراً وعيوناً .
﴿أَوْ كَلِمَ﴾ أي: أُحْيِيَ .

﴿بِهِ الْمَوْتُ﴾ وجوابُ (لو) محذوفٌ، وتقديرُهُ: لكانَ هذا القرآنُ؛

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِياطِي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢١٧/٣).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٥ - ١٥٦)، و«تفسير البغوي»
(٥٣٢/٢).

لكونه غايةً في التذكير، ونهايةً في الإنذار ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ في إيمانٍ مَنْ آمَنَ^(١)، وكفرٍ مَنْ كَفَرَ.

﴿أَفَلَمْ يَأْتِسْ﴾ أي: يعلم، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ﴾ فآمنوا ﴿جَمِيعًا﴾ وتقدم اختلاف القراء في ﴿يَاسُ﴾ في سورة يوسف عند قوله تعالى ﴿فلما استياسوا منه﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ من الكفر.
﴿قَارِعَةً﴾ واهية تقررهم بأنواع البلايا من سرايا رسول الله ﷺ وغزواته.
﴿أَوْ تَحُلْ﴾ أي: تنزل أنت يا محمد بنفسك.
﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ وهو فتح مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بُرْسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^(٣٢).

[٣٢] وكان الكفار يسألون عن هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء، فأنزل الله تسلياً لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بُرْسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كاستهزائهم بك.
قرأ أبو جعفر: (استهزيت) بفتح الياء بغير همز.

(١) من قوله: «والباقون (غيابة)...» من سورة يوسف (الآية: ١٠) (ص: ٣٩٦) إلى قوله: «إيمان من آمن» من سورة الرعد (الآية: ٣١) سقط من «ش»، بمقدار عشر لوحات من باقي النسخ الخطية.

﴿ فَأَمَلَيْتُ ﴾ أَمَهَلْتُ ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ في الدنيا بالقتل ، وفي الآخرة بالنار .

﴿ فَكَيفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ تعجيبٌ من شِدَّةِ أَخَذِهِ لَهُمْ . قرأ يعقوبُ : (عِقَابِي) بإثباتِ الياء^(١) .

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظُهُمْ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ثم احتجَّ عليهم موبِّخاً فقال : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي : أ فاللهُ الذي هو رقيبٌ على كلِّ نفسٍ ، يعلمُ خيرَهَا وشرَّهَا ، وجوابُهُ محذوفٌ تقديرُهُ : كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ ، وهم أصنامُكم ؟

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ المعنى : أَفَمَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ ، وَيُجْعَلُ لَهُ شَرِيكٌ ، أَهَلْ أَنْ يَنْتَقِمَ وَيُعَاقِبَ أَمْ لَا ؟ وَالْأَنْفُسُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْكُلِّ .

﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ بَيَّنَّا شُرَكَاءَكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ حَتَّى نَعْرِفَ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدُوا .

﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ ﴾ أي : تخبرون اللهَ ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ فإنه لا يعلمُ لِنَفْسِهِ شَرِيكاً .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢١٨) .

﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: تُسمُّونهم شركاء من غير أن يكونَ لذلك حقيقةً.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ كيُدْهم بِشِرْكِهِمْ. قرأ الكسائي، وهشام: (بل زُيِّنَ) بإدغام اللام في الزاي، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (وَصُدُّوا) بضم الصاد على تعدي الفعل، وقرأ الباكون: بالفتح^(٢)؛ أي: وصدُّوا الناس: صرّفوهم عن الدين.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ﴾ بخذلانه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يوفِّقه.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾^(٣٤)

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشدُّ شقًّا للقلب.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ مانع يمنعهم من العذاب: تقدم التنبيه على مذاهب القراء في (هادي)، ومثله (واقي)^(٣).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٦٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/٥٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢١٩).

(٣) عند تفسير الآية (٧) من هذه السورة.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ مَثَلُ ﴾ أي : صفة ﴿ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ كقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [النحل: ٦٠] ؛ أي : الصفة العليا .

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ ثمرها دائم لا ينقطع . قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (أَكُلُهَا) بإسكان الكاف ، والباقون : بضمها^(١) .
﴿ وَظِلُّهَا ﴾ ظليل لا يزول ، وهو ردُّ على الجهمية حيث قالوا : إن نعيم الجنة يفنى .

﴿ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي : مصيرهم .
﴿ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ لا غير .

﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ؕ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ، وهم الصحابة رضي الله عنهم .

﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن .

﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ يعني : الكفار الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ من

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٠) .

اليهود والنصارى ﴿مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ﴾ أي: بعض القرآن، وهو ما يخالف شرائعهم، أو يوافق ما حرّفوه منها، قال ابن عباس: «آمن اليهود بسورة يوسف، وكفر المشركون بجميعه»^(١).

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ نصباً عطفاً على (أَنْ أَعْبُدَ)؛ أي: أُمِرْتُ فيما أُوحي عليّ بأنْ أَعْبُدَ الله، وبأنْ لا أُشْرِكَ به.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ مرجعي.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٣٧).

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل هذا الإنزالِ المشتملِ على أصول الدياناتِ المجمعِ عليها ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي: حكمة مترجمة بلسانِ العربِ ليسهلَ لهم فهمه.

﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ باستقبالِ قبلتهم بعدما حُوِّلَتْ عنها.

﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنهم كفارٌ.

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصرٍ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ حاجزٍ، وهذا خطابٌ له ﷺ، وتحريضٌ للسامعينَ على التمسكِ بالدين. وتقدّم التنبيهُ على مذهبِ القراءِ في (مآبي) و(واقٍ)^(٢).

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/٤٩٥).

(٢) عند تفسير الآية (٧) من هذه السورة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٣٨)

[٣٨] ولما عيَّره اليهودُ، وقيل: المشركون بكثرة الزوجات، واقتربوا عليه الآيات، نزل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (١) ولم نجعلهم ملائكة.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ ولم يكن في وسعه.
﴿ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فإنه القادر على ذلك.
﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ ﴾ أمر قضاءه الله ﴿ كِتَابٌ ﴾ وقت معلوم يقع فيه.

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (٣٩)

[٣٩] ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من الشرائع بنسخها ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾ ما يشاء فيتركه غير منسوخ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (وَيُثَبِّتُ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أصله؛ يعني: اللوح المحفوظ، فلا يُبدَّل فيه ولا يُغيَّر.

﴿ وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (٤٠)

[٤٠] ﴿ وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ ﴾ في حياتك يا محمد.
﴿ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ من إنزال العذاب بهم.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٦).

﴿أَوْ نُوَفِّتَنَّكَ﴾ قبل ذلك، فلا تحزن.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ تبليغ الرسالة لا غير ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ والجزاء يوم القيامة، قال ابن عباس: «نُسِخَتْ بآية السيف وفرض الجهاد»^(١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤١).

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أهل مكة ﴿أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بفتح ديار الشرك، فما زاد في بلاد الإسلام، نقص من بلاد الشرك، أفلا يعتبرون؟

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ﴾ لا ناقض^(٢) ﴿لِحُكْمِهِ﴾ والمعنى: إنه حكم للإسلام بالإقبال، وعلى الكفر بالإدبار ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيحاسِبُهُمْ عَمَّا قَلِيلٍ فِي الْآخِرَةِ بعدما عَذَّبَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْإِجْلَاءِ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلُّ الْكَفُّرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٤٢).

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كادوا أنبياءهم، والمكر: إيصال

(١) تقدم تخريجه. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٠).

(٢) «لا ناقض» سقط من «ش».

المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر ﴿ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ أي: عند الله جزاءُ مكرهم، لا يغلبه أحدٌ على مراده.

﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ تنبيهٌ وتحذيرٌ في طيِّ إخبارٍ، ثم توعدُّهم بقوله:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ ﴾: قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (الكافر) على التوحيد؛ إرادةً للجنس، وقرأ الباقر: (الكفار) على الجمع^(١) ﴿ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴾ الآخرة، فدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هم أهل الكتاب:

﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ من الله، وإنما أنت مدَّعٍ.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ لما أظهر من الأدلة على رسالتي.

﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب يشهدون بنعتي في كتبهم، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢١).



مَكِّيَّةٌ، إِلَّا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾، وَآيَتُهَا: ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ، وَحُرُوفُهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَأَرْبَعُ مِئَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ حَرْفًا، وَكَلِمَتُهَا: ثَمَانُ مِئَةٍ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

[١] ﴿الرَّ﴾ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَمَذَاهِبُ الْقِرَاءِ فِيهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ يُونُسَ^(١) ﴿كِتَابٌ﴾ رَفَعَ عَلَى خَبَرِ ابْتِدَاءِ مَضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ: هَذَا كِتَابٌ.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ صِفَةٌ لَكِتَابٍ ﴿إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ.

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ بِالْدَّعَاءِ وَالْإِنْذَارِ، وَعَمَّ النَّاسَ؛ إِذْ هُوَ مَبْعُوثٌ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الْكُفْرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الْإِيمَانِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أَيِ: بِتَسْهِيلِهِ وَتَمَكِينِهِ لَهُمْ.

(١) الْآيَةُ (١) مِنْهَا.

﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ إِلَى دِينِ ﴿الْعَزِيزِ﴾ الْغَالِبِ .
﴿الْحَمِيدِ﴾ الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ .

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (الله) بالرفع على القطع
على الابتداء، وخبره (الذي)، ويصحُّ رفعه على تقدير: هو الله الذي،
وافقهم رويسٌ راوي يعقوبٌ في الابتداء خاصة، وإذا وصلَ خَفَضَ، وقرأ
الباقون: بالخفض في الحالين نعتاً للعزیز الحميد، وقال أبو عمرو:
والخفض على التقديم والتأخير، مجازُهُ: إلى صراطِ الله العزيز الحميد^(١) .

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ﴾ أَي: شِدَّةُ وَبَلَاءُ
﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يَلْقَوْنَهُ .

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وَعِيدٌ لِمَنْ كَفَرَ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يُؤَثِّرُونَ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧١)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٧-٢٢٨) .

﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ يأخذون ما تعجل منها طاهوناً بأمرٍ الآخرة .
 ﴿وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يمنعون الناسَ عن الإيمان ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾
 يطلبونها؛ أي: سبيلَ الله ﴿عِوَجًا﴾ زَيْغًا وَمَيْلًا عن الحق .
 ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ووصفُ الضلالِ بالبعدِ عبارةٌ عن تعمُّقهم فيه ،
 وصعوبةِ خروجهم .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .
 [٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ بلغتهم؛ ليفهموا عنه،
 وقد بُعث النبي ﷺ من العربِ بلسانهم، والناسُ تبعُ لهم، وبعثَ رسله
 منهم إلى الأطرافِ يترجمون لكلِّ قومٍ بلغتهم .
 ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أمروا به، فتلزمهم الحجةُ ﴿فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾
 بالخذلانِ ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بالتوفيقِ .
 ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يُغلبُ على مشيئته .
 ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يُضِلُّ ولا يهدي إلا بحكمةٍ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ .

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ وهي العصا، واليدُ، وسائرُ التسعِ .

﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ﴾ بالدعوة.

﴿مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ تقدّم تفسيرُهُما قريباً.

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ أي: وقائعه في الأمم الماضية من الكفار، وأنعمهم عليهم وعلى غيرهم من أهل طاعته، وعبر عن النعم والنقم بأيام؛ إذ هي في أيام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاء.

﴿شَكُورٍ﴾ للنعماء، وفيه تنبيه على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [٦].

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ يُذَيِّقُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدَّهُ وَأَسْوَأَهُ.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وقال هنا (يُذَبِّحُونَ)، وفي البقرة بغير واو؛ فحيثُ طرَحَ الواو، فسَرَّ العذاب بالتذبيح، وحيثُ أثبتَّها، جعلَ التذبيح جنساً مستقلاً بنفسه، فعطفه على العذاب يوضحُه.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يتركوهن أحياء.

﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ والبلاء في هذه الآية يحتملُ أن يريد به المحنة، ويحتملُ أن يريد به الاختبار، والمعنى متقارب.

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لِمَنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِمَنِ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أي : أعلم ﴿رُءُوسُكُمْ لِمَنِ شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل نِعَمِي ، وَوَحَّدْتُمُونِي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من فضلي وثوابي .

﴿وَلِمَنِ كَفَرْتُمْ﴾ إحساني إليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ فَلَعَلِّي أُعَذِّبُكُمْ على الكفر عذاباً شديداً ، ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ، ويُعرض بالوعيد .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين .
﴿فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ يستوجب المحامد كلها ، دائم في ذلك في ذاته وهذا القول يتضمن عظمته تعالى ، وتحقيرهم وتوبيخهم .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ من كلام

موسى عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ المعنى: لكثرتهم لا يحصى: عددهم إلا الله. لَمَّا قرأ ابن مسعود هذه الآية، قال: «كذب النَّسَّابُونَ من بعد»^(١)؛ يعني: أن النسابين يدعون علم الأنساب، وقد نفى تعالى علمها إلا عنه، وقال ابن عباس: «بين إبراهيم وبين عدنان ثلاثون قرناً، لا يعلمهم إلا الله»^(٢).

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحات. قرأ أبو عمرو: (رُسُلُهُمْ) (لِرُسُلِهِمْ) وشبهه بإسكان السين، والباقون: بضمها^(٣).

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ عَضُّوا أُنَامِلَهُمْ غِيظاً على الرسل.

﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمان ﴿مُريبٍ﴾ موجب الريبة.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ هذا استفهام بمعنى نفى

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/١٨٧). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٩/٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٥٤٧).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣٠-٢٣١).

ما اعتقدوه، والشك: ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما.

﴿فَاطِرٌ﴾ أي: خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان والتوبة ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ شيئاً ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ وهو ما بينكم وبينه تعالى؛ فإنَّ الإسلامَ يَجِبُهُ دُونَ المَظَالِمِ.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (وَيُؤَخِّرُكُمْ) وشبهه بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموت، فلا يعاجلكم بالعذاب والهلاك ﴿قَالُوا﴾ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴿لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا﴾

﴿تُرِيدُونَ﴾ بقولكم ﴿أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهرٍ على صدقكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾.

[١١] فَتَمَّ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ معترفةً بالبشرية.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣١).

﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة والتوحيد.

﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس في استطاعتنا أن نأتي بما اقترختموه، وإنما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالى، فيخص كل نبي بنوع من الآيات.

^١ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ واللام في قوله (فَلْيَتَوَكَّلِ) لام الأمر، وسكنت طلباً للتخفيف، ولكثرة استعمالها، وللفرق بينها وبين لام (كَي) التي ألزمت الحركة إجماعاً.

﴿وَمَالَنَا إِلَّا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿وَمَالَنَا إِلَّا تَوَكَّلَ﴾ المعنى: وأي عذر لنا في ترك التوكل. ﴿عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ بين لنا طرق النجاة. قرأ أبو عمرو: (سُبُلَنَا) بإسكان الباء، والباقون: بضمها^(١). ثم أقسموا أن يقع منهم الصبر على الأذى في ذات الله فقالوا:

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ في أبداننا وأعراضنا. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ليثبت الثابتون.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٦٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٩-٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣١-٢٣٢).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ لَتَصِيرَنَّ .

﴿ فِي مِلَّتِنَا ﴾ حَلَفُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْأَمْرِينَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الرَّجُوعَ ،
لأنهم لم يكونوا في مِلَّتِهِمْ قَطُّ ، وإنما هو بمعنى الصيرورة .

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي : إلى رسلهم : ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ ﴾ أي : أرضهم .

﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد هلاكهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي : الإسكان .

﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ أي : موقف الحساب .

﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ بالعذاب . قرأ ورش عن نافع (وَعِيدِي) بإثبات الياء وصلأً ، ويعقوبُ : بإثباتها في الحاليين ، وحذفها الباقيون فيهما^(١) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٧٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣٢) .

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ أي: سأل الأنبياء النصر ﴿وَخَابَ﴾ خسر.

﴿كُلِّ جَبَّارٍ﴾ الذي يجبرُ الخلق على مراده ﴿عَنِيدٍ﴾ معاندٍ للحق. قرأ حمزة: (خَافَ) و(خَابَ) بالإمالة^(١).

﴿مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿مَنْ وَرَّاهُ﴾ أي: أمامه ﴿جَهَنَّمَ﴾ يُلقى فيها.

﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيلُ من جلودِ أهلِ النارِ من القيح والدم.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلف جرعه.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ أي: يُجوّزه حلّقه.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: كأن أسباب الموتِ أحاطت به من جميع جهاته.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٣).

﴿ وَمِنْ وَرَآئِهِ ﴾ أي : بين يديه في كُلِّ وقتٍ يستقبله .

﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ وهو الخلودُ في النار .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [١٨]

[١٨] ﴿ مَثَلُ ﴾ أي : صفةُ .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ التقديرُ : مثلُ أعمالِ الذين كفروا .

﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ أي : قَوِيَتْ عليه ففَرَّقَتْهُ .

﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ريحُهُ، فَحُذِفَتِ الرِّيحُ، وَوُصِفَ الْيَوْمُ بِالْعَصْفِ مجازاً . قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ : (الرِّيَّاحُ) على الجمع، والباقون : بالإفراد^(١) . وهذا مثلٌ ضربهُ اللهُ لأعمالِ الكفارِ، يريدُ أنهم لا ينتفعون بأعمالِهِم التي عملوها في الدنيا؛ من الصدقةِ، وصلةِ الرحم، وإغاثةِ الملهوفِ، لأنهم أشركوا فيها غيرَ الله، فهي كالرمادِ الذي ذرتهُ الرِّيحُ، لا ينتفعُ به، فذلك قوله :

﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ في الآخرةِ ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ في الدنيا ﴿ عَلَى شَيْءٍ ﴾

أي : لا ينتفعون ثمَّ بما صنعوا هنا .

﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ الذي لا تُدْرِكُ غايتهُ فَيُرجى الخلوَصُ منه .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص : ٢٦٥)،

و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٣)، وهي بخلاف عن عاصم .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، والمرادُ به أُمَّتُهُ.

﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَالِقٌ) بـألفٍ وكسرٍ اللام ورفعِ القافِ على وزن فاعِلٍ، وجَرَّ ما بعده إضافةً، وقرأ الباقون: (خَلَقَ) بفتح اللام والقافِ بغيرِ أَلِفٍ على وزن فَعَلَ، ونصبٍ ما بعده، إلا أن التاء من السموات تكسر لأنها تاء جمع المؤنث^(١).

﴿بِالْحَقِّ﴾ لم يخلقهن عبثاً سبحانه ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يُعْدمُكُمْ. ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يخلقهُ مكانكم أطوعَ له منكم.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ممتنع، بل هو سهلٌ يسيرٌ.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّانا اللَّهُ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥٤)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨-٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٤).

لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ وَبَرَزُوا ﴾ أي : وبرز الكفار من قبورهم .

﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ أي : لحسابه .

﴿ فَقَالَ ﴾ أي : فيقول ﴿ الضُّعَفَاءُ ﴾ هم الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الإيمان ، وهم المتبوعون : ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ جمعُ تابع ، وهو المسترُّ بآثارِ مَنْ يتبعه .

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ ﴾ دافعون .

﴿ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي : هل أنتم مُّغْنُونَ عنا بعضَ شيءٍ هو بعضُ عذابِ الله ، فثمَّ .

﴿ قَالُوا ﴾ يعني : القادة المتبوعين .

﴿ لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ ﴾ إلى الإيمان ﴿ لَهَدَيْتُكُمْ ﴾ إليه .

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ﴾ الألفُ للتسوية ، وليستُ بآلفٍ استفهام ، بل هي كقوله : (أَأَنْذَرْتُهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) ، المعنى : مستوٍ علينا الجزعُ والصبرُ ﴿ مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ مخلص .

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فُرِغَ مِنَ الْحِسَابِ، ودخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، قامَ خطيباً في الأشقياء فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ الذي لا ريبَ فيه، وهو البعثُ والحسابُ، والجنةُ والنارُ، فوفى لكم به.

﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ وعدَ الباطلِ، وهو أن لا بعثَ ولا حسابَ، ولا جنةَ ولا نارَ.

﴿فَأَخْلَقْتُكُمْ﴾ كَذَبْتُمْ.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلَّطَ الْجِنَّةُ به إلى الكفرِ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (لِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ إِلَّا دَعَائِي إِيَّاكُمْ، وهو استثناءٌ منقطعٌ، تقديره: لكنْ دَعَوْتُكُمْ.

﴿فَاسْتَجَبْتُ لِي﴾ أَسْرَعْتُمْ إِيَّابَتِي.

﴿فَلَا تُلْهُمُونِي﴾ بوسوستي.

﴿وَلَوْ مَوْأَنُفُسَكُمْ﴾ حيثُ أطمعتموني، ولم تُطيعوا رَبَّكُمْ.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ قراءة العامة: (بِمُصْرِخِيَّ) بفتح الياء، وقرأ حمزة: بكسرِها، قال ابنُ الجزري: وهو لغةُ بني يربوع، نصَّ على ذلك

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٤/٣).

قُطِرْبٌ، وأجازها هو والفرَّاءُ، وإمامُ اللغة والنحو والقراءة أبو عمرو بنُ العلاء، وقال القاسمُ بنُ مَعْنٍ النُّحَوِيُّ: هي صوابٌ، ولا عبرة بقول الزمخشري وغيره مِمَّنْ ضَعَّفَهَا أَوْ لَحَّنَهَا؛ فإنها قراءةٌ صحيحةٌ اجتمعت فيها الأركانُ الثلاثةُ، وقرأ بها أيضاً يحيى بنُ وثَّابٍ، وسليمانُ بنُ مهران الأعمشُ، وحمراؤُ بنُ أعين، وجماعةٌ من التابعين، وقياسُها في النحو صحيحٌ، وذلك أن الياءَ الأولى، وهي ياءُ الجمع، جَرَتْ مَجْرَى الصحيح لأجلِ الإدغام، فدخلتُ ساكنةً عليها ياءُ الإضافة، وحُرِّكت بالكسرِ على الأصلِ في اجتماعِ الساكنين، وهذه اللغةُ شائعةٌ ذائعةٌ باقيةٌ في أفواه الناسِ إلى اليوم، يقولون: ما فِيَّ أفعلُ كذا، ويطلقونها في كلِّ ياءاتِ الإضافة المدغمِ فيها، فيقولون: ما عَلَيَّ منك، ولا إِلَيَّ أمرُك، وبعضهم يبالغُ في كسرتها حتى تصيرَ ياءً، انتهى^(١). وقال الشيطانُ:

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: بإشراككم إياي في الدنيا مع الله في الطاعة؛ أي: تبراؤُ منه واستنكرته. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (أَشْرَكْتُمُونِي) بإثباتِ الياءِ وصلّاً، ويعقوبُ: بإثباتها في الحالين، وحذفها الباقيون فيهما.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تنمةٌ كلامِ الخبيثِ.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ﴿٢٣﴾.

[٢٣] ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي:

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٨-٢٩٩).

من تحت ما علا منها؛ كالمباني والأشجار ﴿الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها.

﴿يَاذِنِ رَبِّيهِمْ﴾ المعنى: أدخلتهم الملائكة الجنة بأمر الله تعالى.
﴿يَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي: يسلم بعضهم على بعض، ويسلم الملائكة عليهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم.

﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي كلمة التوحيد.

﴿كَشَجَرَةٍ﴾ أي: كثرة شجرة ﴿طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ متمكن في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أغصانها مرتفعة.

﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: نحو السماء، كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، فإذا تكلم بها، صعدت نحو السماء كصعود هذه الشجرة.

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَاذِنِ رَبِّيَّهَا وَيَضْرِبِ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾ تُعطي جناها. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو:

(أَكْلَهَا) بِإِسْكَانِ الْكَافِ، وَالْباقُونَ: بضمها^(١).

﴿كُلِّ حِينٍ﴾ أَقْتَهُ اللَّهُ لِإِثْمَارِهَا، وَالْحِينُ فِي اللُّغَةِ: الْوَقْتُ، وَاخْتَلَفُوا فِي
مَعْنَاهُ هُنَا، فَقِيلَ: هُوَ سَنَةٌ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ تَحْمِلُ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَقِيلَ: سِتَّةُ
أَشْهُرٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَدَّةُ إِطْلَاعِهَا إِلَى وَقْتِ صِرَامِهَا.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بِإِرَادَةِ خَالِقِهَا، كَذَلِكَ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ يَصْعَدُ كُلَّ وَقْتٍ،
وَشُبَّةُ الْإِيمَانِ بِالشَّجَرَةِ؛ لِأَنَّ الشَّجَرَةَ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ أَصْلٍ ثَابِتٍ، وَفِرْعَ قَائِمٍ،
وَرَأْسٍ عَالٍ، كَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ تَصْدِيقٍ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٍ بِاللِّسَانِ،
وَعَمَلٍ بِالْأَبْدَانِ.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ؛ لِأَنَّ
فِيهَا زِيَادَةَ إِفْهَامٍ لِدَوِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ﴾ ٢٦.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هِيَ كَلِمَةُ الشُّرْكِ.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هِيَ الْحَنْظَلُ. قَرَأَ الْكَسَائِيُّ: (خَبِيثَةٍ) بِإِمَالَةٍ التَّاءِ
حَيْثُ وَقَفَ عَلَى هَاءِ التَّأْنِيثِ.

﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ اسْتُؤْصِلَتْ قَلْعًا. قَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٣٦٢/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢١٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٥/٣).

كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (خَبِيثَةٌ اجْتَسَتْ) بضم التنوين في الوصل، واختلف عن ابن ذكوان^(١).

﴿ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ استقرار.

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ هو قول: لا إله إلا الله ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قبل الموت ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ يعني: في القبر، ورد في الحديث: «إِنَّ الرُّوحَ تَعُودُ إِلَى الْمَيِّتِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الإسلام، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَنْتَهَرَانِهِ الثَّانِيَةَ وَيَقُولَانِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ، فَيَقُولُ: اللَّهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَالإِسْلَامُ دِينِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي»، وذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ الآية^(٢)، وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(٣).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٩)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ومسلم

(٢٨٧١)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من

الجنة أو النار عليه، عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - نحوه.

(٣) رواه أبو داود (٣٢٢١)، كتاب: الجنائز، باب: الاستغفار عند القبر للميت في =

﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ المشركين ، فلا يُبَسِّطُهُمْ .

﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من توفيقٍ وخذلانٍ وغيرهما ، لا اعتراض عليه .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ
الْبَوَارِ ﴾ .

[٢٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ أي : شكرَ نعمته عليهم في
محمد ﷺ .

﴿ كُفْرًا ﴾ كفروا به . واختلافُ القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ أَلَمْ) كاختلافهم فيهما من (السُّفْهَاءُ أَلَا) في سورة البقرة [الآية : ١٣] ، و(نِعْمَت) رُسِمَتْ بالتاء في أحدَ عشرَ موضعاً ، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرو ، والكسائيُّ ، ويعقوبُ^(١) .

﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ﴾ الذين شايعَوه في الكفر .

﴿ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ الهلاك . قرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وورشٌ عن نافع ، والدوريُّ عن الكسائيِّ ، وابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ : (البَوَارِ) بالإمالة ، واختلفَ فيه عن حمزة ، وابنِ ذكوان ، فروي عن الأولِ الإمالة بينَ بين ، وعن الثاني الإمالة والفتح ، وقرأ الباقون : بالفتح^(٢) .

= وقت الانصراف ، والحاكم في «المستدرک» (١٣٧٢) ، وغيرهما عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

(١) انظر : الآية (٢٣٢) من سورة البقرة .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٥٨/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ٢٧٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٦/٣) .

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ثُمَّ بَيْنَ دَارِ الْبَوَارِ فَقَالَ: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يَدْخُلُونَهَا، فَيُقَاسُونَ حَرَّهَا.

﴿ وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴾ الْمُسْتَقَرُّ.

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۖ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أَمْثَالًا، وَلَيْسَ لِلَّهِ نِدٌّ.

﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: (لِيُضِلُّوا) بَفَتْحِ الْيَاءِ عَلَى الزُّوْمِ، وَاخْتَلَفَ عَنْ رُوَيْسٍ رَاوِي يَعْقُوبَ، وَلَيْسَ الضَّلَالُ وَلَا الْإِضْلَالُ غَرَضُهُمْ فِي اتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ نَتِيجَتُهُ، كَانَ كَالْغَرَضِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالضَّمِّ؛ أَي: لِيُضِلُّوا هُمُ النَّاسُ (١).

﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ ﴾ الَّذِي هُوَ التَّوْحِيدُ.

﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ فِي الدُّنْيَا بِشَهَوَاتِكُمْ ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت: ٤٠].

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وروحٌ عن يعقوبَ: (لِعِبَادِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي: الصلوات الخمس.

﴿ وَيُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا ﴾ صدقة التنقل.

﴿ وَعَلَانِيَةً ﴾ الزكاة المفروضة، ونصبُهما على المصدرِ؛ أي: إنفاق سرٍّ وعلانية، وقوله: (يُقِيمُوا) قالتُ فرقةٌ من النحويين: جزمُه بإضمارِ لام الأمر، وقال فرقةٌ: وهو فعلٌ مضارعٌ يبنى لما كان في معنى فعلٍ الأمر، لأنَّ المراد: أقيموا.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ مُخَالَةٌ؛ أي: مصادقةٌ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوبُ: (لَا بَيْعَ)، (وَلَا خِلَالَ) بالفتح وعدم التنوين، والباقون: بالرفع والتنوين^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿٣٢﴾ .

[٣٢] ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، خبره ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ تعيشون به، وهو يشمل المطعوم والملبوس.

﴿وَسَخَّرَ﴾ ذَلَّلَ ﴿لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ السفن .
﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ حيثُ توجهتم .
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ لانتفاعكم .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ أي: مُتَّصِلَي السَّيْرِ
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان بالزيادة والنقصان، والإضاءة والإظلام، والحركة والسكون فيهما.

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ﴾ أي: بعض جميع ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ فَإِنَّ الموجودَ من كلِّ صنفٍ بعضٌ ما في قدرة الله .

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ أي: تستوفوا عدّها. وتقدّم التنبيه على مذاهب القراء في (نِعْمَتَ) ورسومها.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ بالمعصية ﴿كَفَّارٌ﴾ لِنِعْمِ رَبِّهِ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي: واذكر إذ قال ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر (إِبْرَاهِيمَ) بالالف^(١)، ومعنى إبراهيم بالسريانية: الأب الرحيم.

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة ﴿آمِنًا﴾ يؤمن فيه، والفرق بينه وبين قوله: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] أن المسؤول في الأول إزالة الخوف عنه، وتصويره آمناً، وفي الثانية جعله من البلاد الآمنة.

﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بَعْدَنِي.

﴿وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ جمع صنم، وهو ما كان مَصَوِّراً، والوثن ما كان غير مصوّر.

﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٦).

(١) كما تقدم عنه. وانظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٨).

[٣٦] ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ ﴾ أي : الأصنام ﴿ أَضَلَّلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ أي : ضلُّوا بسببهنَّ .

﴿ فَمَنْ تَعَنَى ﴾ على الإسلام ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ من أهل ديني .
﴿ وَمَنْ عَصَانِي ﴾ ولم يؤمن بي ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ بتوبتك على الكفرة حتى يؤمنوا . قرأ الكسائي (عصاني) بالإمالة^(١) .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ رَبَّنَا إِنِّي ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، (إني) بفتح الياء، والباقون : بإسكانها^(٢) .

﴿ أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ أي : بعض ذريتي ، وهم إسماعيل ومن ولد منه ، وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما سار إلى مصر ، ومعه زوجته سارة ، وهبها فرعون مصر هاجر ، فلما قدم إلى الشام ، وأقام بين الرملة وإيليا ، وكانت سارة لا تحمل ، فوهبت هاجر لإبراهيم عليه السلام ، فوقع عليها ، فولدت

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣٩) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٣٩) .

له إسماعيل عليه السلام، ومعناه بالعبرانيّ مُطيعُ الله، وكانت ولادته لمضيِّ ستٍّ، وثمانين سنةً من عُمرِ إبراهيم، فحزنتُ سارةً لذلك، ووهبها الله إسحاقَ، وولدتُهُ ولها تسعون سنةً، ثم غارتُ سارةً من هاجرَ وابنها، وطلبتُ من إبراهيم أن يُخْرِجَهما عنها، فسارَ بهما إلى الحجاز، وتركهما بمكة بإذنِ الله تعالى، وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ، ولا بها ماءٌ، ووضعَ عندهما جراباً فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قفى إبراهيمُ منطلقاً، فتبعته أمُّ إسماعيلَ فقالت: يا إبراهيم! أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيسٌ ولا شيء؟ وقالت له ذلك مراراً، وهو لا يلتفتُ إليها، فقالت له: الله أمرَكَ بهذا؟ قال: نعم، فقالت: إذاً لا يُضَيِّعُنا الله، ثم رجعتُ، فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عندَ الثنية حيث لا يرونها، استقبلَ القبلةَ بوجهه، ثم دعا بهؤلاءِ الدَّعواتِ، ورفعَ يديه فقال:

﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكة؛ لأنها حجريةٌ لا تُنبِتُ ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ سماه محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرمُ عند غيره.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ واللامُ لامُ (كي)، وهي متعلقة بـ(أسكنت).

﴿فَجَعَلَ أَفئدةً﴾ أي: قلوباً ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ (أَفئِدَةً) بياءٍ بعدَ الهمزة^(١)، و(مِنْ) للتبعيض؛ أي: أفئدةٌ من أفئدةِ الناسِ، قال مجاهدٌ: لو قال: (أَفئِدَةَ النَّاسِ)، لَزاحَمَتُهُم فارسُ والرومُ والتركُ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩-٣٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

والهند، وقال سعيد بن جبیر: لحجَّ اليهود والنصارى والمجوس، ولكنه قال: (أفئدة من الناس)، فهم المسلمون^(١).

﴿تَهَوَّى﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وتقصدُهم بسرعة.

﴿وَأَرْزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ما رزقت سكان القرى ذوات الماء.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ تلك النعمة، فأجاب الله دعوته، وجعله حرماً آمناً يُجبي إليه ثمرات كل شيء.

وروي أن الطائف كانت من مدائن الشام بأردن، فلما دعا إبراهيم بهذا الدعاء، أمر الله جبريل عليه السلام حتى قلَّعها من أصلها، فأدارها حول البيت سبعة، ووضعها قريب مكة، وبهذه القصة سُميت الطائف، وهو موضع ثقيف، ومنها أكثر ثمرات مكة.

وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء، وعطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلو، فانطلقت كراهة أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر إليه هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا»، فلما أشرفت على المروة، سمعت صوتاً فقالت: مه؛ تريد نفسها، ثم تسمعت،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٧).

فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعُ إن كانَ عندَكَ غوثٌ، فإذا هي بالملكِ عندَ موضعِ زمزم، فبحثَ بعقبه، أو قالَ بجناحه حتى ظهرَ الماءُ، فجعلتُ تحوُّضُهُ وتقولُ بيدها هكذا، وجعلتُ تغرفُ من الماءِ في سقائها، وهي تقولُ بعدما تغرفُ: زَمْ زَمْ، قالَ ابنُ عباسٍ: قالَ النبيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أو قالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا».

قالَ: فشربتُ وأرضعتُ ولدَها، فقالَ لها الملكُ: لا تخافي الضَّيعةَ؛ فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتَ اللهِ عز وجل يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ عز وجل لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مَرْتَفَعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السَّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمِ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كُدَيْيٍّ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَيْنِ، فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ، فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزَلَ عِنْدَكَ؟ قالتَ: نعم، ولكن لا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قالوا: نعم، ورُوي أَنَّهُمْ قالوا: أَشْرِكِنَا فِي مَائِكَ نُشْرِكَكَ فِي أَلْبَانِنَا، ففعلتُ، فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أُبَيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، أَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ هَاجِرٌ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَّةَ^(١)، وَتَقَدَّمَ ذَكَرُ قِصَّتِهِ مُسْتَوْفَى، وَبَنَاءُ الْكَعْبَةِ

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: «يزقون»، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

الشريفة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [الآية: ١٢٥] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [٣٨] .

١ [٣٨] ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي ﴾ من فراق إسماعيل وأُمّه .
﴿ وَمَا نُعْلِنُ ﴾ نُظْهِرُ من التجلُّدِ لِسَارَةٍ .

﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ لأنه العالمُ بعلمِ ذاتيِّ تستوي نسبته إلى كلِّ معلوم ، و(مِنْ) للاستغراق .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [٣٩] .

[٣٩] ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي ﴾ أَعْطَانِي .

﴿ عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ وتقدَّم أن إسماعيلَ وُلِدَ لمضيِّ ستِّ وثمانين سنةً من عمرِ أبيه ، وأما إسحاقُ وُلِدَ لمضيِّ تسعين سنةً من عمرِ أبيه ، وقيلَ غيرُ ذلك ، وتقدَّم ذكرُ إسماعيلَ وإسحاقَ ، ومقدارُ عمرِهما في سورة البقرة ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ لمجيئه .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [٤٠] .

[٤٠] ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ مُتَمَمَّهَا .

﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ وبعضِ ؛ لأنه علمُ أنَّ من ذُرِّيَّته من لا يؤمنُ .

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴾ أثبت أبو عمرو، أبو جعفر، وورش، حمزة
الياء في (دُعَائِي) وصلاً، وفي الحالين يعقوب والبيهقي، واختلف عن قبل
وصلاً ووقفاً، وحذفها الباكون في الحالين^(١).

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ قيل: استغفر لهما وهما حيَّانِ رجاء
إسلامهما، وقيل: إن أمه أسلمت، فأراد إسلام أبيه.
﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ أي: يثبت ﴿ الْحِسَابُ ﴾ .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ثم وعد المظلوم وأعد الظالم فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً
عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بالنهي غيره ممن يليق
به أن يحسب مثل هذا، والغفلة معنى تمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة
الأمور، واستدل بعضهم على قيام الساعة بموت المظلوم مظلوماً، ورؤي
أنه وجد على جدار صخرة بيت المقدس:

نَامَتْ عُيُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَّبِعٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر»
للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٠).

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ بالياء . قراءة العامة : (يُؤَخِّرُهُمْ) بالياء ؛ أي : الله تعالى ، وأبو جعفر ، وورش ينصبان الواوَ بغير همز ، وقرأ رويس عن يعقوب : (نُؤَخِّرُهُمْ) بنونِ العِظَمَةِ^(١) .

﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ ﴾ أي : لا تغمضُ .
﴿ فِيهِ الْآبَصَرُ ﴾ من هولِ ما تراه من ذلك اليوم .

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾^(٤٣) .
[٤٣] ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين في خوفٍ ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ أي : رافعيها .
﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي : لا تغمضُ عينُهُم فهي شاخصةُ .
﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ أي : صِفْرٌ من الخير ، لا تعي شيئاً ؛ لخوفها ، ويقال لكل أجوفٍ خالٍ : هواءٌ ، فكأنه سُمِّيَ بذلك لحلولِ الهواءِ فيه .

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾^(٤٤) .

[٤٤] ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ يا محمد ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ وهو يومُ القيامة .
﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أشركوا .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ٤ / ٣٧٠) ، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٢ / ٣٩) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢ / ٣٠ ، ٤٠٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ٢٤٢) .

﴿ رَبَّنَا أَخِرْنَا ﴾ أمهلنا ﴿ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أي : رُدُّنا إلى الدنيا .
﴿ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ ﴾ إلى التوحيد .

﴿ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ فيما جاؤونا به ، فيجابون توبيخاً على إنكارهم
البعث :

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ ﴾ حلفتُمْ ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ في الدنيا .
﴿ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ عنها؟!

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ
كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ [٤٥] .

[٤٥] ﴿ وَسَكَنْتُمْ ﴾ قُرِّرْتُمْ ﴿ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ كقوم
نوح وعاد ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ عَرَفْتُمْ عقوبتنا إياهم
﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ من أحوالهم ؛ أي : بَيَّنَّا لكم أنكم مثلهم في الكفر
واستحقاق العذاب .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ
لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [٤٦] .

[٤٦] ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ وهو تكذيبُ الرسل .
﴿ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي : محفوظٌ عندهُ يجازيهم عليه .
﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾ أي : قريشٍ ومتقدمي الكفار .
﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ قراءة العامة : (لِتَزُولَ) بكسر اللام الأولى وفتح

الثانية، معناه: لم يكن مكرهم بمزيل الجبال، وقرأ الكسائي بفتح اللام الأولى وضمّ الثانية^(١)؛ أي: إنّ مكرهم وإنّ عظم حتى بلغ بمحلّ يزيل الجبال لم يقدرُوا على إزالة أمر محمد ﷺ.

وروي أن الآية نزلت في نمرود الجبار الذي حاج إبراهيم في ربه، قال النمرود: إنّ كان ما يقول إبراهيم حقاً، فلا أنتهي حتى أعلم ما في السموات، فبنى صرحاً عظيماً ببابل، ورام الصعود إلى السماء ينظر إلى إله إبراهيم، واختلف في طول الصرح في السماء، فقيل: خمسة آلاف ذراع، وهو قول ابن عباس، وهب، وقيل: فرسخان، وهو قول كعب، ومقاتل، ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النور، وأطعمها اللحم والخبز حتى كبرت، ثم قعد في تابوتٍ ومعه غلامٌ له، وقد حمل القوس والنشاب، وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه، وباباً من أسفله، ثم ربط التابوت بأرجل النور، وعلّق اللحم على عصا فوق التابوت، ثم خلّى عن النور فطرُن طمعاً في اللحم حتى أبعدن في الهواء، وحالت الريح بينها وبين الطيران، وقال لغلامه: افتح الباب الأعلى فانظر ففتح، فإذا السماء كهيئتها، وفتح الباب الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة، ونودي: أيها الطاغي! أين تريد؟! فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم، فعاد إليه السهم متلطّخاً بالدم، فقال: كُفيتُ شغل إله السماء، واختلف في ذلك السهم بأي شيء تلطّخ؟ فقيل: من سمكة في السماء، من بحرٍ معلق في الهواء، وقيل: أصاب طيراً من الطيور فتلطّخ بدمه، ثم أمر نمرود غلامه أن يضرب العصا، وينكس اللحم، ففعل

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٥٦٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٣/٣).

ذلك، فهبط النور بالتابوت، فسمعت الجبال حفيف التابوت والنور، ففرغت، وظنت أن حدث في السماء أمر، أو أن الساعة قد قامت، فكادت نزول عن أماكنها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾ ثم أرسل الله ريحاً على صرح نمرود، فألقت رأسه في البحر، وانكفأت بيوتهم، وأخذت النمرود الرجفة، وتبلبلت ألسنة الناس حين سقط الصرح من الفرع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت: بابل؛ لتبلبل الألسن بها، وكان لسان الناس يومئذ بالسريرية^(١).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ في الكلام تقديم وتأخير تقديره: فلا تحسبن الله مخلف رسوله وعده من النصر لأوليائه، وهلاك أعدائه، وهذا تثبيت للنبي ﷺ ولغيره من أمته، المعنى: لا تحسب يا محمد أنت ومن اعتبر بالأمر من أمتك أن الله لا ينجز ميعاده في نصره رسوله ومعاقبة من كفر بهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يُدَافِعُ﴾

﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ من الكفرة، لا سبيل إلى عفوهم.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤٤/١٣)، و«تفسير البغوي» (٥٦٩/٢).

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾.

[٤٨] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ أي: تبدل أوصافها بتغير آكامها وأجامها وأشجارها ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ أيضاً تبدل بزوال شمسها وقمرها، وكونها مرة كالدهان، ومرة كالمهل.

﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من قبورهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أي: لحسابه. قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع، والدوري عن الكسائي: (القَهَّار) بالإمالة حيث وقع، واختلف عن حمزة وابن ذكوان^(١).

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٤٩﴾.

[٤٩] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: مقرونين مع شياطينهم. ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود، واحده صَفْدٌ.

﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾.

[٥٠] ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ قُمَصُهُمْ.

﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ وهو عصارة شجر تسمى الأبهل يُستخرجُ بالنار، وهو كريه اللون والطعم والرائحة، سريعُ الالتهاب، تَطْلَى به الإبلُ الجَرَبِي، فيحرقُ الجربَ والجلد، تَطْلَى به جلودُ الكفار فيصيرُ قُمَصاً لهم، فيضطرُّ عليهم

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي

(ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤).

ناراً. قراءة العامة: بفتح القاف وكسر الطاء على كلمة واحدة، وقرأ يعقوبُ برواية زيدٍ: (قَطْرٍ) بكسر القاف وسكون الطاء وتنوينِ الراء (آن) بهمزةٍ مقطوعةٍ ممدودة على كلمتين؛ أي: من نحاسٍ مُذابٍ انتهى حرُّهُ^(١)، وأبو عمرو يُدغم الدالَ من (الأَصْفَادِ) في السينِ من (سَرَابِيلُهُمْ)^(٢).

﴿وَنَعَشَىٰ وُجُوهُهُمْ﴾ أي: تَغَطَّيْهَا.

﴿النَّارُ﴾ لأنهم لم يتوجَّهوا بها إلى الحقِّ.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥١﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ وشرٍّ، تلخيصه: برزوا

للجزاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: فاصله بين خلقه بالإحاطة التي له بدقيقِ أمورهم وجليلها.

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو

الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٢﴾.

[٥٢] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ كفايةٌ لهم ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٥٧٢/٢)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«المحتسب» لابن جني (٣٦٦/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٤/٣-٢٤٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٤/٣).

لِيُخَوِّفُوا بِهِ ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ بِالْحَجَجِ الَّتِي أَقَامَهَا اللَّهُ تَعَالَى .
﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿وَلِيَذْكُرَ﴾ لِيَتَّعِظَ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذَوُو
العقول .

روي أن قوله : ﴿وَلِيَذْكُرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق
رضي الله عنه ^(١) ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر : «تفسير القرطبي» (٩/٣٨٦) .



مكية، وأيتها تسع وتسعون آية، وحروفها ألفان وسبع مئة وأحد وسبعون حرفاً، وكلّمها ست مئة وأربع وخمسون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّتْلَكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانِ مُبِينٍ﴾ (١).

[١] ﴿الرَّتْلَكْ﴾ تقدّم الكلام عليه، ومذاهبُ القراء فيه أول سورة يونس^(١) ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانِ﴾ أي: وآيات قرآن.

﴿مُبِينٍ﴾ يُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، عَطْفُ الْقُرْءَانِ عَلَى الْكِتَابِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ هُوَ؛ لاختلاف لفظيهما، وتنكيره للتفخيم؛ أي: آيات الجامع؛ لكونه كتاباً كاملاً، وقرآنًا يبينُ الرشدَ من الغيِّ بياناً عربياً.

﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢).

[٢] ﴿رُبَّمَا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: بتخفيف الباء، والباقون: بتشديدها، وهما لغتان، و(رُبَّ) للتقليل، و(كَمْ) للتكثير،

(١) الآية (١) منها.

و(رُبَّ) تدخلُ على الاسم، و(رُبَّمَا) على الفعل، يقال: رُبَّ رجلٍ جاءني، ورُبَّمَا جاءني رجلٌ، وأدخل (ما) هاهنا؛ للفعل بعدها^(١).

﴿يَوْذُ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يومَ القيامةِ عندَ دخولهم النارَ، ومعرفتهم بدخولِ المسلمين الجنةَ.

﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ في الدنيا، فينجون النجاء الذي مانعه أن لم يكونوا مسلمين، فإن قيل: (ربما) للتقليل، وهذا التمني يكثر من الكفار، فالجواب: أنهم إذا شاهدوا أهوالَ يومِ القيامةِ، تذهبُ عقولُهم، فإذا ثابَتْ إليهم عقولُهم، وذلك قليلٌ، سألوا الإسلامَ، ويجوزُ أنهم لما تمنَّوا الإسلامَ، فلم ينفعهم تمنُّيهم شيئاً، كان قليلاً؛ لأنه لم تحصل به فائدةٌ.

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

[٣] ثم تهددهم بقوله: ﴿ذَرَهُمْ﴾ يا محمد.

﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بنيلِ شهواتِ الدنيا.

﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ أي: يشغلهم أملهم لطولِ أعمارهم عن النظر، والإيمان بالله ورسوله. قرأ رويس عن يعقوب: (وَيُلْهِمُ) بضم الهاء الثانية والميم^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٥٧٣/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٩/٣).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٠/٣).

﴿ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾ وَبَالَ صَنِيعِهِمْ إِذَا عَاينُوا جَزَاءَهُ، وَالْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ .

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [٤] .

[٤] ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أي : وما أَهْلَكْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ إِلَّا لَوْ قَتِ أَجْلُهَا الْمَحْدُودُ، وَالْوَاوُ فِي (وَلَهَا) لِتَأْكِيدِ لُصُوقِ الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ، فَيَقَالُ : جَاءَنِي زَيْدٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، وَجَاءَنِي زَيْدٌ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾ [٥] .

[٥] ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا ﴾ الْمَعْلُومُ، (مِنْ) صَلََّةٌ .
﴿ وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾ عَنْهُ .

﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٦] .

[٦] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يَعْنِي : مُشْرِكِي مَكَّةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

﴿ يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ أَي : الْقُرْآنُ .

﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ أَي : إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلَ الْمَجَانِينِ حِينَ تَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ عَلَيْكَ الذِّكْرَ .

﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٧] .

[٧] ﴿ لَوْ مَا ﴾ هَلَا ﴿ تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ ﴾ يَشْهَدُونَ لَكَ .

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ في دَعَاكَ .

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] قال الله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي : بالقرآن . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص عن عاصم : (نُزِّلُ) بنونين ، الأولى مضمومة ، والثانية مفتوحة ، وكسر الزاي (الْمَلَائِكَةُ) بالنصب ، وروى أبو بكر عن عاصم : بالتاء مضمومة ، وفتح النون والزاي (الْمَلَائِكَةُ) بالرفع ، وقرأ الباقر كذلك ، غير أنهم يفتحون التاء ، والبزطي عن ابن كثير يشدد التاء وصلاً^(١) .

﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ و(إذا) جواب للمشركين ، وجزاء الشرط مقدّر ، تقديره : ولو نزلنا الملائكة ، ما أخرنا عنهم العذاب عند معاينة الملائكة .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردٌّ لإنكارهم ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ للقرآن ﴿لَحَافِظُونَ﴾ من الزيادة والنقصان والتبديل ، وقيل : الضمير في (له) راجع إلى محمد ﷺ ؛ أي : نحفظه من الأسوأ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٥) ، و«تفسير البغوي» (٢ / ٥٧٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ٣٥٠-٣٥١) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ رُسُلًا ﴿ فِي شَيْعِ ﴾ أي : أُمَم .

﴿ الْأَوَّلِينَ ﴾ والشيعة : هم القومُ المجتمعةُ المتفقةُ كلمتهم .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ كما فعلوا بك ، ذكره

تسلياً للنبي ﷺ .

﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : كما سلَكنا الكفرَ والاستهزاء بالرسول في قلوبِ

شيعِ الأولين ، كذلك ﴿ نَسْلُكُهُمْ ﴾ ندخله .

﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ من أهل مكة ، والسُّلْكُ : إدخالُ الشيء في

الشيء .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ يعني : حتى لا يؤمنوا بمحمد ﷺ وبالقرآن

﴿ وَقَدْ خَلَتْ ﴾ مضت .

﴿ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي : سنة الله فيهم بإهلاك مَنْ لم يؤمن منهم ، وهذا

وعيدٌ لأهل مكة .

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ أي : على هؤلاء المقترحين .

﴿ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ ﴾ أي : الملائكة في الباب .
﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ يصعدون وهم يرونهم عياناً .

﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا ﴾ قرأ ابن كثير : (سُكِّرَتْ) بتخفيف الكاف ؛ أي : حُبِسَتْ وَمُنِعَتْ النظر، وقرأ الباقون : بتشديدها ؛ أي : سُدَّتْ^(١) .

﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ بل سحرنا محمدٌ بذلك .

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ أي : قصوراً ، وهي منازلُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ السيارةِ ، وهي اثنا عشرَ برجاً : الحملُ ، والثورُ ، والجوزاءُ والسَّرَطَانُ ، والأسدُ ، والسنبلةُ ، والميزانُ ، والعقربُ ، والقوسُ ، والجديُّ ، والدَّلْوُ ، والحوثُ .

﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ أي : السماءَ بالنجوم .

﴿ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ المستدلين بها على قدرة خالقها .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٥) ، و«تفسير البغوي» (٢ / ٥٧٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣ / ٢٥٢) .

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ فلا يقدرُ أن يصعدَ إليها ويطلعَ على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: ولكن من استرق السمع؛ أي: اختلسه سراً.

﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ لِحَقِّهِ.

﴿شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ كوكبٌ مضيءٌ، وذلك أنَّ الشياطينَ يركبُ بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا، فيسترقون السمعَ من الملائكة، فيُرمونَ بالكواكبِ، فلا يخطيء أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرقُ وجهه أو يده أو حيثُ شاء الله، أو يُخَبِّلُهُ لئلاً يعودَ إلى استراقِ السمع، فيصيرُ غولاً في الأرض يغتالُ الناسَ.

عن ابنِ عباسٍ: أنهم كانوا لا يُخَجَّبُونَ عن السَّمَوَاتِ إلى أن وُلِدَ عيسى، فمُنِعُوا عن ثلاثِ سمواتٍ، فلما وُلِدَ محمدٌ ﷺ، مُنِعُوا عن السمواتِ كُلِّها^(١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٠).

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بَسَطْنَاهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، يُقَالُ: إِنَّهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ فِي مِثْلِهَا دُحِيتٌ مِنْ تَحْتِ الْكَعْبَةِ .

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾ جِبَالاً ثَوَابِتَ، وَقَدْ كَانَتِ الْأَرْضُ تَمِيدُ إِلَى أَنْ أَرَسَاهَا بِالْجِبَالِ .

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ أَي: فِي الْأَرْضِ .

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مُقَدَّرٌ بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ .

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لِمُزْرِقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ مَا تَعِيشُونَ بِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ .

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لِمُزْرِقِينَ﴾ أَي: وَجَعَلْنَا لَكُمْ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بَرَزَقِينَ مِنَ الْعِيَالِ وَالْخُدَمِ وَسَائِرِ مَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَرْزُقُونَهُمْ ظَنًّا كَاذِبًا، الْمَعْنَى: اللَّهُ الرَّزَاقُ، فَلَا تَعْتَقِدُوا أَنَّكُمْ تَرْزُقُونَ أَحَدًا .

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ثُمَّ أَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ﴾ أَي: وَمَا ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أَي: وَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى إِيجَادِهِ .

(١) «و» زيادة من «ت» .

﴿وَمَا نَزَّلْنَاهُ﴾ مع كثرته ، وتمكُّننا منه .

﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ بحدٍّ محسوبٍ على قدرِ المصلحةِ .

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢٢) .

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ﴾ قرأ حمزة، وخلف: (الرِّيح) على الأفراد، وعلى تأويل الجنس، والباقون: بالجمع^(١) ﴿لَوَاقِحَ﴾ حوامل تحمل الماء إلى السحاب، فهي جمع لاقحة، يقال: ناقة لاقحة: إذا حملت الولد. ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ فجعلناه لكم سقياً. ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: ليست خزائنه في أيديكم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (٢٣) .

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون، والوارث من صفات الله .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِبِينَ﴾ (٢٤) .

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: مَنْ تقدَّم من الأمم من لدُنْ أُهْبِطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٣/٣) .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ﴾ أي: بمن تأخّر في الزمنِ إلى يوم القيامة،
فنجازي كُلاًّ بعمله .

﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ جميعاً للجزاء .

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ متقنٌ أفعاله .

﴿عَلِيمٌ﴾ بكلِّ شيء .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ المراد: آدم عليه السلام، سُمِّيَ إنساناً،

لأنه عَهِدَ إليه فَنَسِيَ، ودخلَ مَنْ بعدهُ في ذلك؛ إذ هو من نسله .

﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طينٍ يابسٍ غير مطبوخ، فإذا طُبِخَ، فهو فَخَّارٌ .

﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ جمع حَمَأة، وهو الطينُ الأسودُ المتغيَّرُ ﴿مَّسْنُونٍ﴾ مصوَّر .

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿وَالْجَانَّ﴾ هو أبو الجنِّ، كآدم أبو البشر، وقيل: هو إبليسُ

﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل آدم ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ أي: نارِ الحرِّ الشديدِ

بالنهار؛ لأنه ينفذُ في المسامِّ .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَلَاصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ واذكر وقت قوله ﴿ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ ﴾ أي : سأخلق .

﴿ بَشَرًا مِّن صَلَاصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾ والبشر آدم ، وهو مأخوذ من البشرة ، وهو وجه الجلد في الأشهر من القول .

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ عدلت خلقه ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ فصار بشراً حياً ، والروح : جسم لطيف يحيا به الإنسان ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً إضافة خلق ومُلك ؛ إلى خالق ومالك ؛ أي : من الروح الذي هو لي .
﴿ فَقَعُوا ﴾ فاسقطوا ﴿ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ سجدوا تحية لا سجود عبادة .

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ أكد بتأكيدين ؛ للمبالغة في التعظيم ومنع التخصيص .

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ استثناء من الملائكة ؛ لأنه كان منهم ، وهو الظاهر من هذه الآية ومن كثير من الأحاديث ، وذلك أن الله تعالى أمر الملائكة

بالسُّجُودِ، ولو لم يكنْ إبليسُ منهم لم يذنبْ في تركِ السُّجُودِ، وتقدَّم في سورة البقرة أنه من الملائكة على الأصحَّ.
﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ لآدم.

﴿قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٢﴾.

^١ [٣٢] ﴿قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ كان اسمه: عزازيل، فحينئذ سماه: إبليس؛ من الإبلاس، وهو الإبعاد؛ أي: يا مُبعد.

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٣٣﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ أراد: أني أفضلُ منه؛ لأنه طيني، وأنا ناري، والنارُ تأكلُ الطينَ، وتقدم الكلامُ على ذلك في سورة الأعراف.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾.

[٣٤] ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ طريد.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهو ملعونٌ في السماوات والأرضِ إلى يومِ الجزاء.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ [٣٦].

[٣٦] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ من قبورهم وقت النفخة الآخرة، أراد ألا يموت.

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ [٣٧].

[٣٧] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾.

﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ عند الله، هو يوم موت الخلائق، وهو وقت النفخة الأولى، ومدة موت الخبيث أربعون سنة قدر ما بين النفختين.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ أضللتني، الباء للقسم؛ أي: أقسم بإغوائك إياي ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ حب الدنيا ومعاصيك. ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ أضلنهم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٤٠].

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ واستثنى الخبيث المخلصين؛ لعلمه أن كيد لا يضرهم. قرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر: (المُخْلِصِينَ) بفتح اللام حيث وقع؛ أي: من أخلصته بتوحيديك، فهديته

واصْطَفَيْتُهُ، وقرأ الباقون: بكسرها؛ يعني: المؤمنين الذين أخلصوا لك
الطاعة والتوحيد^(١).

﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ هَذَا ﴾ أي: الإخلاصُ.

﴿ صِرَاطٌ عَلَيَّ ﴾ بمعنى إِلَيَّ ﴿ مُسْتَقِيمٌ ﴾ والمعنى: هذا طريقٌ عَلَيَّ بَأَنْ
أُراعيه وهو ألاَّ يتبعَكَ المخلصون. قرأ يعقوبُ: (عَلَيَّ) بكسر اللام ورفعِ
الياء وتنوينها، من العلوِّ أي: رفيع، وقرأ الباقون: بفتح اللام والياء من غيرِ
تنوينٍ على المعنى الأول^(٢).

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على قلوبهم.

﴿ سُلْطَانٌ ﴾ قدرةٌ وتسُلُّطٌ.

﴿ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ ﴾ أي: لكن من اتبعَكَ.

﴿ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ لك عليهم سلطانٌ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٥٤).

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/٣)، و«تفسير البغوي» (٢/٥٨٧)، و«النشر
في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣/٢٥٤).

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾ لِمَصِيرِ الغاوين ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للضمير .

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ بعضها فوق بعض ؛ لأنها سبع طباق ، أعلاها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، وفيه أبو جهل ، ثم الهاوية ، وأشهر منازلها جهنم ، وهو موضع العصاة من المؤمنين الذين لا يخلدون .

﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ﴾ من إبليس وأتباعه ﴿ جُزْءٌ ﴾ نصيب .

﴿ مَّقْسُومٌ ﴾ للطبقة الأولى ، وهي العليا ، الموحدون من أهل الكبائر ، وللثانية النصارى ، وللثالثة اليهود ، وللرابعة الصابئون ، وللخامسة المجوس ، وللسادسة أهل الشرك ، وللسابعة المنافقون . قرأ أبو جعفر : (جُزْءٌ) بتشديد الزاي بغير همز ، وقرأ أبو بكر عن عاصم : بضم الزاي مع الهمز ، والباقون : بإسكان الزاي والهمز^(١) .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ﴾ بساتين .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٢) ، و«المحتسب» لابن جني (٤/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٦/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٥٤-٢٥٥) .

﴿وَعُيُونٍ﴾ أَنهَارٍ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وابنُ ذكوانٌ عن ابنِ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَعُيُونٍ) بكسرِ العين، والباقون: بضمِّها^(١).

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾^(٤٦).

^١ [٤٦] يقال لهم: ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي: الجنات. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (وَعُيُونٌ أَدْخُلُوهَا) بضمِّ التنوين وكسرِ الخاء على ما لم يُسمَّ فاعله، فهي همزة قطع نُقِلَتْ حركتها إلى التنوين، وقرأ الباكون: بضمِّ الخاء على أنه فعلٌ أمرٌ، والهمزة للوصل، وهم على أصولهم في التنوين، فأبو عمرو، وعاصمٌ، وحمزةٌ، ويعقوبٌ يقرؤون بكسرِ التنوين في الوصل، والباقون: بالضمِّ بخلافٍ عن ابنِ ذكوان^(٢).

﴿بِسَلَامٍ﴾ أي: سالمين من كلِّ آفة، وتسلمٌ عليكم الملائكة.

﴿ءَامِنِينَ﴾ من كلِّ مخوفٍ.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(٤٧).

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ﴾ حَقْدٌ بسببِ عداوةٍ كانتَ بينهم في

الدنيا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٥٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠١)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للديمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٥٥).

﴿إِخْوَانًا﴾ نصبٌ على الحال ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمعُ سريرٍ .
﴿مُنْقَبِلِينَ﴾ في الوجوه، إذ الأسرّة متقابلة، فهي أحسنُ في الرتبة .

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ .
[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ لا يُصِيبُهُمْ ﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾ وهو التعبُ .
﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإنّ تمامَ النعمةِ الخلودُ .

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ .
[٤٩] ﴿نَبِيُّ﴾ أَعْلِمَ يا محمدُ .
﴿عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تابَ . قرأ أبو جعفر: (نَبِيٍّ) بإسكانِ
الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز^(١)، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرو،
وابنُ كثيرٍ: (عِبَادِي) (أَنِّي) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها^(٢) .

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ﴿٥٠﴾ .
[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ لمن لم يتب .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللَّهَ

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٦/٣) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٦/٣) .

خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةً رَحْمَةً، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ^(١).

﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٥١).

[٥١] ثم عطف على (نبيء عبادي) ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ ﴾ أي: عن خبر ضيف ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ والضيف اسم يقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، والمراد بالضيف: الملائكة.

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾^(٥٢).

[٥٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ أي: نسلم سلاماً.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون؛ لأنهم لم يأكلوا من طعامه.

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾^(٥٣).

[٥٣] ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ قرأ حمزة (نُبَشِّرُكَ) بفتح النون وإسكان الباء وتخفيف الشين وضمها، من البشر، وهو البشري والبيشارة، وقرأ

(١) رواه البخاري (٦١٠٤)، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

الباقون: بضمّ النون وفتح الباء وتشديد الشين مكسورةً من بَشَّرَ المضعف على التكرير^(١).

﴿يُعَلِّمُ عَلِيمٍ﴾ في صغره، حكيم في كبره، وهو إسحاق عليه السلام.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ﴾ ﴿٥٤﴾.

[٥٤] فتعجب إبراهيم من أن يولد له مع كبره وكبر امرأته.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: على حال الكبر.

﴿فِيمَ﴾ فبأي شيء ﴿يُبَشِّرُونِ﴾ قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها، وتقرير هذه القراءة أنه حذفت النون التي للمتكلم، وكسرت النون التي هي علامة الرفع، ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، قال ابن عطية: وغلط أبو حاتم نافعاً في هذه القراءة، وقال: إن شاهد الشعر في هذا اضطراراً، وهذا حمل منه^(٢)، وقال الكواشي: ولا يُلْتَقَتُ إلى الطاعن في هذه القراءة؛ لصحة نقلها، بل لتواترها، فتكون أصلاً يُحْتَجُّ به، لا له، وقرأ ابن كثير: بكسر النون مشددةً أي: (تُبَشِّرُونِي)، أدغمت نون الجمع في نون الإضافة، ثم حذفت الياء للتعليل المتقدم، وقرأ الباكون: بفتح النون مخففةً علامة الرفع^(٣).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧-٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٥٧).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/٣٦٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٥٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٥٨).

﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِيطِ ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق الواجب وجوده .

﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِيطِ ﴾ الْإِسِين .

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوبُ: (يَقْنَطُ)

بكسر النون، والباقون: بفتحها، وهما لغتان، أي: يئأس^(١) .

﴿ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ المخطئون، المعنى: لا أنكر وجود الولد منّا قنوطاً، بل استبعاداً، والقنوط من رحمة الله كبيرة؛ كالأمن من مكره .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: فما شأنكم الذي أرسلتم

لأجله سوى البشارة .

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ وهم أهل مدينة سدوم الذين

بُعِثَ فيهم لوطٌ عليه السلام، والمجرم: الذي يرتكب المحظورات .

(١) المصادر السابقة .

﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥٩).

[٥٩] ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ﴾ الال: القوم الذين يؤول أمرهم إلى المضاف إليه، والاستثناء منقطع من قوم؛ لأن القوم موصوفون بالإجرام، وآل لوط لم يجرموا.

﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مما يعذب به القوم. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (لَمُنَجُّوهُمْ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد^(١).

﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الْغَيْرِ﴾^(٦٠).

[٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ استثناء من آل لوط، فيكون استثناء من استثناء، تقديره: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته ﴿قَدَرْنَا﴾ حَكَمْنَا.

﴿إِنِّهَا لَمِنَ الْغَيْرِ﴾ الباقي في الهلاك الذين لم يُسْتثنوا منه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (قَدَرْنَا) بتخفيف الدال، والباقون: بتشديد^(٢).

﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٦١).

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ اختلاف القراء في حكم الهمزتين

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

من قوله : ﴿ جَاءَ آلَ لُوطٍ ﴾ كاختلافهم فيهما مِنْ ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ في سورة النساء .

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ (٦٢) .

[٦٢] ﴿ قَالَ ﴾ لوطُ لهم ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ لا أعرفكم .

﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٦٣) .

[٦٣] ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي : يشكُّون أنه نازلٌ بهم ، وهو العذاب ، وكان لوطٌ يعدُّ قومه نزولَ العذابِ فلا يُصدِّقونه .

﴿ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٦٤) .

[٦٤] فقالت الملائكة : ﴿ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ ﴾ باليقين من عذابهم .

﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ في قولنا .

﴿ فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ (٦٥) .

[٦٥] ﴿ فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ ﴾ فاذهب بهم . قرأ نافعٌ ، وابنُ كثيرٍ ، وأبو جعفرٍ : (فأسر) بوصلِ الألفِ من سَرَى ، وقرأ الباقون : بقطْعِها ، من أسْرَى ، ومعناها واحداً ، وهو سيرُ الليل^(١) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ يَقْطَعُ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ بطائفةٍ منه ، قيل : إنه السَّحَرُ الأولُ .
﴿ وَاتَّبَعَ أَذْبَرَهُمْ ﴾ سِرَّ خَلْفَهُمْ .

﴿ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ لينظرَ ما وراءَه فيرى من الهولِ ما لا يُطِيقُه .
﴿ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ بالذهابِ إليه ، وهو الشامُ . قرأ أبو عمرو :
(حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) بإدغامِ الشاءِ في التاء^(١) .

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾^(٦٦) .
[٦٦] ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ أي : أعلمناه ﴿ أَنَّ دَابِرَ ﴾ أي : آخر .
﴿ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ ﴾ مهلكٌ .

﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ أي : أوحينا إليه أَنَّهُم يهلكون جميعاً وقتَ الصُّبحِ .

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾^(٦٧) .

[٦٧] ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴾ أي : سدومَ إلى لوطٍ . واختلاف القراء في
(جَاءَ أَهْلُ) كاختلافهم في (جَاءَ آل) [الحجر : ٦١] .

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ طَمَعاً في نيلِ شهوتهم الخبيثة من الملائكة .

= (٢/ ٢٩٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ٢٧٦) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٣/ ٢٦٠) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٦٩) ، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣/ ٢٦١) .

﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (٦٨) .

[٦٨] ﴿ قَالَ ﴾ لوط لقومه : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ بفضيحة ضيفي .

﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ (٦٩) .

[٦٩] ﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ بفعل الخبيث فيهم ؛ لأن مَنْ أَهَيْنَ ضَيْفَهُ فَقَدْ أَهَيْنَ . قرأ يعقوب (تَفْضَحُونِي) (تُخْزُونِي) بإثبات الياء فيها ، والباقون : بحذفها^(١) .

﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴾ (٧٠) .

[٧٠] ﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴾ أي : عن ضيافة الناس ؛ لأنهم كانوا يأخذون المارَّ بهم لِيُخْبِتُوا به ، فيحول بينهم وبينه ، وَيُبَيِّتُهُ عِنْدَهُ ضَيْفًا ، فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلِكَ .

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٧١) .

[٧١] ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ أَرْوَجُهُنَّ إِيَّاكُمْ إِنْ أَسْلَمْتُمْ ، فَأَتُوا الْحَلَالَ ، وَدَعُوا الْحَرَامَ .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٧٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦١) .

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أَمُرُكُمْ بِهِ، وقيل: أراد بالبنات: نساء قومه؛ لأنَّ النبيَّ كالوالدِ لأُمَّتِهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (بَنَاتِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾.

[٧٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ما خلق الله تعالى خلقاً أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ، وما أقسمَ بحياةٍ أحدٍ إلا بحياته، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾»^(٢) أي: وحياتِكَ، فهو قسمٌ من الله جل جلاله بمدة حياة محمدٍ ﷺ، وأصله ضمُّ العينِ من العُمُرِ، ولكنها فُتِحَتْ لكثرة الاستعمالِ، أو معناه: وَبَقَائِكَ يا مُحَمَّدُ، ولم يقسم الله بحياة أحدٍ غيره؛ لأنه أكرمُ البريةِ عنده.

﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ ضَلَّالَتِهِمْ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يَتَحَيَّرُونَ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريلَ بهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ مصادفين شروق الشمس؛ لأنَّ ابتداءَ عذابهم كانَ عندَ طلوعِ الصُّبْحِ، وآخره عندَ طلوعِ الشمسِ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٢/٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٤/١٤)، والحاثر بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٣٤)، وغيرهما.

﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (٧٤) .

[٧٤] فَإِن جبريلَ قلعَ الأرضينَ بهم ، ورفعها إلى السماء ، ثم أهوى بها نحوَ الأرضِ ، ثم صاحَ بهم صيحةً عظيمةً ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا ﴾ مُنْخَفِضَهَا .
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ على شذاذِ القرى ، وهُم مَن لم يَكُنْ فيها .
﴿ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ سِجِّيلٌ وَسِجِّينٌ : الصلبُ من الحجارةِ والطينِ .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٧٥) .

[٧٥] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي : المتفرِّسينَ .

﴿ وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ (٧٦) .

[٧٦] ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ أي : قريةُ قومِ لوطٍ ﴿ لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ بطريقٍ ثابتٍ يسلكه الناسُ ، لم يَنْدَرِسْ بعدُ ، فاتَّعَظُوا بآثارهم يا قريشُ إذا ذهبتمُ إلى الشامِ ؛ لأنها في طريقكم .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٧) .

[٧٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ باللهِ ورسوله .

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ (٧٨) .

[٧٨] ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ الغَيْضَةِ ، وهو شجرٌ مجتمعٌ ،

والأَيُّكَةُ أبعَدُ الأرضِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهم قَوْمٌ شَعِيبٌ .
﴿لَظَالِمِينَ﴾ بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُ، فَأُهْلِكُوا بِالظُّلْمَةِ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الْقِصَّةِ
فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٧٩﴾ .
[٧٩] ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بِالْإِهْلَاكِ ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أَي: قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ وَالْأَيُّكَةُ .
﴿لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ بِطَرِيقٍ وَاضِحٍ مُسْتَبِينٍ .

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ .
[٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ هُم ثَمُودُ، وَالْحِجْرُ: وَادِيهِمْ بَيْنَ
الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ .

﴿الْمُرْسِلِينَ﴾ أَرَادَ صَالِحًا، وَقَالَ: الْمُرْسِلِينَ مِنْ حَيْثُ يَجِبُ
بِتَكْذِيبِ رَسُولٍ وَاحِدٍ تَكْذِيبُ جَمِيعِهِمْ؛ إِذِ الْقَوْلُ فِي الْمَعْتَقَدَاتِ وَاحِدٌ
لِلرُّسُلِ أَجْمَعِ، فَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَشْنَعُ عَلَى الْمَكْذِبِينَ .

﴿وَأَيْنِسْتَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٨١﴾ .
[٨١] ﴿وَأَيْنِسْتَهُمْ ءَايَاتِنَا﴾ هِيَ النَّاقَةُ، وَخُرُوجُهَا مِنَ الصَّخْرَةِ، وَكَثْرَةُ
شَرْبِهَا، وَوَلَادَتُهَا مِثْلُهَا فِي الْعِظَمِ فِي الْحَالِ وَغَزَارَةِ لَبْنِهَا .
﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يَعْنِي: الْآيَاتِ .

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ من خرابها، والنحت: النقر بالمعاول ونحوها في الحجارة.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ صيحة العذاب ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ وقت الصبح.

﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾ .

[٨٤] ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من عددهم وعددهم وبناء حصونهم.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾^ط
﴿ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: بين جنسي السموات والأرض.

﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ لم نوجد شيئاً عبثاً ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

﴿ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ أي: أعرض عن المشركين إعراضاً جميلاً، وأكد الصَّفْحَ بنعت الجمال؛ إذ المراد منه أن يكون لا عتب فيه ولا حقد، ونُسِختْ بآية القتال.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨٦]

[٨٦] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ بخلقه.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ [٨٧]

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ هي الفاتحة؛ لأنها سبع آيات بإجماع، ولأنها تُثنى في الصلاة، وتقدم الكلام على ذلك في أول التفسير. ﴿ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ عطف على السبع؛ لأن ما عدا الفاتحة قرآن.

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٨]

[٨٨] ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ أي: لا تنظرن يا محمد. ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ أصنافاً من الكفار، نهى الله ﷺ عن الرغبة في الدنيا، ومزاحمة أهلها عليها. ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إن لم يؤمنوا. ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ أي: تواضع ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وارفق بهم.

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ [٨٩]

[٨٩] ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ بُرْهانه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، =

﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾^(٩٠) .

[٩٠] ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا ﴾ أي : وأنذر قريشاً إنذاراً مثل ما أنزلنا من العذاب .

﴿ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ المتحالفين .

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾^(٩١) .

[٩١] ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ ﴾ المنزل على النبي ﷺ .

﴿ عِضِينَ ﴾ عَصَوْهُ ؛ أي : فرَّقوه إلى سحرٍ وكهانةٍ وشعرٍ وغير ذلك .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٩٢) .

[٩٢] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ يوم القيامة سؤال توبيخ .

﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٩٣) .

[٩٣] ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٩٤) .

[٩٤] ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ أي : فرَّق بين الحقِّ والباطل بتبليغ الرسالة .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٦٣) .

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب بخلاف عنه:
(فأصدع) بإشمام الصاد الزاي^(١).

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَلَا تَلْتَفتْ إِلَيْهِمْ، وَنُسِختْ بآية السيف.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٩٥﴾

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك، وبالقرآن، وهم قومٌ من كفار مكة
أهلكهم الله.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يعني: الأصنام.
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿٩٧﴾

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الشرك والاستهزاء.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٩٨﴾

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قل: سبحان الله، والحمد لله.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٠-٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٦٣).

﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ المصلين .

رُوي أنه ﷺ كان إذا أحزنه أمرٌ، فزَع إلى الصَّلَاةِ^(١) .

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٩﴾ .

[٩٩] ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الموتُ ؛ لأنه مُتَيَقَّنٌ لا شكَّ فيه ،
واللهُ أعلم .

* * *

(١) رواه أبو داود (١٣١٩) ، كتاب : الصلاة ، باب : وقت قيام النبي ﷺ من الليل ،
والإمام أحمد في «المسند» (٣٨٨/٥) ، وغيرهما عن حذيفة - رضي الله عنه - .

مُحتَوَى المجلد الثالث

٥	تتمة تفسير سورة الأعراف
٨٦	تفسير سورة الأنفال
١٤٥	تفسير سورة التوبة
٢٦١	تفسير سورة يونس
٣٢٠	تفسير سورة هود
٣٨٨	تفسير سورة يوسف
٤٧٣	تفسير سورة الرعد
٥٠٣	تفسير سورة إبراهيم
٥٣٩	تفسير سورة الحجر
٥٧١	محتوى المجلد الثالث

* * *